الموعود

مجلة تخصصية تعني بالمهدوية
العدد الثاني عشر
شعبان المعظم ١٤٣٨ هـ‍ق

١٢

عقيدة المهدي وتوظيفها السياسي
في العصور الإسلامية الأولى
الدكتور عمار عبودي نصار، الدكتور عاطى عبيات

الأمام المهدي(عج) "الهوية، الانتظار، الرجعة"
الدكتور كاظم فاخر حاجم الخفاجي

حكومة الامام المهدي بين الظهور والانجازات
الدكتور ستار قاسم عبدالله

الانتصار النهائي لدولة الحق بقيادة الامام المهدي(ع): دراسة تحليلية في
ضوء أحاديث الرسول والأئمة(ع)
الدكتور أحمد جاسم مسلم الخيّال

منجزات الدولة المهدوية
الدكتور خليل خلف بشير

الأخبار الغيبية عن الإمام المهدي (عج) و عصر الظهور في كتاب نهج البلاغة
(دراسة تأريخية تحليلية)
الدكتورة زينب فاضل رزوقي، المدرس المساعد غزوان عبدالكاظم مهدي

الرجعة قرآنية المنشأ، إمامية الاعتقاد
الدكتور علي صالح رسن المحمداوي

تأسيس الغياب المهدوي و ظهوره في ضوء الخطاب القرآني؛ قراءة في الدلالة الرمزية
الدكتور محمد جعفر العارضي

الدولة الإسلامية العالمية في ظل الإمام المهدي(عج) والمسيح عيسى ابن مريم(ع)
الدكتورة نعيمة ابن فارس

بسم الله الرحمن الرحيم

الموعود

مجلة تخصصية تعني بالمهدوية

العدد الثاني عشر

شعبان المعظم ١٤٣٨ هـ ق

تصدر عن:

مؤسسة المستقبل المشرق

المشرف العام:

السيدمسعود بورسيدآقايي

مدير التحرير:

رضي موسوي الجيلاني

الهيئة الاستشارية:

آيةالله سامي البدري، الدكتورجاسم حسين، الدكتورتيجاني السماوي، الدكتورنسيم الخوري، الدكتورادريس هاني، الدكتورابوالعزائم، الدكتورمحمد عبده، الدكتوراحمد هاشمي، الدكتورمحمدصابر جعفري، الدكتورصادق سهرابي، الدكتورمسعود بورسيدآقايي، الدكتورنصرتالله آيتي، الدكتورجواد جعفري والدكتوررضي موسوي الجيلاني

مطبعة:

ناصراحمدبور

تصحيف:

علي قنبري

الكرافيك:

ابوالفضل بيكدلي‌نسب

فهرس المندرجات

عقيدة المهدي وتوظيفها السياسي في العصورالإسلامية الأولى.....٥
الدكتورعمارعبودي نصار، الدكتورعاطى عبيات

الأمام المهدي(عج) "الهوية، الانتظار، الرجعة".....٢٩
الدكتوركاظم فاخرحاجم الخفاجي

حكومة الامام المهدي بين الظهوروالانجازات.....٤٣
الدكتورستارقاسم عبدالله

الانتصارالنهائي لدولة الحق بقيادة الامام المهدي(ع): دراسة تحليلية في ضوء أحاديث الرسول والأئمة(ع) ٦٣
الدكتورأحمد جاسم مسلم الخيّال

منجزات الدولة المهدوية.....٨١
الدكتورخليل خلف بشير

الأخبار الغيبية عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) و عصر الظهور في كتاب نهج البلاغة (دراسة تأريخية تحليلية).....١٠٣
الدكتورة زينب فاضل رزوقي، المدرس المساعد غزوان عبدالكاظم مهدي

الرجعة قرآنية المنشأ، إمامية الاعتقاد.....١٢٧
الدكتورعلي صالح رسن المحمداوي

تأسيس الغياب المهدوي وظهوره في ضوء الخطاب القرآني؛ قراءة في الدلالة الرمزية.....١٤٩
الدكتورمحمد جعفرالعارضي

الدولة الإسلامية العالمية في ظل الإمام المهدي(عج) والمسيح عيسى ابن مريم(ع).....١٦٣
الدكتورة نعيمة ابن فارس

عقيدة المهدي وتوظيفها السياسي في العصور الإسلامية الأولى

الدكتور عمار عبودي نصار[1]

الدكتور عاطف عبيات[2]

الملخص

تولدت فكرة المهدي المنتظر، وكذلك الدجال في الذهنية العربية في العصور الإسلامية على وجه التحديد، لأنها لم تكن موجودة و معروفة عندهم قبل الإسلام لبساطة تفكيرهم وأميتهم المطبقة والتي كانت قد ضربت أطنابها في مجتمعهم، مع العلم ان المجتمعات والملل المجاورة لهم قد عرفوا وقرأ معتنقيها عن هذه الأفكار والعقائد، وهي أفكار تحدثت عنها الكتب و الأديان السماوية السابقة للإسلام. إن الكلام عن الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) يكون حديثاً عن موضوع ديني عقائدي له غاية الأهمية وله الصلة الكاملة بالإسلام والمسلمين .إنها امتداد للإسلام والقرآن إنها مسألة جوهرية مهمة بشربها القرآن الكريم وتحدث عنها الرسول الأعظم(ص) في مواطن كثيرة ومناسبات عديدة، وبشّربها ائمة الأطهار (عليهم السلام) شيعتهم، بل بشّروا بها الأمة الإسلامية جمعاء.

فالأدلة القرآنية وما ورد في المصادر المقربة كلها تؤكد على وجود الامام المنتظر عجل الله

---

١. كلية الآداب جامعة الكوفة، جمهورية العراق.

٢. استاذ مساعد قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة فرهنگيان رسول الأكرم الأهواز.

تعالى فرجه وانه سوف يظهر في آخر الزمان فيملأ الدنيا قسطا وعدلا ويقتص من الظالم وينشر العدل ويعطي كل ذي حق حقه، ويحرص على تطبيق الشريعة الاسلامية كما هي.فكانت فكرة المهدي التي بشربها الرسول(ص) حاضرة في مجمل الأحداث التي رافقت المسلمين منذ عهودهم المبكرة الأُولى وإلى الوقت الحاضر، إذ شكل تأكيد الرسول(ص) على فكرة ظهور المهدي في العديد من المواضع والموارد؛ نقطة تحول في أذهان المسلمين؛ في ترقب ظهوره والإيمان به حتى وصل الأمر بالقطع في أمر خروجه ولم يختلف عليه اثنان من المسلمين.

فهذا المقال عبر المنهج التاريخي بصدد دفع كل الشبهات الواردة بخصوص فكرة الإمام المهدي(عج) وتوظيفها سياسياً من قبل اعداء اهل البيت(عليهم السلام) في محاولة منهم للتشويش على اذهان المسلمين واغفالهم عمّا بشّربها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).

الكلمات الدليلية:

الإمام المهدي(عجّ)، الروايات الصحيحة، التوظيف السياسي.

المقدمة

تولدت فكرة المهدي المنتظر، وكذلك الدجال في الذهنية العربية في العصور الإسلامية على وجه التحديد، لأنها لم تكن موجودة و معروفة عندهم قبل الإسلام لبساطة تفكيرهم وأميتهم المطبقة والتي كانت قد ضربت أطنابها في مجتمعهم، مع العلم ان المجتمعات والملل المجاورة لهم قد عرفوا وقرأ معتنقيها عن هذه الأفكار والعقائد، وهي أفكار تحدثت عنها الكتب و الأديان السماوية السابقة للإسلام.

ولما جاء الاسلام اخذت هذه الفكرة بالتبلور والظهور بين ثنايا الايات القرانية والاحاديث النبوية على اعتبار ان كل نبي يبشر وينذر بما يحصل بعده من الخطوب والحوادث، حتى اننا نلاحظ المصادر الإسلامية قد حفلت بالعديد من الأحاديث التي تناقلها الرواة عن الرسول(ص) والمتضمنة البشارة بظهور رجل من أحفاده في آخر الزمان يملأ الأرض قسطاً وعدلاً من بعد أن تملأ ظلماً وجوراً، حتى قال أهل الحديث في أمر خروج المهدي والأحاديث التي بشرت به:" فقد بشرت بظهوره أحاديث جمة، دونتها في كتبهم علماء هذه الأُمة، وإن

الله يبعث من يمهد لولايته تمهيداً يتهدم له شوامخ الأطواد ويجمع على موالاته الحاضر والباد، فيملك الأرض حزناً وسهلاً، ويملأها قسطاً وعدلاً.[1]

كانت فكرة المهدي التي بشربها الرسول(ص) حاضرة في مجمل الأحداث التي رافقت المسلمين منذ عهودهم المبكرة الأُولى وإلى الوقت الحاضر، إذ شكل تأكيد الرسول(ص) على فكرة ظهور المهدي في العديد من المواضع والموارد؛ نقطة تحول في أذهان المسلمين؛ في ترقب ظهوره والإيمان به حتى وصل الأمربالقطع في أمر خروجه ولم يختلف عليه اثنان من المسلمين، إذ قال ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥م) مبيناً هذا الأمر:" اعلم إن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار إنّه لا بدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من اهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى المهدي ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وإن عيسى- ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله ويأتم بالمهدي في صلاته".[2]

لاجل ما تقدم حاولنا في هذا البحث رصد التطور الحاصل في تقبل وترسيخ هذه فكرة المهدي في الذهنية العربية في العصور المبكرة التي تلت عصر الرسالة وما كان من دور لصحابة الرسول ص في نشر هذه الفكرة والترويج لها، ثم ما كان من توظيف لها من قبل السلطة والمعارضة في تمرير بعض المواقف والتوجهات فكان هذا البحث، بعد ان وجدنا الدراسات السابقة لذا الموضوع لم تسلط الضوء على هذا الموضوع بصورة مجتزأة ومعمقة، حيث كان العديد من الدارسين لفكرة المهدي اشاروا اليها عابرا، ونخص بالذكر منهم الأستاذ المرحوم احمد امين في كتابه المهدي والمهدوية، كذلك دراسة سعد محمد حسن المهدية في الاسلام، وهاتين الدراستين حاولتا سحب هذه الفكرة الى المؤثرات الغنوصية وترك الموروث الاسلامي لهذه الفكرة، وجاءت دراسة المؤرخ الايراني رسول جعفريان (مهديان دروغ) الى تسليط الضوء على مدعي المهدوية في التراث الاسلامي.

كانت هذه الدراسات محفزة لنا على الولوج في هذا الموضوع الذي لم تسلط عليه

---

١. السلمي، عقد الدرر، ص ٥.

٢. ابن خلدون، المقدمة، ص٥٥٥.

الدراسات السابقة وهو التوظيف السياسي لفكرة المهدي سياسيا.

قسم البحث الى ثلاث مباحث ومقدمة وخاتمة واستنتاجات ركزنا في المبحث الاول على المصادر الشفاهية والمروية عن عقيدة وفكرة المهدي عند المسلمين في الحقبة المبكرة من تاريخ الاسلام، اما المبحث الثاني فكان متعلقا بمدى توظيف الامويين السياسي لفكرة المهدي فضلا عن الحركات المناوئة لهم وموقف اهل البيت عليهم السلام من ذلك، اما المبحث الثالث فكان مخصصا لدراسة البصمة التي تركتها دولة بني العباس في بداية نشوؤها من توظيف البيت العباسي فيها لفكرة المهدي خلال سنوات حكمهم الاولى ومدى تاثيرها في الاوساط المجتمعية وردود الافعال ازاءها.

واجهت الباحث مشاكل عديدة تمثلت بغياب النصوص بين ثنايا الاسطر لدرجة تظهر للقارئ لأول وهلة عن انعدام اي اشارة لهذه الفكرة في الكتاب او الفصل قيد القراءة فكان ان تركنا البحث في الكتب الألكترونية والأقراص خشية ان تغيب او تغفل عنا رواية او اي نص ينفع هذا البحث.

تطلب البحث منا التنقل بين المصادر المتنوعة لتلمس مادة البحث فكان ان تصفحنا الكتاب الادبي واللغوي والتاريخي والفقهي والحديثي والكلامي وذلك لغياب النصوص بين ثنايا اسطر تلك المصنفات سابقا.

وختاما اود القول ان مثل هذه الدراسات تحتاج تسليط الضوء اكثر لما تشكله القضية المهدوية اليوم من ضرورة معرفية تتطلب من اصحاب العقول والاقلام ان يشبعوها بحثا ويجيبوا عن التساؤلات والشبهات التي تدور في اذهان الناس حول هذه القضية الحساسة والتي لا ينفك عصر او وقت الا وكانت حاضرة في الاذهان، وفق الله العاملين في مؤسسة المستقبل في جهودهم الجبارة في دراسة المسألة المهدوية وابعادها في هذا المؤتمر المبارك ونتمنى ان نكون قد وفقنا في عرض ودراسة موضوعة البحث (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون).

المبحث الاول: التاسيس الفكري للعقيدة المهدوية في العهود المبكرة من تاريخ الاسلام

شغلت هذه فكرة المخلص او المنقذ او المهدي وبتسمياتها المختلفة بال المسلمين في عهد

مبكـر جـداً في تـاريخ الإسـلام وكانـت متداولـة في أذهـان النـاس آنـذاك إذ إن بشـارة الرسـول(ص) بظهور هذه الشخصية قد تلقاها الناس بالقبول والترقب، بعد أن يستشري الظلم والجور.

أما الأحاديث في الأخبار المتعلقة بالملاحم العظيمة والفتن النازلة بالعالم فهي ليست بثراء الأحاديث المتعلقة بظهور المهدي وفكرة الدجال،فقد تعلقت بخروج الدابة ويأجوج ومأجوج وخروج الشمس من مغربها،وهذه الأمور قد ضمنت في الآيات القرآنية.[1]

أكمل الإمام علي(ع) ما عرضته الأحاديث النبوية من تصورات حول شخصية المهدي وصفاته ووقت خروجه إذ قال(ع) " أما والله لأقبلن أنا وابناي هذان وليبقين الله رجلا من ولدي في آخر الزمان يطالب بدمائنا وليفين عنهم تميزا لأهل الضلالة حتى يقول الجاهل أما لله في آل محمد حاجة".[2]

تستمر أحاديث الإمام علي(ع) في تحديد وقت ظهور المهدي وخروجه، بما نقله عن الإمام علي(ع) إذ قال لأصحابه: "يخرجن رجل من ولدي عند اقتراب الساعة، حتى تموت قلوب المؤمنين كما تموت الأبدان لما لحقها من الضرر والشدة في الجوع والقتل أثر الفتن والملاحم العظام وإماتة السنن وإحياء البدع وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيجيء الله بالمهدي فيحيي به السنن التي قد أميتت ويسود بعدله وبركته قلوب المؤمنين".[3]

ومـن جانـب آخـر فـان مصـادر أخـرى التقطـت مـا ذكـره الإمـام عـلي عـن كيفيـة خروجه والممهدين لهذا الأمر والظروف والحوادث التي تزامنه، إذ عرض ابن حماد في الروايات الـتي جمعهـا عـن الإمـام عـلي(ع) في وصـف المهـدي وسـريته وكيفيـة خروجـه، إلى مـا تلعبه شخصية السفياني من أثر في تعجيل خروج المهدي والمذابح التي يرتكبها جيشه في الحجاز حتى يتوارى المهدي قبل خروجه متخفيا إلى مكة وفيها يعلن ظهوره وخروجه طلبا لإصلاح ما فسد.[4]

---

١. ابن المنادي، الملاحم، ص١٩.
٢. النعماني، الغيبة، ص١٤٣.
٣. ابن المنادي، الملاحم، ص ٢١٠، المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٤، ص٥٩١.
٤. أنظر، الفتن، ص١٩٩ ـ ٢١٤.

كانت الروايات التي رواها أمير المؤمنين علي(ع) من أخبار الملاحم حول ظهور المهدي المنتظر محل استقطاب كتب الصحاح والمساند من خلال التقاط كل ما نسب إليه وهذا مما يعطي صورة للأثر الذي تركته تلك الروايات فضلاً عن تعدد المصادر التي نقلتها.[1]

نهج صحابة الرسول(ص) إلى تبيان هذا الأمر وإيضاحه إلى الناس، إذ ألمح ابن مسعود أيضاً في أحاديثه التي رواها إلى ملحمة خروج المهدي وما يحل على الأرض من العدل والرخاء واعتبر هذا الأمر من الشروط الحتمية لقرب الساعة، إذ يصرح بالقول في ذكر لحديث الرسول(ص)"لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من ولدي يوافق اسمه اسمي يملأ الأرض قسطا وعدلا من بعد أن تملأ ظلما وجورا".[2]

كانت فكرة المهدي هي الأخرى من الجوانب التي تحدث حذيفة عنها في أخباره المتنوعة عن الملاحم بما سمعه من رسول الله(ص)، إذ نجد في ثنايا المصادر اهتماما من قبل حذيفة بهذه الفكرة ومناقشتها مع الرسول(ص) والصحابة، فضلا عن الحديث عن صفات المهدي والحروب التي يخوضها والمدن التي يفتحها.[3] إذن أورد (ابن المنادي) روايتين في فتح مدينة بنلجر وما قاله حذيفة من أحاديث في فتح هذه المدينة وارتباطها بأخبار الملاحم إذ سأله أحد المشتركين في غزو هذه المدينة عن الصعوبة التي يلاقونها في فتح هذه المدينة.إذ قال لهم حذيفة بعد أن عين من قبل الخليفة عثمان قائدا لهذه الغزوة " لا تفتح بنلجر ولا جبل الديلم إلا على يد رجل من آل محمد"،[4] وفي الرواية الثانية قال " لن تفتح هي ولا جبل الديلم إلا على يد رجل من بني أمية".[5]

دلت القرائن على أنّ الرواية الأولى كانت ضعيفة وربما منحولة، ولكن الثانية أكثر صحة ففتحت هذه المدينة سنة (١٠٤ هـ/٧٢٢م) أيام بني أمية؛[6] وربما قال حذيفة هذا الحديث بعد أن لاقى المسلمون شدة وفشلا في فتحهم لهذه المدينة أيام الفتوحات الأولى، رغم تكرر

١. أنظر، المبارفوكي، المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث، الصحيحة، ج١، ص٢٢.
٢. الطبراني، المعجم الصغير، ج٢، ص٨٠، أبو نعيم، حلية الأولياء، ج٥، ص٧٥.
٣. ابن طاووس، الملاحم والفتن، ص٢٦٤، السلمي، عقد الدرر، ص٣٤-٣٥.
٤. ابن المنادي، الملاحم، ص٣١٢.
٥. ابن المنادي، الملاحم، ص٣١٢.
٦. الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص١٤.١٥

الحملات عليها.[1]

كان أبو هريرة هو الآخر من الصحابة المهتمين بأخبار الملاحم، ومن الذين تحدثوا عن فكرة المهدي بإسهاب،إذ لم يكتفِ بالإخبار عن أحاديث وأخبار الملاحم المستقبلة المشتملة على ذكر فتنة الدجال وأخباره فقط،بل تناولت أحاديثه التي رواها فكرة المهدي ونزول عيسى بن مريم وخروج رجل من بني هاشم يملا الأرض قسطا وعدلا من بعد أن تملأ ظلما وجورا'إذ كانت لهذه الفكرة صدى كبير في أحاديث أبي هريرة،حيث أسهم في الترويج لها وإشاعتها في أذهان المسلمين بما سمعه من تأكيدات حولها من فم الرسول (ص)،إذ رصدت المصادر مجموعة من الأحاديث المتعلقة بالمهدي مسندة إلى أبي هريرة حيث كان عددها تسعة أحاديث، إن هذه الأحاديث التي روتها تلك المصادر قد أردفتها أحاديث أخر مسندة هي الأخرى إلى أبي هريرة ودارت حول خروج المهدي،والمدن التي سيفتحها،وحال الناس في أيامه،إذ جمع أحد المحدثين تلك الأحاديث وبوبها ومن مضانِّها.[2]

اختلف المحدثون في درجة صحة هذه الأحاديث وضعفها، فقد رصد أحد الباحثين هذه الأحاديث فخرّج أربعة منها على إنها ذات درجة عالية من الصحة برأيه وخمسة كانت في عداد الضعاف والموضوعات التي لا يعتد بهن برأيه، وإن كانت تخريجاته تلك معتمدة على رؤية من جانب واحد وإسقاط باقي الأحاديث المروية في هذه الفكرة من باقي مصادر المسلمين الأخرى لأنها تخالف التوجه المذهبي الذي يعتنقه.[3]

كان سلمان الفارسي هو الآخر من الصحابة الرواة لأحاديث المهدي والمروجين لهذه الفكرة في أذهان المسلمين،لما أكد عليه الرسول(ص) من معرفته للشخص الذي وصف بالمهدي والرجل الذي يظهر من صلبه إذ قال سلمان للرسول(ص) بعدما أنبأهم به من أي ولدك يا رسول الله؟ فقال له(ص) " هو من ولدي هذا" وضرب بيده على الحسين(ع).[4]

روى الشيخ الصدوق (ت٣٨١ هـ) هذه الرواية من وجه آخر ولكن بالمضمون السابق

---

١. أنظر، البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٤١، ص٣١٨، الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص٤٠٣-٤٠٧.
٢. ابن المنادي، الملاحم، ص١٩.
٣. أنظر، السلمي، عقد الدرر، ص٢٠،١٨، ٢٨، ٥٦، ٥٩، ٦٤، ٧٣، ٨٤، ١٥٦، ١٧٧، ٢٠٣، ٢١٦.
٤. أنظر، المبارفوكي، المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة، ج١.، ص١٠١،١٢٢.

نفسه،[1] فضلا عن كان كعب الأحبار قد روى روايات متعددة بأخبار الملاحم المستقبلية،كان منها روايات كثيرة حول فكرة المهدي وظهوره في آخر الزمان.[2]

وكانت هذه الروايات محل تناقل وتداول بين ألسنة الناس حتى ضمن الشعراء هذه الفكرة في قصائدهم مسندة إلى كعب إذ قال كثير عزه الشاعر:[3]

هو المهدي أخبرنا كعب اخو الأحبار في الحقب الخوالي

تطرق كعب أيضاً إلى ذكر المسائل المتعلقة باشتراط الساعة من خروج الدجال والدابة ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى بن مريم"والملاحم النازلة على العالم"والنقطة التي تستحق التوقف هي الترويج لفكرة القحطاني من أهل اليمن الذي يسبق خروج المهدي والملاحم الحادثة في خروجه ودور أهل اليمن في أحداثها.[4]

المبحث الثاني: توظيف الامويين لفكرة المهدي وموقف اهل البيت(عليهم السلام) من ذلك

بدأت هذه الفكرة بالرواج والتداول في بدايات العصر الأُموي، فنجد في موقف الإمام الحسن(ع) من تركه الخلافة وتنازله عنها لمعاوية ارتباطاً في ذلك الأمر، حتى أنه قد برر موقفه هذا بقوله: " أن ليس لبني هاشم في هذا الأمر إلاّ في إمام حق يبعثه الله في آخر الزمان".[5]

ونجد أيضاً في محاورة عبد الله بن عباس لمعاوية بن أبي سفيان خير شاهد على ذلك وترديداً لهذه الفكرة، إذ سخر الأخير من الأحاديث والأخبار التي تناقلها الناس حول ملك هاشمي سيكون في آخر الزمان يسمى بالمهدي، إذ قال معاوية لعبد الله بن العباس:" وقد زعتم أن لكم ملكاً هاشمياً ومهدياً قائماً والمهدي عيسى بن مريم، وهذا الأمر في أيدينا حتى نسلمه إليه، ولعمري لئن ملكتم ما ريح عاد ولا صاعقة ثمود بأهلك للناس منكم"، فما كان

---

١. السلمي، عقد الدرر، ص٢٤، ص٣٢.
٢. أنظر، الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج١، ص٤٧ .٤٨.
٣. أنظر، السلمي، عقد الدرر، ص٣٨، ص٤٠، ص٤١، ص٥١، ص٥٢، ص٥٤، ص٥٨، ص٦٦، ص٧٩.
٤. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٤، ص٣٢١ –٣٢٢.
٥. أنظر، ابن حماد، الفتن، ص٢٥٤ .٢٥٦.

من عبد الله بن عباس إلاّ أن رد عليه قائلاً: "وأمّا قولك إنا زعمنا أن لنا ملكاً مهدياً فالزعم في كتاب الله شك، والكل يشهد أن لنا ملكاً لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد ملّكه الله فيه، وأن لنا مهدياً لو لم يبق إلاّ يوم واحد بعثه لأمره يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً... وأمّا قولك أن المهدي عيسى بن مريم، فإنّما ينزل عيسى على الدجال، فإذا رآه ذاب كما تذوب الشحمة".[1]

دلل هذين النصين على تداول حديث المهدي بين الناس ولاسيما عبارة ابن عباس (والكل يشهد) إذ بنيت مساحة انتشار هذا الحديث والحتمية بحدوث الأمر الذي بشربه.

وبالمقابل فإننا نجد المجتمع الإسلامي آنذاك قد بدأ ينظر إلى فكرة ظهور المهدي التي بشرت بها الأحاديث النبوية من وجهة مختلفة، وذلك بما يتوافق ورغباته وتطلعاته السياسية والمذهبية، حيث أخذت كل طائفة تحاول توظيف هذه الفكرة والشخصية التي تجسدها لتحقيق مكاسب سياسية واجتماعية حيث وظفها الكيسانيون (أتباع محمد بن الحنفية وابنه أبو هاشم) في نشاطهم السياسي، بعدِهم محمد بن الحنفية هو المهدي الذي بشرت به الأحاديث،[2] إذ أخذ المختار الثقفي بترويج هذه الدعاية بين الكوفيين بأن المهدي محمد بن الحنفية هو الذي أرسله وبعثه إليهم مع كتاب عليه اسمه[3] حتى لاقت دعوته هذه من الرواج حداً أن أخذ الناس يلهجون به ليتطور الأمر إلى أن يغالي المختار في شخصية (المهدي) ابن الحنفية ويعطيه من الخصائص والصفات من حيث إن السلاح لا يؤثر فيه، فيقول لأهل الكوفة:" إن في المهدي علامة يقدم بلدكم هذا فيضربه رجل في السوق بالسيف ضربة لا تضره ولا تحيك فيه ".[4]

وصل الأمر بالترويج لمهدوية محمد بن الحنفية أن تقول المؤمنون بهذه الفكرة أرجوزة على لسان الجن، حينما ذهبت مجموعة من أنصار المختار لإنقاذ ابن الحنفية من سجن عبد الله بن الزبير ونصرته، حينما أراد التضييق على الهاشميين وإحراقهم، إذ إدعوا إنهم سمعوا وهم في

---

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٤٤-٤٥.
٢. مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص٥١-٥٢، ابن طاووس، الملاحم والفتن، ص٢٣٨-٢٤٠.
٣. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٤٧٥.
٤. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٠١.

طريقهم إلى مكة هاتفاً يهتف ويقول:[1]

يا أيها الركب إلى المهدي * على عناجيج من المطي
أعناقها كخشب الخطي * لتنصروا عاقبة النبي
محمدا رأس بني علي * سمي كهل أيما سمي

دفعت هذه الأقاويل التي بدأت تتعاظم لتغالي في شخصية محمد بن الحنفية وسكوت الأخير عن تلك الأقاويل أن قام الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) بمحاججته في دعواه بالإمامة والمهدية، وسكوته عما تلهج بذكره العوام من الناس إلى أن أقر بضعف دعواه.[2]

ولكن هذه الاقتران بنعت محمد بن الحنفية بالمهدي قد استمر بعد وفاته ليروج الكيسانيين حقيقة بقاء ابن الحنفية على قيد الحياة وإنه متخفي في جبال رضوى بين المدينة ومكة إلى أن يأذن الله له بالظهور.[3]

بقيت هذه الفكرة مسيطرة على بعض أذهان الناس ولكن من خلال التعرف على طبيعة الشخصيات التي آمنت بهذه الآراء نجد هذه القرينة قد لاقت رواجا منقطع النظير بين أوساط الناس، إذ أجمعت المصادر على أن كل من السيد الحميري[4] وكثير عزة[5] كانا من المؤمنين بمذهب الكيسانية حتى إن أشعارهم كانت طافحة بذلك، فقد قال السيد الحميري:[6]

---

١. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٩، ص١٦.١٧.
٢. أنظر، الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ج١، ص٦٦، الطوسي، الغيبة، ص١٩١٨.
٣. أنظر، مقالات الإسلاميين:ج١، ص٩٢,البغدادي، الفرق بين الفرق:٣٦، الشهرستاني، الملل والنحل :ج١، ص١٥٠.
٤. هو إسماعيل بن محمد بن يزيد الحميري، أبو هاشم، شاعر متقدم، أكثر شعره في مدح آل البيت (عليهم السلام) كان ثقة جليل القدر، عظيم المنزلة، لقي الإمام الصادق عليه السلام، وعدّه أبو عبيدة من أشعر المحدثين، وجعله أبو الفرج ثالث ثلاثة هم أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام. ولد في نعمان سنة ١٠٥ هـ ومات ببغداد سنة ١٧٣ هـ أنظر، الأغاني: ج٧، ٢٤٨ ,الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٨، ص٤٤.
٥. هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن مليح من خزاعة، أبو صخر، شاعر متيم مشهور من أهل المدينة أكثر إقامته في مصر ولم تحدد المصادر تاريخ ولادته إلى أنها ذكرت إنه توفي في آخر خلافة يزيد بن عبد الملك عام ١٠٥هـ في الحجاز، اشتهر بحبه لعزة فعرف بها وعرفت به وهي: عزة بنت جميل بن حفص من بني حاجب بن غفار كنانية النسب، أنظر أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ج ٩، ص٢٠، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص١٠٦.
٦. ديوان السيد الحميري :ص ٦٩٦٨.

أيا شِعبَ رضوى ما لمن بك لايرى؟ حتى متى تخفى وأنتَ قريبُ؟
يا ابنَ الوصيِّ ويا سميَّ محمدٍ وكنيَّتُهُ نفسي عليك تذوبُ
لو غاب عنا عمرَ نوحٍ أيقنَتْ مِنَّا النفوسُ أنَّه سيؤوبُ

ويضيف في مكان آخر مبينا حقيقة دعواه:[1]

ألا قُل للوصيِّ فدتك نفسي- أطلتَ بذلك الجبلِ المقاما
أضرَّ بمعشرٍ والوك منَّا وسمَّوك الخليفةَ والإماما
وعادوا فيك أهلَ الأرض طراً مقامُك عنهمُ ستين عاما
وما ذاق ابنُ خولةَ طعمَ موتٍ ولا وارت له أرضٌ عظاما
لقد أوفى بمورقِ شعبِ رضوى تراجعُهُ الملائكةُ الكلاما
وإن له به لَمقيلَ صدقٍ وأنديةً تحدِّثُه كراما
هدانا الله إذ جرتُم لأمرٍ به ولديه نلتمس التماما
تمامَ مودة المهديِّ حتى تَروا راياتِنا تَترَى نظاما

وكان الأمر أيضا بالشاعر كثير عزة الذي آمن بمهدوية محمد بن الحنفية ونظم أشعاراً في ذلك بينت حقيقة خلجاته تلك، إذ قال:[2]

ألا إنَّ الأئمةَ من قريشٍ ولاةُ الحق أربعةٌ سواءُ
علي والثلاثة من بنيه هُمُ أسباطُهُ والأوصياءُ
فسبطٌ سبطُ إيمان وبر وسبطٌ غيبته كربلاءُ
وسبطٌ لا يذوقُ الموت حتى يقودَ الخيلَ يقدمُهُ اللواءُ
تَغَيَّبَ لا يُرى عنهم زمانا برضوى عنده عسلٌ وماءُ

ويضيف كثير في موضع أخر من شعره بعد أن جاءه نبأ موت محمد بن الحنفية:[3]

ما مت يا مهدي يا ابن المهتدي أنت الذي نرضى به ونرتجي

---

١. ديوان السيد الحميري :ص٣٧٩-٣٨٠.
٢. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج٩، ص٢٠، ديوان كثير عزة، ص٥٢١ وفيه (لا تراه العين).
٣. ديوان كثير عزة، ص٤٩٦.

أنت إبن خير الناس من بعد النبي أنـت إمـام الحـق لسـنا نمتـري

وصل الأمر من شدة تأثير هذه الفكرة على عقول الناس في السنوات اللاحقة أن أخذوا يطلقون اسم المهدي على بعض الشخصيات، لمجرد التأثر بشخصيته وتقواه، أو إن أنصار الزبيريين هم وراء هذا الشائعة لغرض سحب البساط من المختار بإيجاد جماعات معارضة له من الشخصيات البارزة، والتي لها من المقبولية لدى بسطاء الناس وعوامهم، إذ أطلقوا لقب المهدي على موسى بن طلحة بن عبيد الله لما رأوه من سلوكه وتصرفاته، حتى نقل المؤرخون عن الشهود الذين وصفوا حال المجموعة التي هربت من المختار إلى البصرة قائلين: "فقدموا علينا هاهنا البصرة وفيهم موسى بن طلحة بن عبيد الله قال وكان الناس يرونه زمانه هو المهدي قال فغشيهم ناس من الناس وغشيته فيمن غشيه فإذا شيخ طويل السكوت قليل الكلام طويل الحزن والكآبة".[1]

وظف الأُمويون فكرة المهدي أيضاً بتطبيقها على شخصية عمر بن عبد العزيز، حتى أن احد كبار التابعين (سعيد بن المسيب) قد كان يحلف بالله: "إن عمراً هو المهدي".[2]

اهتم الخليفة عمر بن عبد العزيز بفكرة المهدي كثيراً، فنراه يسأل أحد الرهبان عن حقيقة انطباق نعت المهدي(ع) عليه كما تناقلته الألسن والأفواه فقال الراهب "لا ولكنك رجل صالح فرد عليه عمر الحمد لله الذي جعلني رجلا صالحا"،[3] وذلك لما وجده من ترديد الناس لهذه الفكرة في أيامه، واعتباره المقصود بهذا النعت.

إن هذه النسبة (المهدي) إلى عمر وإطلاق هذا النعت عليه، له ما يبرره، إذ تركت سيرة عمر بن عبد العزيز العادلة، والشاذة عن المسار الذي اختطه أسلافه من الأمويين في التعامل مع الرعية، أن شاع بين الناس إن المهدي هو عمر بن عبد العزيز، حتى إن شخصيةً مرموقة في مجتمعها ولها ثقلها العلمي والفكري (سعيد بن المسيب) راحت تروج لهذه الفكرة بانطباق صفة المهدي على شخصية عمر بن عبد العزيز كما لاحظنا، ولكن هذه المغالاة في شخصية عمر قد حاول تخفيف حدتها أحد التابعين (طاووس اليماني) حينما سأله أحد

---

١. أنظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٦٢.
٢. ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ٢٤٥.
٣. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٦٨، ص ٦، الملاحم والفتن، ابن طاووس، ص٢٤٤.

المسلمين عن ملازمة وانطباق صفة المهدي الذي بشربه رسول الله(ص) على عمربن عبد العزيز، فرد عليه طاووس بالنفي مدعيا إن عمرلم يستكمل العدل كله.[1]

ويرد تابعي آخرعلى الإشاعات التي أثيرت حول شخصية عمربن عبد العزيزبالقول "بلغنا من المهدي شيء لم يبلغه عمر" إذ يكثرالمال في زمان المهدي فيسأله رجل فيقول له ادخل فخذ...".[2]

كذلك فقد أورد أبو نعيم الأصفهاني أيضا رواية مفادها أن عبد الله بن عمربن عبد العزيز وقف على راهب في صومعة له وقد أتى عليه فيها عمرطويل، وكان ينسب إليه علم من الكتاب فهبط إليه ولم يُرَهابطاً إلى أحد قبله، فقال له: أتدري لم هبطت إليك؟ قال: لا قال: بحق أبيك إنا نجده من أئمة العدل ".[3]

كذلك نجد إن وهب بن منبه قد روج لهذه الفكرة أيضا باعتبار عمربن عبد العزيزهو المهدي إذ قال: "إن كان في هذه الأمة مهدي فهوعمربن عبد العزيز".[4]

من النصوص آنفة الذكرنلاحظ إن هذه الفكرة (المهدي) قد كانت تشغل بال عمرحتى نرى تصرفاته وانفعالاته موضحة ذلك في أي موقف له مساس بها، إذ ذكراليعقوبي إن عمر بن عبد العزيزقد منع أبا الطفيل عامربن واثلة عطاءه لأنه كان يؤمن بالمهدي ويستعد له حتى يجد جنده على أهبة الاستعداد للخروج على الظالمين من حيث صقله سيفه وشحذه سنانه ونصله سهمه فما كان من أبي الطفيل إلا أن رد عليه "إن الله سألك عن هذا فاستحيا عمرعند ذلك وأمرله بعطائه".[5]

كانت فكرة السفياني الذي يتزامن ظهوره قبيل ظهور المهدي إحدى الأفكار التي ادعى أحد المؤرخين أنها من إختلاقات خالد بن يزيد وانه قد هول من هذه الفكرة وروج لها حتى يكون للناس فيهم طمع حين غلبه مروان وبنوه على الملك.[6]

---

١. ابن حماد، الفتن، ص٢٢٢.
٢. السلمي، عقد الدرر، ص١٦٨
٣. حلية الأولياء ج٥، ص ٢٥٥.
٤. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٥، ص١٨٧
٥. اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٢١٥
٦. المصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٢٩.

علق أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) على هذه الدعوى من المصعب الزبيري أن قال وهذا وهم من مصعب فان (حديث) السفياني قد رواه غير واحد وتتابعت فيه روايات الخاصة والعامة" وأخذ يسرد الروايات في تبيان حقيقة هذه الشخصية بذكره بعض الأحاديث مسندة عن أئمة اهل البيت عليهم السلام في أثناء عرضهم لتصوراتهم عن شخصية السفياني.[1]

أكدت هذه الفكرة نصوص أخرى أوردتها المصادر في حقيقة السفياني ونسبته إلى خالد بن يزيد من حيث إن الشخص الملقب بالسفياني الذي سيظهر في لاحق الأيام هو من أحفاد خالد وليس من باقي أفراد البيت الأموي.[2]

وقف أئمة اهل البيت المعاصرين لتلك الحوادث موقفا صارما إزائها، وذلك بتفهيم الناس حقيقة الشخص المنعوت بالمهدي وأوان خروجه وإسقاط الإدعات التي روجت للبعض من كونهم المهدي الذي بشرت به الروايات، إذ أعطى الإمام الباقر(ع) لعقيدة (المهدي) والأخبار عنه اهتماما ملحوظا لما شكلته هذه العقيدة من خطورة بالغة على أذهان المسلمين فقد وظفت هذه الفكرة في عصره من قبل أصحاب المختار الثقفي وأتباعه (الكيسانية) في عدهم محمد بن الحنفية هو المهدي كما لاحظنا آنفاً. وكذلك اعتبر بعض الناس عمر بن عبد العزيز هو المهدي حتى وصل الأمر إلى أن عد الناس الإمام محمد بن علي الباقر(ع) هو المهدي نفسه، إذ قال (ع): لأصحابه على جمع من الناس: "يزعمون أني المهدي وان اجلي أدنى إلى ما يدعون لو أن الناس اجتمعوا على أن يأتي العدل من باب لخالفهم حتى يأتي به من باب آخر"،[3] ويضيف(ع) في مكان آخر أن قال لبعض أصحابه الذين ينعتونه بالمهدي: " قد أمكنت الحشو من أُذنيك والله ما أنا بصاحبكم انتظروا من تخفى على الناس ولادته فهو صاحبكم".[4]

وكذلك الحال بالإمام الصادق(ع) الذي أعطى هو الآخر لهذه الفكرة جانبا من اهتماماته

---

١. أنظر، الأغاني، ج ٧، ص٣٤٢.
٢. أُنظر، الفتن، ابن حماد، ص١٦٦، ص١٦٩.
٣. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٥٤، ص٢٩١.
٤. الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ج١، ص٣٢٥.

وتفكيره، إذ حاجج العديد من الذين آمنوا بمهدوية محمد بن الحنفية من الكيسانية محاولا تبيان فساد الرأي الذي هم عليه، إذ أشارت النصوص إلى مناظرة مهمة جرت بين الإمام الصادق(ع) وبين السيد الحميري الشاعر الكيساني المشهور، فقد روى الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) نص هذه المناظرة والتي أظهر الصادق فيها من هشاشة العقيدة التي أمن بها السيد الحميري وأقرانه من المومنين بمهدوية محمد بن الحنفية.[1]

أمام هذه الإرهاصات الفكرية التي حركتها فكرة ظهور المهدي وخروجه التي بشر بها النبي(ص) في أحاديثه وتوظيف المعارضة لهذه العقيدة لغرض تأجيج الرأي العام ضد الأمويين أو أن الأمويين أنفسهم قد أسهموا في الترويج لها لغرض إسكات الدهماء وذلك بالاتكاء على منقذ يظهر لتخليصهم من الظلم، كل ذلك دفع الإمام الباقر(ع) إلى أن يأخذ على عاتقه تفهيم هذه العقيدة لشيعته وأتباعه خاصة والمسلمين عامة، حتى لا يقعوا في مزالق الوهم والدعوات المضلة والتسرع في إطلاق هذا اللقب على كل من هب ودب، ولأجل ذلك نجد الروايات المنسوبة إليه في تفهم عقيدة المهدي من الكثرة بمكان أن اعتمد عليها علماء المسلمين الدارسين لهذه الفكرة في مصنفاتهم، فقد جمع أبو الفضل السلمي (ت ٦٨٥ هـ) الروايات التي نسبت في المصادر الحديثة إلى الإمام أبي جعفر محمد بن علي في حق المهدي والتي بلغت أكثر من ثلاثين رواية بين طويلة مسهبة ومختصرة مقتضبة.[2]

أصبح حديث المهدي من الأحاديث التي أخذ أهل العلم بطلبها والتفتيش عنها، فقد اتصل أبو قبيل بشعيب الحنائي وهذا الشخص هو الآخر من العارفين بأخبار الملاحم إذ قرأ الكتب القديمة وحدث عنها فقد قال لأبي قبيل بعد أن طلب الأخير أخباره بالمهدي وصفته؟ ومن أين يخرج؟ فقال له:"والله لو شئت لحدثتكم باسم المهدي وصفته ومن أين يخرج ولكن أجد في الكتاب أن من اخبر به قبل أن يخرج لملعون".[3]

ونتيجة لهذه المشاعر والأمنيات التي بدأت تأخذ مداها بين الناس تولدت في أذهانهم هواجس وأمنيات تمنيهم باقتراب الخلاص من بني أمية وأفول نجم دولتهم فكان من

---

١. أنظر، كمال الدين وإتمام النعمة، ج١، ص٦٣ .٦٥.
٢. أنظر، عقد الدرر في أخبار المنتظر، ص٢٦-٣٩-٤٣-٤٩-٥١-٦٢-٦٤-٦٦.
٣. ابن طاووس، الملاحم والفتن، ص ٢٢٧.

الثورة التي قام بها زيد بن علي عام ١٢١هـ أكبر الأثر في تحفيز مخيلة المسلمين إلى تدارس أخبار الملاحم والبحث عن كتبها والسماع لتلك الأخبار، إذ أورد اليعقوبي (ت٢٩٢ هـ/٩٠٤م) نصا يوضح تلك الهواجس والتوجهات التي كان عليها الناس بعد هذه الثورة إذ يقول:"ولما قتل زيد كان من أمره ما كان، تحركت الشيعة بخراسان وظهر أمرهم وكثر من يأتيهم ويميل إليهم، وجعلوا يذكرون للناس أفعال بني أمية وما نالوا من آل رسول الله، حتى لم يبق بلد إلا فشا فيه هذا الخبر، وظهر الدعاة ورؤيت المنامات وتدورست كتب الملاحم".[١]

حتى كان في ثورة الحارث بن سريج في خراسان عام(١٢٨ هـ/٧٤٥م) ونشاطه في أمره إلا كنتيجة من نتائج هذه الهواجس التي تفشت في الناس عن المنقذ لهذه الأمة من نير الأمويين وظلمهم إذ ادعى انه سيهدم سور دمشق على أهلها كما أخبرته بذلك كتب الملاحم ورواتها وهو صاحب الرايات السود التي بشرت بها الأحاديث، وهو منقذ الناس من جور بني أمية وهذا ما استدعى والي خراسان نصر بن سيار أن يستخف برأيه هذا ويسخر منه قائلا: إن كنت كما تزعم وأنكم تهدمون سور دمشق وتزيلون أمر بني أمية فخذ مني خمسمائة رأس ومائتي بعير واحمل من الأموال ما شئت وآلة الحرب وسر فلعمري لئن كنت صاحب ما ذكرت إني لفي يدك وإن كنت لست ذلك فقد أهلكت عشيرتك، فقال الحارث: قد علمت أن هذا حق ولكن لا يبايعني عليه من صحبني فقال نصر فقد استبان أنهم ليسوا على رأيك ولا لهم مثل بصيرتك وأنهم هم فساق ورعاع فأذكرك ".[٢]

نحتمل إن الحارث بن سريج قد وصل إلى سمعة الحديث الذي نسبت روايته إلى الإمام علي(ع) حول خارج يخرج في بلاد ما وراء النهر والذي مفاده:" قال رسول الله(ص) يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث بن حراث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطئ أو يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله(ص) وجب على كل مؤمن نصره أو قال إجابته".[٣]

---

١. تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٢٨.
٢. الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص٣٣١.
٣. ابن المنادي، الملاحم، ص١٨٥، المتقي الهندي، كنز العمال، ج١١، ص١٦٧.

المبحث الثالث: توظيف البيت العباسي لفكرة المهدي خلال سنوات حكمهم الاولى

لم يقف التوظيف لفكرة المهدي والتثقيف لها في العصر الأموي فحسب؛ بل نجد العباسين قد استغلوا هذه الفكرة لتمرير وإضفاء المشروعية عل دولتهم وسلطانهم، إذ حاول خلفائهم الأوائل توظيف الأحاديث الغيبية ؛ولاسيما الأحاديث حول المهدي التي هي محل الشاهد التي ادعوا أن الرسول(ص) قد أنبأ بها والتي تضمنت إخباراً بدولتهم حتى رووا حديثاً منسوبا للرسول(ص) مفاده:"منا السفاح ومنا المنصور ومنا المهدي ".[1]

بدأت هنالك مجموعة من المحدثين تروي عن البشائر بملك بني العباس في الأحاديث النبوية، وما تناقله السلف حول هذا الأمر من الأخبار، ليصل إلى جعل هذه الدولة هي الدولة الخاتمة للتاريخ بمقاتلتها الدجال، وامتدادها إلى قيام الساعة ليسلموها إلى عيسى بن مريم،[2] فقد ذكر المقدسي إن بني العباس قد أشاعوا الحديث المنسوبة روايته من طريق عبد الله بن عباس، إذ قال: "إذا أقبلت الرايات السود من المشرق توطئون للمهدي سلطانه " فقد حاول العباسيون تأويل هذه الأخبار بخروج أبي مسلم الخراساني وهو أول من عقد الرايات السود وسود ثيابه، وخرج من خراسان فوطأ لبني هاشم سلطانهم.[3]

واجه المنصور مشكلة حقيقية في تمرير هذا الإدعاء يسبب توظيف محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية) لهذا اللقب ونسبته إليه حتى استمال الناس به ليصل الأمر كما يقول أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) أن لهجت العوام بمحمد بن عبد الله تسميه المهدي،[4] حتى وصل الأمر بأبيه أن قال لبني هاشم في اجتماع سبق الثورة العباسية يعرف باجتماع (الأبواء) أن قال:" قد علمتم أن ابني هذا هو المهدي فهلموا فلنبايعه "،[5] ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل كان من مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أن وصلت إلى مسامعه هذه

---

١. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٢، ص٢٨٠.
٢. ينظر ابن حماد، الفتن، ص ٥٢، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، ص٢٦٢، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٦٤، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٢، ص٣٠٥ ٣٠٦.
٣. البدء والتاريخ، ج٢، ص١٧٤،١٧٥.
٤. مقاتل الطالبين، ص١٨٤.
٥. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص١٨٥.

الأخبار فما كان منه إلا أن قال لأبيه عبد الله:" ما فعل مهديكم ".[1]

أمام هذا الإصرار من قبل عبد الله بن الحسن في عد ولده محمد هو المهدي الذي بشرت به الرواية، كان من الإمام الصادق(ع) أن انبرى ليوضح حقيقة الوهم والحلم الذي كان يمني بها عبد الله نفسه وولده بهذا الأمر، إذ قال له:"والله ما هو بمهدي هذه الأمة ! ولئن شهر سيفه ليقتلن".[2]

لأجل ذلك كان شغل المنصور الشاغل هو أن يعلن محمد وأخوه إبراهيم البيعة له حين وصلت له الخلافة.[3] حيث حققت دعوة محمد إقبالا منقطع النظير ليس من العوام فحسب؛ بل ومن أهل العلم أيضا، إذ أورد أبو الفرج الأصفهاني بعضاً من الروايات حول طبيعة الشخصيات التي بايعت محمد النفس الزكية ومدى الأثر الذي تركه تلقيب نفسه بالمهدي بجمع الناس حوله ومبايعتهم إياه حتى كان من الدفوع التي برر بها أحد المبايعين لمحمد والخارجين معه من الفقهاء أنه ظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية.[4]

إن المنصور كان يريد البيعة لابنه محمد وأطلق عليه لقب المهدي وكان ابنه جعفر يعترض عليه في ذلك فأمر بإحضار الناس فحضروا وقامت الخطباء فتكلموا وقالت الشعراء فأكثروا في وصف المهدي وفضائله ومحاولة إسقاط الصفات والبشائر التي تحدثت بها الأحاديث عن المهدي على شخصية محمد بن المنصور(المهدي العباسي)، إذ ذكرت المصادر جانبا من هذه المجالس التي حضر فيها الشعراء وأهل الحديث والخطباء، حيث كان من بينهم مطيع بن إياس فلما فرغ من كلامه في الخطباء وإنشاده في الشعراء قال للمنصور يا أمير المؤمنين حدثنا فلان عن فلان أن النبي(ص) قال المهدي منا محمد بن عبد الله وأمه من غيرنا يملؤها عدلا كما ملئت جورا وهذا العباس بن محمد أخوك يشهد على ذلك ثم أقبل على العباس فقال له أنشدك الله هل سمعت هذا فقال نعم مخافة من المنصور فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدي، قال ولما انقضى المجلس وكان العباس بن محمد لم يأنس به قال

---

١. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص٢٢٩.
٢. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص١٨٧.
٣. الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص٥١٨.
٤. مقاتل الطالبين، ص٢٥٤.

أرأيتم هذا الزنديق إذ كذب على الله عزوجل ورسوله(ص) حتى استشهدني على كذبه فشهدت له خوفا وشهد كل من حضر علي بأني كاذب وبلغ الخبر جعفر بن أبي جعفر وكان مطيع منقطعا إليه يخدمه فخافه وطرده عن خدمته قال وكان جعفر ماجنا فلما بلغه قول مطيع هذا غاظه وشقت عليه البيعة لمحمد فأغلظ له في القول بفحش الكلام لكذبه على الله ورسوله بتوصيف أخاه محمد بالمهدي.[1]

صرح المنصور لأحد خاصته بحقيقة القرار الذي إتخذه في أمر إطلاق نعت (المهدي) على ولده محمد ومبتغاه في ذلك، إذ قال بعد أن خرج محمد بن عبد الله النفس الزكية بالحجاز وتسمى بالمهدي وذاع أمره:" والله ما هو به، وأخرى أقولها لك لم أقلها لأحد قبلك، ولا أقولها لأحد بعدك وابني والله ما هو بالمهدي الذي جاءت به الرواية،ولكنني تيمنت به وتفاءلت به،[2] ولكنه في مجلس عام لم يصرح بهذا الشيء، إذ بقي على موقفه المعلن في عد ولده هو المهدي الذي بشرت به الأحاديث، حيث وبخ أحد مواليه لأنه نقل مقالة محمد النفس الزكية حينما جمع أصحابه قائلا: " إنكم لا تشكون أني أنا المهدي، وأنا هو"، فما كن من لمنصور إلا أن قال:" كذب عدو الله؛ بل هو ابني".[3]

فضلا عن ذلك فإن المنصور قد أرسل في الآفاق من يروج لهذه الفكرة، فقد أرسل إلى الحجاز أحد حجابه (الأعلم الهمذاني) رسولا منه إلى أهل الحجاز فقام فيهم خطيباً بمكة قائلا: " وقد بايع أمير المؤمنين لمحمد ابن أمير المؤمنين وهو عباسي النسبة يثربي التربة... يملك فلا يأشر ويقدر فلا يبطر... جاءت به الروايات وظهرت فيه العلامات ".[4]

لم يكن تلقيب المنصور ابنه بالمهدي موفقا، فقد رماه المحدثون والمؤرخون بعبارات التوهين بسبب أن الشخصية التي تتصف بهذا اللقب يجب أن تكون على قدر عال من الأخلاق والورع والمقبولية لدى الناس، إذ توضح كلمة عمرو بن عبيد للمنصور هذا المعنى، إذ سأل المنصور عن الفتى الواقف بقربه،فرد عليه المنصور:هذا محمد ابني، وهو المهدي، وهو

١. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٣، ص٣١٣.
٢. مقاتل الطالبين، ص٢١٨.
٣. مقاتل الطالبين، ص١٨٤.
٤. أنظر، البلاذري، أنساب الأشراف ج٤، ص٣٤٦.

ولي عهدي، قال أما والله لقد ألبسته لباسا ما هو من لباس الأبرار، ولقد سميته بإسم ما استحقه عملا".[1]

ونجد هذا الأمر في كلمة ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) جانبا من رأي المحدثين في موقف المنصور في تسمية ولده بالمهدي، إذ قال: "لما كان الحديث المعروف عند السلف والخلف أن النبي قال في المهدي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي صار يطمع كثير من الناس في أن يكون هو المهدي حتى سمى المنصور ابنه محمدا ولقبه بالمهدي مواطأة لاسمه بإسمه واسم أبيه باسم أبيه ولكن لم يكن هو الموعود به "،[2] وكذلك في موقف المؤرخ ابن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ) من حقيقة هذه الخلجات التي انتابت الناس حول شخصية المهدي العباسي، إذ قال:" وإنما لقب بالمهدي رجاء أن يكون الموعود به في الأحاديث فلم يكن به وان اشتركا في الاسم فقد افترقا في الفعل ذاك يأتي آخر الزمان عند فساد الدنيا فيملأ الأرض عدلا كما ملئت فجورا وظلما،... وقد جاء في حديث من طريق عثمان بن عفان أن المهدي من بني العباس وجاء موقوفا على ابن عباس وكعب الأحبار ولا يصح وبتقدير صحة ذلك لا يلزم أن يكون على التعيين وقد ورد في حديث أخر أن المهدي من ولد فاطمة فهو يعارض هذا والله أعلم"[3]

أمام هذه النصوص التي أظهرت مدى التأثير الذي مارسته فكرة المهدي من أثر بارز من قبل التيارات المتصارعة والشخصيات السياسية والدينية التي أرادت وضع هالة من القداسة عليها وعلى تصرفاتها من خلال توظيف هذا اللقب لما يحمله من معاني ودلالات حول شخصية بشر بها الرسول(ص) لكي تملأ الأرض عدلا من بعد أن تملأ بالجور، وما قام به أئمة اهل البيت عليهم السلام من دور بارز وفاعل في تنبيه الناس من الانجرار وراء الذين أرادوا توظيف هذه الفكرة لمآربهم السياسية.

النتائج

اظهرت الاوراق السابقة حجم الهالة الفكرية التي تركتها العقيدة المهدوية في اذهان

١. المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص٣١٣.
٢. منهاج السنة النبوية، ج ٤، ص٩٨.
٣. البداية والنهاية، ج ١٠، ص١٥١.

الناس لدرجة ان نلاحظ ان كلا من السلطتين الاموية والعباسية قد وظفتها في تمرير سياساتها ومشاريها التسلطية على رقاب الامة.

كذلك لاحظنا ان ثورات المعارضة لهاتين السلطتين هي الاخرى قد وظفت فكرة المهدي لاستجلاب العامة ومناصرتها في ثوراتهم.

لاحظنا في البحث ايضا قيام بعض الرواة بالتصدي لترويج احاديث المهدي لغرض التكسب والتقرب من السلاطين والعامة حتى يرتفع شأنهم.

وقف ائمة اهل البيت عليهم السلام موقفا صارما من المتقولين والمدعين للمهدوية حيث نجد كلا من الامامين الباقر والصادق عليهما السلام قد اسهما وبشكل واضح في تحجيم اثر كل مدعي ومن يطبل له من العامة ومن اتباعهم ومناصريهم.

قائمة المصادر و المراجع

- ابن أبي الحديد، عزالدين أبو حامد بن هبة الله (ت ٦٥٦ هـ/١٢٨٥م)
- شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢(القاهرة،دار أحياء الكتب العربية،١٩٦٥).
- البلاذري، أحمد بن يحي (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)
- أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار، ط١، (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦).
- ابن تيمية، عبد الحليم بن محمود (ت ٧٢٨ هـ/١٣٢٦م)
- منهاج السنة النبوية،تحقيق محمد رشاد،ط١،(الرياض، مؤسسة قرطبة،١٤٠٦هـ).
- ابن حماد، أبي عبد الله نعيم المروزي (ت ٢٢٨ هـ/٨٤٢م)
- الفتن، تحقيق سهيل زكار،ط١،(مكة المكرمة، المكتبة التجارية، ١٩٩٢).
- الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦ هـ/١٢٨٢م)
- معجم البلدان، (بيروت، دار صادر،لا.ت).
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ/١٠٤٤م)
- تاريخ بغداد،ط١، (القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٣١).
- إبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥م)
- المقدمة،(بيروت، دار إحياء التراث العربي، لا. ت).
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(٦٨١هـ
- وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان (د.ت)
- الزبيري، الزبير بن بكار(ت ٢٤٣ هـ/٨٥٧م)
- جمهرة نسب قريش، تحقيق حمد الجاسر، (الرياض،١٩٩٦).
- ابن سعد، محمد بن سعد كاتب الواقدي،(ت ٢٣٠ هـ/٨٤٤م)
- الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٩٦٧).
- لسلمي، يوسف بن يحي (ت بعد عام ٦٨٥ هـ/١٢٨٦م)
- عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر، تحقيق عبد الفتاح أحمد الحلو،ط١، (القاهرة، مكتبة اليقضة المصرية، ١٩٦٢).
- السيد الحميري، إسماعيل بن محمد الحميري (ت١٧٣هـ/
- الديوان: تحقيق: شاكر هادي شكر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (د. ت).

- الصدوق، محمد بن الحسن (ت ٣٨١ هـ/ ٩٩١م)
- عيون أخبار الرضا،تحقيق فضل الله الطباطبائي، (قم، المدرسة الفيضية، ١٣٧٨/١٩٥٨م).
- كمال الدين و إتمام النعمة، تحقيق علي اكبر غفاري، (قم،موسسة النشر الإسلامي١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
- ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر(ت ٦٦٤ هـ/١٢٦٥م)
- الملاحم و الفتن، (أصفهان، مؤسسة صاحب الأمر، ١٤١٦ هـ/١٩٩٦م).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠ هـ/ ٨٨٥ م)
- تاريخ الرسل و الملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ط٥،(القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧).
- ابن عساكر، علي بن الحسين، (ت٥٧١ هـ/ ١١٧٥ م)
- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري و آخرون، (دار الفكر، بيروت، ٢...).
- أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين (٣٥٦هـ/٩٦٦م)
- ألاغاني، تحقيق علي شيري،ط١،(دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢).
- مقاتل الطالبين، تحقيق سيد أحمد صقر،ط٢ (قم، المكتبة الحيدرية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
- كثير عزة، كثير بن عبد الرحمن الخزاعي (ت١٠٥هـ) .
- الديوان،جمعه وشرحه إحسان عباس، ط١ (بيروت،دار الثقافة، ١٩٧١).
- إبن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر(ت ٧٧٤ هـ/١٣٧٢م)
- البداية و النهاية،(بيروت، دار صادر، ١٩٦٧).
- المبارفوكي،عبد العليم.
- المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة،ط١ (بيروت،دار ابن حزم،١٩٩٩).
- المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥ هـ)
- كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال،(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩).
- المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)
- مروج الذهب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (مصر، مطبعة السعادة، ١٩٥٨).
- المقدسي، مطهر بن طاهر(من أعلام القرن الرابع الهجري)
- البدء والتاريخ،تحقيق كليمان هوار، (بغداد، مكتبة المثنى، لا. ت)
- المنادي، أحمد بن جعفر بن محمد (ت ٣٣٦هـ/٩٤٧م)
- الملاحم، تحقيق عبد الكريم العقيلي،(قم، دار السيرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

- مؤلف مجهول، (من أعلام القرن الثالث الهجري)
- أخبار الدولة العباسية، تحقيق، عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، ط١، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٧١).
- النعماني، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب
- الغيبة، تحقيق فارس حسون كريم، (قم، دار أنوار الهدى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
- أبو نعيم الاصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م)
- حلية الأولياء و طبقات الأصفياء، مصر، مطبعة الخانجي، ١٩٣٢.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت بعد سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م)
- التاريخ، تحقيق ادوارد سخاو، (بيروت، دار صادر، ١٩٨٨).

الأمام المهدي(عج) "الهوية، الانتظار، الرجعة"

الدكتور كاظم فاخر حاجم الخفاجي[1]

الملخص

عقيدة الامام المهدي (عج) المخلص هي عقيدة لازمت الفكر البشري منذ بواكيره، والعراقيون بالذات هم اول واهم في التاريخ من اعتقد بهذه الفكرة، انها إحدى المسلمات الرئيسة التي يمثل نقضها نقض الإيمان ذاته، لكل الديانات السماوية تقريبا، وللمتابع حرية الخيار أما أن يصدق مسلمات هذه الديانات وإجماعها على المهدي المخلص، أو يكذبها، فحتى الماركسيين يؤمنون بمخلص، وإن يسمونه سلطة المستضعفين (دكتاتورية البروليتاريا) التي ستنهي الإضطهاد الطبقي فيحل بوساطتها العدل والرخاء والسلام بين الشعوب وإلى الأبد.

إن المهدي رافق المخيلة البشرية منذ وعيها الأول، وقد ظهر بأسماء عديدة منها: يس، ياسين، سِث، شيت، زوس، دوموزي، عجل، سنبل، هلال، عاذيمون، أمانوئيل، مار إيل يس (مارالياس ـ يس إبن ئيل) جي ار جي يس (جرجيس)، مقه، خضر، إله الظلام، الخ.

من ذلك ينطوي ولاء الشيعي عموماً الى حالة الاستغراق التي يستشعرها في حالات الاستحضار الرمزي للأئمة الذي يعتقد جازماً انهم ليسوا كهنة للعلم بل هم احد اسبابه الموجبة، لذلك يتوجب على الموالي لهم ان يبشر بهم بمعرفة روحية وليست معرفة تجريبية

---

١. كلية الآداب، جامعة ذي قار، العراق.

وهي معرفة منقذة مخلّصة، مخلّصة لانها معرفة، ومعرفة لانها منقذة، انها اذن معرفة لايمكن تحيينها الا بولادة جديدة، بولادة روحية، فانها معرفة في ذاتها كمعرفة طابع سر مقدس، وعلى وفق ذلك استوى البحث على ثلاثة مباحث تتعلق بظهور الامام المهدي (عج)، كانت على الترتيب:

ـ الهوية، رمزيتها، عند الشيعة والآخر

ـ الإنتظار، بين الالغاء والتهميش

ـ التداخل الماهوي بين عصر الرجعة وعصر الظهور

الهوية، ورمزيتها عند الشيعة والآخر

لقد كانت من أولى المهمات السياسية للرسول الكريم(ص) بعد ظهور الإسلام هو تأسيس نظام يحكم التشتت الذي عرفت به العرب وتأكيد إنسانية الانسان من خلال إرساء مفهوم جديد للزمن الذي تأكد من خلال نواتين أساسيتين هما:

الأولى: قيام دولة جديدة أساسها المشروع الأيديولوجي والأخلاقي الذي جاء به الإسلام الذي حول الشتات الاجتماعي والسياسي العربي الى بناء محكم من خلال بناء دولة الامام المهدي (عج).

الثانية: هي المشروع او المضمون السياسي والايديولوجي والنسق القيمي والأخلاقي الجديد للإسلام نفسه. وفي اكتمال الرسالة ونهاية كل اشكال الدين الموحي، فمحمد(ص) هو خاتم الأنبياء، ذلك ان الإسلام لا يعد نفسه دينا جديدا يضاف الى قائمة الديانات السابقة عليه، بل كتصحيح لها وبعث النظام فيها، وبهذا يكون الإسلام هو إعادة تأسيس لإيمان قديم موجود في اسلام إبراهيم (ع)، لما لحقه من نسيان.

في الواقع يعد مفهوم الهوية من المفاهيم التي نجد صعوبة في إيجاد تعريف واضح ومحدد لها، فهو مفهوم أيد يولوجي أكثر منه مفهوم علمي، خاصة وأنه يمكن التعبير عن الهوية من خلال سمات تشترك فيها الجماعة الواحدة مثل الدين أو القومية واللغة أو العرق، وهذه السمات متغيرة حسب طريقة استخدامها وتوظيفها، فتحديد الهوية مسألة بالغة الصعوبة فلقد أصبح العالم اليوم أكثر توافقاً وتضامناً، اذ أن التكنولوجيا أصبحت تتسابق مع قدرة

وكفاءة الإنسان ومحاولة التكيف في بيئة مختلفة ومتغيرة.[1]

كما يميزبول ريكور في كتابه " الذات عينها كآخر" بين هوية ذاتية تتميزبالثبات و التغير فهي هوية تحافظ على ذاتها رغم تغيرالزمان و يمثل الطبع ماهوثابت لا يتغيرو تنتمي هذه الهوية إلى الوجود الذي يطرح الأسئلة حول وجوده في حين أن الهوية عينه تشكل هوية ثابتة لا تتغيرفهي أقرب إلى مفهوم الجوهربما فيه من ثبات و دوام و هي هوية تنتمي إلى عالم الأشياء إذ تمكن أن نستعملها كما نشاء و بذلك تكون الهوية الشخصية هوية تنطلق من ثابت يصاحب الذات في الزمان و تصبح هوية سردية أي قصة ذلك الذي يروي حياته بأكملها و يدخل عليها عناصرخيالية فهي إذن ديالكتيك بين الهوية الذاتية و الهوية العينية،إنها تشيرإلى ذات تتميزبالقدرة على الكلام و التواصل مع الآخرو هي الذات الفاعلة و الأخلاقية التي تسرد قصة حياتها و تنشد الحياة السعيدة مع الآخرو قوامها العدالة بما هي إنصاف و الديمقراطية القائمة على حوار مفتوح بين جماعة خصوصية و بين البشر جميعا بشكل يتجاوز كل نزعة مركزية أو إقصائية أو تعصب قد يؤدي إلى العنف فالذات لا تعيش لوحدها بل إنها تكشف و تكتشف ذاتها بين آخرين هذا الآخرهو القريب الذي نتعاطف معه أو القريب البعيد أي الغريب الذي أعتني به و أرعاه أي أن علاقتي بالقريب علاقة مباشرة تحكمها الرعاية المساواة كما في الصداقة أما علاقتي مع الآخرالبعيد الذي ليس بيني و بينه أي مواجهة مباشرة فهوأي إنسان فهذه العلاقة تحكمها العدالة و الاحترام.

وقد ترتبط الهوية في مجمل تجلياتها بالتاريخ وطريقة روايته ليس لان الانسان بحاجة الى معرفة الحقيقة كما يظن لأول وهلة وانما يريد ترتيب ذاته وتنميط تفكيره تبعا لخصوصيةٍ يشعربوجودها او انه أحد اسبابها لذلك فهو يستمع للتاريخ بفرعيه المعلن والسري، المعلن لأنه جزء من النظام العام الذي تمرره السلطة، والسري لكونه المكون الرئيس للذاكرة التي ينتمي اليها بحق، والدين هو الواسطة او الشفرة التي يصوغ عبرها الافراد في بلورة تصوراتهم للعالم، ومن خلال طقوس الدين ينظم الانسان مظاهرتراصه مع الاخرالمتماثل من جهة والتماس وسائل تقوية وجدانية لعلاقته مع الاخرغيرالمتماثل.

---

١. بنية العقل العربي، محمد عابد الجابري، دار المركزالعربي للكتاب، القاهرة، ط٢، ص١١٢

. ان التشكل الكاذب للهوية هو احد الاسباب الرئيسة التي تجعل من الانتماء معوقا وهو الدافع المركزي الذي يجعل الانسان يوجه معاول هدمه وانتقامه لأركان هويته المؤسسة، اذ ان انعدام فهم الانسان لعناصر هويته المؤسسة تؤلف احد اسباب جلده لذاته الجمعية وتجاهله المرضي لعدوه المفترض لكونه لايرى في غير ذاته الجمعية عدوا له، واظن ان استلام الروافد الثقافية التي تؤسس لهويته الاولى من مصادر مناوئه سيكولائية يؤلف احد الاسباب المهمة التي تجعل صاحب الهوية المعوقة لايجد في غير رموز هويته المؤسسة أعداء محتملين ودائمين له فضلاً عن وجود رواسب سايكلوجية تجعل انتقامه مبررا من ذلك لأنه بهذا يقدم فروض طاعته للجلاد الذي لايستطيع مغادرته في اعماقه، والهوية صلة وجدانية تعبر عن شعور متراكم بقوة الانتماء الى روح جماعة محددة تتقاسم فيما بينها رؤية محددة تجاه التاريخ كما تتضمنها رؤية ثقافية تنبعث من ضرورات المكان والافكار العقائدية المشتركة التي تنمط مستويات التفكير عند تلك الجماعة فيصبح منجزها الثقافي والفني منتميا بطريقة سرية لتلك الروح وان انفصم عن الابعاد المؤسسة بفعل تزاحم الانتماءات الجانبية للإنسان لأنها تتسرب بطريقة لاواعية الى ذلك المنجز فتطبع تلك الافاق المبتكرة ببصماتها وان تقاطعت معها بالأصل.[1]

انشطار الهوية يؤدي الى ضياع ردة الفعل لأنها تتلاشى في مستنقعات الخيارات المتضادة والشعوب التي تعاني من انقسام الهوية، تعمد الى انتاج بدائل تديم الصلة مع تاريخها المصادر، وعادة ماتكون تلك البدائل سرية ومخاتلة، وقراءة التاريخ بطريقة انتقائية تعمد الى تشذيبه بما يتوائم مع خطاب السلطة الحاكمة التي تستمد مقومات بقائها من التاريخ المؤدلج من اهم اسباب انفصام الهوية عند الشعوب وكلما تصالح الانسان مع التاريخ وقرأه على وفق مرجعياته الوجدانية والثقافية كلما كانت هويته متراصة ودائمة.

تساهم الثقافة في اعطاء الحيوية المنعشة للهوية بتغذيتها وسائل الاصطفاء الضرورية لبقائها متراصة وحية، كما انها تمدها بوسائل التجذير الذي يعطيها شعور بالانتماء الى اصل مؤسس نقي، واي تجفيف لمنابع الثقافة فان ذلك السبب مدعاة لانتحار الهوية وبحث

١. الهوية المركبة ومحددات المنظور الإسلامي، مبارك بن خميس الحمداني، مجلة ثقافات البحرينية، ع ١٢، ص ٤

الانسان عن هويات بديلة تملأ علاقته وصراعه مع الاخر وتضخ فيه ذاكرة جديدة لكنها تنتمي لثقافة هجينة في نظره لذلك يبقى ارتباطه متأرجحا لفترة طويلة قبل ان تختمر عناصر الثقافة في اعماقه. وقد يتنصل الانسان عن هويته بمجموعة شروط لعل اهمها جفاف المنابع الثقافية التي تغذي نظامها الرمزي بهوامش معرفية كافية للشعور بقوة الانتماء، كما ان القوة الباطشة التي تجعل مجموعة ما مقصية ومفرغة من عناصر ارتباطها الجيني الثقافي تصبح معه تائهة بحاجة الى اية هوية بديلة تتقمصها لكي تستمر مادام الانتماء الاول توارى بفعل هيمنة القوة الجديدة، اما الشرط الثالث من شروط الاستبدال فهو حين يحتكر المركز الذي يمثل النخبة داخل الجماعة شروط التفسير والاعتراف وشرعنة الانتماء الى فتح فجوات من التغريب بينها وبين الهامش اذا ماعلمنا ان للهامش دور مركزي في توجيه النخبة احيانا كثيرة وهي الفجوة التي تجعل من الهامش بحاجة الى اللجوء الى هوية مغايرة تحتوي وجوده وتعيد لنفسه لذة الانتماء المؤثر وشرعية الاعلان الخالي من ترهلات المركز، وهناك شرط اخير اظن انه مساهم بشكل فعلي في تقمص الانسان الى هوية بديلة وهو خواء الانظمة الرمزية للمجموعة التي ينتمي اليها من الاجابة على الاسئلة الامر الذي يجعله بحاجة الى هوية اخرى لاتتركه فريسة لاسئلة مبهمة، لكن ان يستبدل الانسان هويته فهو حق مشروع لان الانسان بالاصل تشكيلة متعددة من الهويات الناقصة لكن ان يتحول الى ند الى هويته الاولى[1]

الثقافة ذاكرة بالاساس وعملية ممارسة واعية في تحويل الواقع الى رموز مشفرة كي يمكن استيعابه وترويضه ايضا، وهي الرمزية الكافية لابتكار نشاط سردي يؤلف هامشا من هوامش تأسيس الفرق النوعي الذي يشعر الانسان باعتزازه في الانتماء الى مجموعة ما تحتفل ذاكرتها بنشاط سردي ثري سيؤلف احد الاشتراطات المهمة للانتماء وبحسب بول ريكور:" فان السرد يكوّن الهوية ويعيد صياغتها بالطريقة ذاتها التي يقوم بها التحبيك بتشكيل التاريخ واعادة صياغته ومن هذا المنظور فالهوية فعالية سردية"[2]

---

١. الجذور المؤسسة للأساطير في العقل العربي، ناجي عباس مطر، دار تموز للطباعة للنشر، بيروت، لبنان، ٢٠١٣، ص ١٣٣

٢. بول ريكور

يعمد الانسان عادة الى ترصين الهوية لديه باثر رجعي يسكب عليه مختلف انواع التقديس والمجد لكي يجعل لائتمائه معنى، على اننا يجب ان ننتبه الى مفصل مركزي في تشييد الهوية لدى الانسان انها لايمكن ان تتمركز بغير نفي الاخر ولايمكن ابدا لها ان تنمو في شروط صحيحة بغير ذلك، بشرط ان يقوم ذلك النفي على اساس المغايرة والتنافس وليس على اساس الشطب الوجودي لان وجود الاخر ضرورة اجتماعية واقتصادية، ولكن الهوية عادة تقوم على اساس الاصطفاء الامر الذي يستدعي نفيا ثقافيا للآخر لكي تتكامل شروط الانتماء على اساس التفرد المتوارثة بشكلها العلني او السري قادرة على انتاج بنية معرفية تستطيع انتاج خطاب مغاير للخطاب السائد ينبع من الخصوصية لتلك الفئة التي تحركها ذاكرة مشتركة موزعة في اللاوعي الجمعي وتعيد انتاج الواقع في ضوء ذلك الموروث السري لذلك فان اية محاولة لمحو الوعي واستبداله بآخر لابد ان يتعثر بقوة الذاكرة السرية وهو الامر الذي يفسر لنا فشل الايديولوجيات والأديان والجيوش في صياغة وعي عراقي حيادي معزول عن جذوره المؤسسة.

ان الشعور بالظلم حين يتخذ شكلا ثقافيا يشرعن الاضطهاد في مساحات جماعية يولد لدى اعضاء المجموعة التي تقع ضحية التمييز المتراكم شعورا قويا بضرورة البحث عن المتماثل معه في المظلومية بحثا عن اكتساب قوة رمزية تجعل مشترك الاضطهاد حبلا يربطه بمن يتوقعه جزءا من هويته فبحسب دينيس كوش، فان الهوية تحيل الى معيار انتماء واعي ضرورة اذ هو ينبني على تعارضات رمزية، وحين تظل الرغبة للبدو باضطهاد سكان العراق الاصليين بشعارات كاسدة فانهم بذلك يجبرونهم بضرورة البحث عن قوة رمزية غريبة متماهية مع شروط الاضطهاد الذي يعانون منه لكي تكون رصيدا ثقافيا واجتماعيا لهم يتيح فعل المعارضة للأفكار ان ترتقي نحو الافضل لان هاجس المعارضة يكون باكتساب مشروعية البقاء ونيل التبعية اكثر من محاولتها الهيمنة لذلك فان ايقوناتها تتبدل تبعا لحركة المجتمع ولظروف الايديولوجيا، واذا كان لها من مقدس فانه ينزوي في منطلقات روحية محضة لان حركتها في مجملها خارجة على تصانيم المقدس فهي خاضعة للمناورة ولشروط الواقع، فيما تتحصن السلطة في طروحاتها لانها وان ابتدأت بمناخ يوتوبي لكنها سرعان ما تتخشب رؤاها في اطار ايديولوجي احادي الامر، الذي يجعلني اؤمن ان السلطة اية سلطة

لايمكن لها ان تخضع لشروط النجاح بغيران تتذوق طعم المعارضة بين حين واخروهذا التزحزح وان كان مؤقتا يتيح تبدلا في الستراتيجية وتعمقا في الرؤى فلو لم تؤمن السلطة بضرورة الانتقال السلمي والتبادل فانها تكتسب بذلك مسحة ثيوقراطية غير مبررة، فالدين وحدة من يحكم ولايحاكم او يتبدل، بينما الدولة تحكم وتحاكم على وفق السياقات الثابتة للوجود الانساني وحين تؤمن الدولة بأحقيتها المطلقة وثباتها فأنها بذلك تتحول الى وثن يجب العمل على تكسيره.[1]

تتحول الهوية الى بنية ثقافية حينما تمنحها الثقافة وسائل ترصين وسلطة معرفية تجعلها مهيأة لكي لا تكون بحاجة لتبرير وجودها واختلافها عن الاخر، ايضا لانها توفر له خصائص التفرد الكافية لكي يشعر بالثقة حيث ان آلية الثقافة تقوم على معيارية معاداة النسيان على عكس السلطة التي تشتغل على اساس معاداة التذكر وبين هذا وذاك تصبح الهوية حصنا يحتمي في ظله الانسان من وحشية الاغتراب.

كل انسان بحاجة الى قوة تحميه فاذا عدمت القوة الارضية المتمثلة في الدولة العادلة لجأ الى الغيب يستدين منها ما يجعله آمنا ومستقرا، وحيث ان المقدس الذي تطرحه المفاهيم الدينية وهو سبب رئيس للاطمئنان متعال وغامض فان الطقوس تتيح له ان يجربه ويجسده قريبا منه فاذا كان يمتلك ادوات معرفية بسيطة يستطيع ان يكتفي بالمفاهيم عن تجربة المقدس واذا كان جاهلا فانه يتطرف في اختراع وسائله البدائية التي يظن من خلالها انه يقترب من امتلاك المقدس وهو التطرف الذي يقود المرء حتما الى الوحشية والغرائبية في عملية اصطياده لما ينشدها الدين مجموعة من القيم الثابتة والمفاهيم الهلامية التي تطرح تصورا متعاليا للحياة عبر ربطها لأصول غائبة غير خاضعة لمتغيرات الزمان في نص منزل لايمكن دحضه او مواجهته او محاكمته، فيما يشير التدين الى مجموع الاجتهادات التي يبتكرها الفرد او الجماعة في حراكهم لانزال ذلك الثابت المتعالي وتجسيده في فعل مرئي يمكن رصده وتحسسه فضلا عن تحركه في متغير زماني مجسد.

واذا كان الدين يطرح المقدس بقيمته الاعتبارية الرمزية المفتوحة بطريقة غامضة وغائمة

١. الجذور المؤسسة للأساطير في العقل العربي، ناجي عباس مطر، دار تموز للطباعة للنشر، بيروت، لبنان، ٢٠١٣، ص ٧٨

لكي يظل متوهجا في اطار التأويل فان الدين يوفر فرصة لاختبار المقدس والخوض فيه سواء من خلال تجسيد ابعاده التجريدية في حركة معلنة او من خلال اختراع نائب عنه يمكن له معايشته او استحضاره رمزيا في ذلك الوعي الابتدائي لذلك فان الانسان حين يجد وسائل معرفية كافية لإعادة تجربة المقدس يكتفي بما لديه في معايشته للمقدس فيما يلجأ الانسان الامي الذي لايملك ادوات بديلة تغنيه عن البحث عن طريقة ما لاكتشاف المقدس وتجربته للتطرف في بدائله البدائية لكونه بحاجة ماسة لامتلاك المقدس رمزيا وهو الامر الذي يفصح لنا كيف يتطرف الانسان الجاهل في اختراع وسائل متوحشة في طريق تدينه فيما يكتفي رجل الدين او العارف ببدائله المعرفية على ماتكون عليه لكونه ليس بحاجة للاكتشاف.

الدين عادة بحاجة للتأويل فلا يمكن للدين ان يبقى فاعلا بغير مساحات التأويل التي يفترضها والتي تقدم له حلولا للثغرات والفجوات التي تحاصره فالأخطاء المنطقية تصبح مثالاً في ظل التأويل والاحالة المنتجة بفعل عدم الاقرار على معنى نهائي في النص المقدس او في التاريخ المقدس للدين ايضاً وعملية التباين في التأويل سواء للنص المقدس او حواشيه ترجح الى انتاج الطوائف والفرق فضلا عن دور الخلافات السياسية التي تتخذ من الدين عادة في تكوين قاعدة بيانات لتبرير وجهات نظرها الفارقة.

الإنتظار، بين الالغاء والتهميش

الانتظار بمفهومه العام دعوة الى الرفض، لا الى الاستسلام، رفض الباطل والظلم والعبودية والذلة، وهو راية المقاومة الراكزة في مواجهة كل باطل وظلم وكل ظالم،

يقول احمد امين: " ان الدنيا في الشرق والغرب مملوءة ظلماً، وذلك في كل العصور، وقد حاول الناس كثيرا ان يزيلوا الظلم عنهم ويعيشوا عيشة سعيدة في جوّ مليء بالعدل فلم يفلحوا، فلما لم يفلحوا امّلوا، فكان من أملهم امام عادل، ان لم يأت اليوم فسيأتي غدا وسيملأ الأرض عدلا، وستتحقق على يديه جميع الآمال "[1]

في زمن الرسول الكريم(ص) نراه مصرحاً وصادحاً بصوته بضرورة الايمان بالمهدي وان

١. المهدي والمهدوية

المنكر له يعد كافرا، بل اكثر من هذا، فان انتظار المهدي الموعود هو عقيدة الأنبياء والمرسلين كما سبق الإشارة اليه، قال تعالى: " قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ "[1]

فقد جاء في الحديث الشريف عن محمد بن الفضيل، عن ابي الحسن الرضا(ع) قال: سألته عن الفرج؟ قال: ان الله عزوجل يقول " فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ "،[2] وعن احمد بن محمد بن ابي نصر، قال: قال الرضا (ع): " ماأحسن الصبر وانتظار الفرج، اما سمعت قول الله عزوجل:" وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ "[3] و " فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ "،[4] فعليكم بالصبر فانه انما يجيء الفرج على اليأس، فقد كان الذين من قبلكم اصبر منكم ".[5]

انتظار المصلح العالمي لا يتوقف على كثير من هذه المقومات المدّعاة، بل اكثر من هذا لا يتوقف على الاعتقاد بوجود الله تعالى، لأننا نجد ان الانسان الديالكتيكي المادي يعتقد بضرورة صلاح العالم في يوم ما على يد رجال اكفاء يعم في عصرهم الرخاء والمساواة والحرية.

يقول الشهيد الصدر" قدس سره الشريف" في بيان عالمية الانتظار وعدم اختصاصه بفئة دون أخرى: " لم يقتصر الشعور بهذا اليوم الغيبي والمستقبل المنتظر على المؤمنين دينيا بالغيب، بل امتد الى غيرهم أيضا، وانعكس حتى على اشد الأيديولوجيات والاتجاهات العقدية رفضا للغيب والغيبيات، كالمادية الجدلية التي فسرت التاريخ على أساس التناقضات، وامنت بيوم موعود تصفى فيه كل تلك التناقضات ويسود فيه الوئام والسلام.[6]

---

١. سورة الأعراف، اية ٧١

٢. كمال الدين الشيخ الصدوق / ت علي اكبر الغفاري، ١٤٠٥ ه / مؤسسة النشر الإسلامي / قم ص ٦٤٥ باب ٢٥ / ح ٤

٣. سورة هود، اية ٩٣

٤. سورة الأعراف، ٧١

٥. كمال الدين الشيخ الصدوق / ت علي اكبر الغفاري، ١٤٠٥ ه / مؤسسة النشر الإسلامي / قم ص ٦٤٥ باب ٢٥ / ح ٥

٦. بحث حول المهدي، محمد باقر الصدر، مركز احياء التراث، النجف الاشرف، ط١ ص ٥٣

وفق ذلك نستطيع القول، ان ولاء الشيعي ينطوي عموما الى حالة الاستغراق التي يستشعرها في حالات الاستحضار الرمزي للأئمة الذين يعتقد جازماً انهم ليسوا كهنة للعلم، بل هم احد أسبابه الموجبة، لذلك يتوجب على الموالي لهم ان يتشربهم بمعرفة روحية وليست معرفة تجريبية وهي " معرفة منقذة مخلصة، مخلّصة لانها معرفة، ومعرفة لأنها منقذة، انها اذن معرفة لا يمكن تحيينها الا بولادة جديدة، بولادة روحية، فانها معرفة في ذاتها كمعرفة طابع سر مقدس ".[1]

التداخل الماهوي بين عصر الرجعة وعصر الظهور

تختلف الرجعة في حقيقتها عن طبيعة الحياة الأولى والولادة في دار الدنيا، كما تختلف أيضا عن التناسخ والنسخ، وتختلف كذلك عن المعاد الأكبر في يوم القيامة.

والرجعة في تعريف كثير من علماء الامامية هي معاد أصغر، ولكن هناك بعض الاختلاف بين الرجعة والعود الأصغر الى دار الدنيا، وبين المعاد الأكبر.

ويمكننا تعريف الرجعة بكلمات مضغوطة ومختصرة وهي: ان الرجعة عبارة عن عودة الانسان الى دار الدنيا بجسده الدنيوي الذي جعل في القبر ـ يعني خروج الانسان من القبر الى دار الدنيا ـ هذه هي الرجعة، بخلاف القيامة الكبرى، فهي رجوع الانسان بجسده من القبر، ولكن ليس الى دار الدنيا، بل الى دار الآخرة.

فأذن هناك اشتراك بين المعاد الأكبر الجسماني والرجعة في ان الرجوع بالجسم، ولكن تختلف الرجعة كمعاد أصغر عن المعاد الأكبر، بان الرجعة رجوع الانسان بجسمه الى دار الدنيا، اما في المعاد الأكبر، فرجوعه الى دار الآخرة؛ فيكون الرجوع التكويني في القيامة بالجسم الى دار الآخرة، بينما في الرجعة يكون الرجوع الى دار الدنيا، وهي الأرض، ارض الدنيا، فكل منها رجوع بالجسم، ولكن الرجوع مختلف؛ هذه هي جهة افتراق حقيقة الرجعة عن المعاد الاكبر،

واما فرق الرجعة عن التناسخ، او عن الحياة الأولى حين الولادة، فهو يكمن في كون الحياة الأولى، التي تولد منها الانسان، عبارة عن خروج وولادة من ارحام الأمهات ونطف

١. في الإسلام الإيراني جوانب روحية وفلسفية، كوربان، بيروت، دار الانتشار للكتاب، ص ١٢

الإباء، بينما في الرجعة عود الانسان بجسمه الى القبر؛ ومن ثم كان اختلاف من هذه الجهة أيضا بين الرجعة والاستنساخ.

طبعاً التناسخ معتقد باطل، بينما الرجعة عقيدة حقة، والتناسخ على اختلاف مذاهب القائلين به له تعريف مشترك: وهو ان التناسخ هو عبارة عن عود الانسان الى نطفة جديدة الى رحم جديد، سواء كانت نطفة في رحم انسان او حيوان، او كانت بذرة نبات او طينة جماد، فهنا التناسخية يقولون: ان العود اما الى انسان او نبات او حيوان او جماد، والمهم ان تتعلق الروح العائدة من القبر لا بالجسم السابق، بل بمادة جسمانية جديدة أخرى، وتبدا دورة جديدة، اما دورة نباتية او دورة حيوانية او دورة إنسانية، تبداها من جديد؛ وهذا هو الفرق الثاني بين حقيقة وماهية التناسخ وبين ماهية الرجعة.

التساؤل هنا، ماجاء في كتب الإمامية: ما هو سبب عدم خوض كثير من أجيال علماء الأمامية في تنقيح صور تفاصيل احداث ومراحل الرجعة كظاهرة تكوينية مستقبلية يشهدها البشر؟ أي ما هو السبب في انحسار جهود الاعلام طيلة هذا القرون وعدم توسعهم في بحوث الرجعة؟

والجواب عن ذلك، يمكن تلخيصه في جملة من الأسباب،[1] وهي كالتالي:

اشتغال معظم الاصحاب بالدفاع والحوار الجدلي مع بقية الفرق والأديان، مما أستنزف الكثير من الجهود، وليس ذلك فحسب بل ان هذا الاشتغال حبس دائرة ودرجة مستوى البحث العلمي الى مستوى متواضع يعيشه فكر الطرف الأخر من الأديان والمذاهب.

صعوبة البحث في الرجعة وغموض جملة من المباحث والابواب مع قلة الجهود المبذولة في هذا الباب، مما يجعل طرق البحث فيه عرة.

عدم جمع روايات الرجعة في ضمن موسوعة كتاب وعدم تبويبها، لا سيما من المتقدمين، وهذا مما يستلزم صعوبة تكوين وتصوير نظرة جامعة حول الرجعة لدى الباحث.

صعوبة فهم الرجعة على كثير من الفرق والأديان، حتى ان الكثير منهم خلط بين الرجعة والتناسخ، نظير الخلط الذي حصل لدى الفرق الأخرى في مبحث الامامية، حيث التبس

١. الرجعة بين الظهور والمعاد، ج ١، تقريز: الأستاذ المحقق الشيخ محمد السيد، جمع من الفضلاء، ص ٣٩

الامر لديهم بينها وبين النبوة، واستعصى عليهم تمييزه وتفكيكه عن بحث (النبوة)، فكذلك حصل الخلط بين مبحث الرجعة وبين مباحث أخرى كمبحث المعاد، فانه يصعب تفكيكه وتمييزه عن المعاد الأكبر الذي هو عقيدة حقة، وكذلك يصعب تمييزه على الكثيرين عن التناسخ ونحوه صعوبة تميز الرجعة من العقائد الباطلة، هذا مع انضمام بعض الأسباب الأخرى سبب احجام كثير من الاعلام عن الخوض في الرجعة وتفاصيلها، لا سيما وان كثير من اهل الخلاف قد شدد الانكار والتشنيع على عقيدة الرجعة.

ان عقيدة الرجعة مع كونها من المسائل والابواب الاعتقادية المهمة الا انها ذات طابع سياسي خطير، لأنها ترمز الى دولة آل محمد صلوات الله عليهم اجمعين، وهذا مما يقلق الدولة العباسية والدول والأنظمة السياسية التي نشأت بعدها، فكان الخوض في الرجعة ـ ولازال ـ نظير الخوض في الظهور والمشروع المهدوي ذو طابع سياسي تتحسس منه السلطات والحكومات، لأنه مشروع إقامة الدولة.

كما اتخذ الشيخ الصدوق (قدس) في كتاب الاعتقادات منهجاً خاصاً، اذ ذكر أنواعا والوانا من الرجعة معتمداً على تقسيم الموت الى أنواع ودرجات تتداخل فيها حقيقة النوم غير الطبيعي مع الموت، وهذا يدلل على ان الصدوق نقّح بعدا عقليا في الرجعة معتمدا على إشارات في روايات الرجعة تشير الى سعة وكثرة أنواع انفصال الروح من الجسد وعودها اليه، وجعل هذا البعد العقلي محورا مهما في تفسير وتحليل حقيقة الرجعة، لكنه لم يبسط فيه الكلام بل التفت اليه اجمالا وبنحو ارتكازي.[1]

نراه قد رسم للرجعة رسما عقليا متخذا من الرسم القرآني، حيث جعل نومة أصحاب الكهف ويقظتهم منه برهانا على عود وبعث الأموات الى المعاد كما أشار الى ذلك القرآن في جملة من الآيات، كما في قوله تعالى:(قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)،[2] فاطلق على اللبث في القبر انه نوم في المضجع، وكذا قوله تعالى (اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى

---

١. المصدر نفسه، ٤٠

٢. سورة ال عمران، اية ١٥٤

إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)،[1] فتشير الآية الى حقيقة مشترك بين الموت والمنام. وكذلك الحديث النبوي المعروف (كما تنامون تموتون، وكما تستيقظون تبعثون)، وغيرها من بيانات القرآن والسنة المطهرة للمعصومين (عليهم السلام)، من ان هناك ترادفا عقليا بين النوم والموت وهو انفصال الروح عن البدن، وهو على درجات متفاوتة، بل ان النوم على درجات كبيرة كما ان الموت أيضا على درجات كثيرة، وان هناك اشتراكا وترادفا عقليا بين اليقظة من النوم والبعث من الموت في جزء من ماهيتهما وهو عود الروح الى البدن.

ان غايات الرجعة وفلسفتها بصورة عامة تكمن في كون حياة هذه الدنيا قد قدر الله تعالى لها ان تبلغ باهلها كمالات عالية، ولكن جور الظالمين، والفساد في الأرض حجب هذا المشروع الأهلي، وبالتالي فان كل فرد له كمال المنشود الذي لابد ان يصل اليه، والرجعة عبارة عن فتح اب الفرصة مرة أخرى؛ لتكامل كل انسان وبلوغه الكمال المنشود ولتفتح له فرص التكامل وفرص الخير في ضل دولة العدل؛ لان من دون دولة العدل لا يمكن ان تفتح للإنسان الفرص والمال لكي يبلغ مجاله، ولا المجتمعات ولا الشعوب أيضا تكون قادرة على نيل كمالاتها، بنما في ضل دولة العدل يمكن حصول ذلك لكل انسان، بل ان هذا القانون عام، يلقي بضلاله على كل البيئات، ولا يختص بالبيئة الإنسانية، فحتى بيئة الجن والحيوانات والنباتات والطبيعة وكل البيئات الأخرى، لا يمكن ان تبلغ الكمال المنشود الا في دولة العدل.

واما غاية رجوع سيد الشهداء، فلها ميزان وضابطة ومنوال على منوال رجوع بقية أئمة اهل البيت(ع)، وهي امر عزوجل كل امام من أئمة اهل البيت يقوم بمهمة في هذه الأرض، وهذا الذي ورد في رواية: انه نزل على النبي كتاب مختوم بخواتيم، خاتم فيه ما امر به النبي (ص)، وخاتم فيه ما امر به امير المؤمنين(ع)، وهكذا الصديقة فاطمة والحسن والحسين وبقية الأئمة(ع)، فكل امام ومعصوم يعمل بها ختم في ذلك الكتاب، الا ان الظالمين حالوا بين أئمة اهل البيت (ع).

---

١. سورة الزمر، اية ٤٢

الرجعة عموما كما وردت في بيانات اهل البيت(ع)، بل حتى في بيانات القرآن الكريم، قطبها ومحورها هو امير المؤمنين(ع)، وان كان وانتهى وقة الرجعة سيكون على يد سيد الأنبياء(ع)، ولكن مع ذلك كله، فان بدء الرجعة عن سيد الشهداء، له رمزمعين، يرمز ويشير الى امر عظيم، ثم انه بحسب البيانات الموجودة في الروايات، ومقدار التدبر الذي وفقنا لاستنباطه، هو ان سيد الشهداء سلام الله عليه كان مشروعه مشروعاً للبشر والبشرية عموماً، والذي نلاحظ ان النبي(ص) قد بدء بمسير ذلك الإصلاح العظيم، ثم أكمله امير المؤمنين ثم فاطمة والحسن(ع)، الا ان بني أمية والطغاة حاولوا ان يفشلوا هذا الموضوع، ويحرفوه عن مساره، بالتحريف والتكذيب والافتراء، كما حرفت الأديان بعد جميع الأنبياء الى يهودية ونصرانية وبوذية ومجوسية وما شابه ذلك؛ وهنا جاء دور.

في الحقيقة قد ذكرت للكثير من المراكز ـ التي تبحث حول مشروع الامام الثاني عشر(ع) ـ ان معرفة ظهور الامام المهدي (عج) لا يستتم الا بمعرفة الرجعة وبدا برجعة سيد الشهداء، وذلك لان تعريف الشيء بغايته اتم بياناً من تعريف الشيء ـ كما يقال: بأجزائه الذاتية او بجنسه وفصله ومادته وصورته، وغايته هو الكمال الذي سوف تنجزه حكومة اهل البيت(ع)، فاذا لم تعرف الرجعة لا يمكن معرفة حقيقة المشروع الامام المهدي (ع)؛ لأنها غايته بنص ما جاء في الروايات، من انه موطئ وممهد. وقد وردت في بيانات روايات ظهور الامام الثاني عشر(ع)، ان اول ما يحدث من ارهاصات في ظهوره هو رجوع الموتى، منهم: سلمان الفارسي، (المحمدي)، ومالك الاشتر، والمقداد، وأبو دجانة الأنصاري، ويوشع بن نون، وسبعة من اهل الكهف، وخمسة عشر من قوم عيسى(ع)، وهم القيادات في جيش الامام المهدي؛ اذاً بدء ظهور الامام، يكون بمرحلة من مراحل الرجعة.

ثم ان اول به في الصيحة السماوية قبيل الظهور هو عنوان يحمل الدعوة الى مشروع الرجعة، حيث ينادي: هذا علي قد كر لينتقم من الظالمين، أو: الحق مع علي وشيعته، فينادي بالرجعة عدة صيحات قبل ان ينادي باسم الامام الثاني عشر، بعد ذلك يناد باسمه (ع)، وعبارة أخرى: ان في عصر ظهور الامام يوجد نوع من التداخل بين ماهية الرجعة وماهية الظهور، او بعبارة ثالثة: هناك نوع من المساهمات للأموات حينما يرجعون مع الاحياء لإنجاز المشروع الأهلي وبناء الحضارة الاهلية على الأرض.

حكومة الامام المهدي بين الظهور والانجازات

الدكتور ستار قاسم عبدالله [1]

الملخص

احتل الاعتقاد بالمهدي مكانة بارزة في الإسلام بوصفه دينا على صعيدي القران والسنة المطهرة، فقد برزت نظرية الاعتقاد بالمهدي المنتظر بصورتها الكاملة والواضحة والبعيدة عن التوهم والغموض، حيث اكد دين الاسلام حقيقة وصحة هذا الاعتقاد العالمي المتواتر ثم ابرز كلياته وتفاصيله الدقيقة وأزال ما لحق بهذا الاعتقاد من نقص وزيادة وتوهم واجتهاد وابقى على الحقائق النقية القادرة على الوقوف في كل زمان، ووضع تحت تصرف عشاق الحقائق المجردة نظرية متكاملة واضحة تغطي بالكامل كل ما يتعلق بالاعتقاد بالمهدي المنتظر، فما سؤال في هذا المجال الا ونجد له في الاسلام جوابا مستندا الى القران او السنة المطهرة، وقد قدم الاسلام هذه النظرية كجزء لا يتجزأ من النظام السياسي الذي انزله الله على عبده ومصطفاه محمد(صلى الله عليه واله وسلم)، فالمهدي المنتظر عند شيعة اهل بيت النبوة هو الامام الثاني عشر من الائمة او القادة الشرعيين الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى واعلنهم النبي كقادة للامة ثم ان اهل بيت النبوة ومن والاهم قد اجمعوا ايضا على ان الاعتقاد بالمهدي المنتظر هو جزء من عموم المعتقدات الاسلامية المنبثقة عن القران الكريم

---

١. دكتوراه لغة عربية جامعة البصرة كلية التربية الادب.

لقد يئست النخب المتطلعة والعامة من الناس من قدرة الانظمة الوضعية على تخليص بني البشر مما هم فيه من تراجع وانحطاط على كافة الاصعدة، وبذا توفرت لديهم القناعة التامة بان العالم لن ينقذه من هذا الواقع المرير الا المهدي المنتظر (عجل الله فرجه)، وهم بانتظار حكومته العالمية التي سيخضع لسلطانها كل أرجاء الارض والذي يتم على يديه تطهير الارض من الظلمة ونشر العدالة وتحقيق الرخاء التام لكل الانسانية بعد اجتثاث جذور الخلاف والاختلاف وذلك بعقد المصالحة التامة بينهم.

لقد اختار الله سبحانه وتعالى عبده محمد بن الحسن (عليه السلام) ليكون هو المنتظر لحل المشكلة العالمية وتجاوز المحنة واخراج الناس من التقليد الى الابداع، فعند خروجه (عليه السلام) يهيئ الله اسباب النجاح فيعيد الامور الى نصابها الشرعي ويقدم الاسلام بوجهه الحقيقي بعد ان يشكل حكومته العالمية من الصادقين اصحاب الامانة من رجال العلم ونسائه ويصبح كل ابناء الجنس البشري رعايا ومواطنين في دولته وتتعامل معهم بكل الاحترام والمحبة لا فرق بين لون ولون او بين الاعراق والاقوام، وترجع الى خزينة المهدي كافة موارد العالم الاقتصادية ويعمل فيها بما يصلح شأن البشرية بحيث تعيش حياة حرة كريمة، فمن السمات البارزة والبنى الاساسية التي تستند عليها نظرية المنتظر في الاسلام تأكيد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان المهدي المنتظر (عجل الله فرجه) الذي بشر به سيملأ الارض عدلا بعد ان ملئت بالظلم والجور من قبل.

درس البحث إنجازات حكومة الامام المهدي الدينية والتربوية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وذلك بعد ان بين اسلوبه (عجل الله فرجه) في تربية الامة اذ يجد الباحث حرص الامام التام على تحقيق دولة ال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) التي تتجلى بإصرارها على تحقيق غاياتها ومبررات وجودها ويتمثل دور الامام المهدي (عجل الله فرجه) بالقضاء التام على كل الظالمين والجبابرة وكذلك محاكمتهم وتطهير الارض من وجودهم بوصفهم رجسا وقذارة، ومن ثم لابد من ملأ الارض بالعدل وهدم ما خلفه المجرمون وبذا نجد الامام حريصا على تحقيق ما كلف به على كافة الاصعدة والمستويات فهو يصر على كل غاية وهدف كلف بتحقيقه فمثلا على المستوى الاقتصادي فأن الامام المهدي ودولته- أعني دولة ال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مكلفون بالسعي الحثيث من اجل تحقيق الرخاء

التام لجميع ابناء الجنس البشري وبهذا المسعى أغلقت دولة ال محمد كل اسباب النزاعات الاقتصادية التي تفتح ابواب التنافس المرير على المال.

انجازات حكومة الامام المهدي الدينية

لقد اجمع اهل البيت على عالمية دولة الامام المهدي(عليه السلام)، ففيها يصبح سكان الارض رعايا ومواطنين في تلك الدولة وقياداتها هم من تتوفر فيهم صفات القوة والقيادة من اهل النجدة والسماحة من رجال العلم ونسائه والنظام الذي تسير علية تلك الحكومة هو المنظومة الحقوقية الالهية المتمثلة بالقران الكريم، كما ورد عن النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وكما تمثله اهل البيت (عليهم السلام)[1] وتشهد الحياة الثقافية في عهده نموا ملحوظا اذ تنتشر العلوم الدينية والاحكام والمعارف الاسلامية، ففي عهده(عليه السلام) يطرأ كثير من التهذيب والتنقيح على كثير من كتب الفقه والاصول, ذلك لان الامام يبين القواعد العامة والمسائل الشرعية التي تغني عن كثير من مباحث الاصول، كذلك تلغى اكثر كتب التفسير المنبعثة من الآراء الشخصية ويعتد فقط بالتفاسير المروية عن اهل البيت (عليهم السلام)[2] وفي عهده(عليه السلام) يستغنى عن كثير من العلوم كأكثر مباحث الفلسفة وبذلك يصل العلم الى كل البيوت وتسند حلقات التدريس للرجال والنساء[3] وقد اشار الامام الباقر(عليه السلام) الى انتشار الحكمة في زمان المهدي(عليه السلام) نجد ذلك بقوله(عليه السلام) (....تؤتون الحكمة في زمانة) (أي زمان الامام المهدي(عليه السلام) حتى ان المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله وسنة رسوله(صلى الله عليه وآله وسلم)[4] هذا الحديث يشير الى ارتفاع المستوى الثقافي والوعي الديني لدى كافة شرائح المجتمع.

ان الاصلاح الديني في عهد المهدي(عليه السلام) يتم من خلال احيائه للسنن واماتته للبدع والقضاء على كل المذاهب الباطلة، والقضاء على كل الاديان المشركة واظهار الدين الاسلامي على الاديان كلها، فالأمام يبقي فقط على الموحدين المؤمنين بالله تعالى ورسوله

---

١. ينظر حقيقة الامام المهدي:١٦٧

٢. الامام المهدي من المهد الى الظهور:٤٨٧

٣. نفسه:٤٨٨

٤. كتاب الغيبه للنعماني:باب١٣ح٣٠

وبإمامته وقيادته الدينية والدنيوية ايمانا فعليا[1] وعندما يتم الامام(عليه السلام) اصلاحاته على أتم وجه تتجه الاصلاحات نحو تحقيق الوحدة الاسلامية القائمة على اسس قوية ومتينة كونها قد بنيت على اسس فكرية وعقائدية خالية من الشوائب[2] من النصوص التي تشير الى ما ذهبنا اليه ما ورد في كتاب الحاوي للفتاوي للسيوطي قال، واخرج ابن المنادى في الملاحم قال (ليخرجن رجل من ولدي عند اقتراب الساعة حتى تموت قلوب المؤمنين كما تموت الابدان لما لحقهم من الضرر والشدة والجوع والقتل وتواتر الفتن والملاحم العظام واماتة السنن واحياء البدع وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيحي الله بالمهدي محمد ابن الحسن السنن التي اميتت وتسر بعدله وبركته قلوب المؤمنين)[3]

وعن عبد العظيم الحسني قال)قلت لمحمد بن علي بن موسى اني لأرجو ان تكون القائم من اهل بيت محمد الذي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا فقال (يا أبا القاسم ما منا الا قائم بأمر الله عزوجل وهاد الى دينه، ولكن القائم الذي يطهر الله به الارض من اهل الكفر والجحود، ويملأها عدلا وقسطا هو الذي يخفى على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه)[4] ان التوجيهات الصادرة من الامام المهدي تصبح موجهة نحو طاعة الله وعبادته الحقيقية وتسخر كل وسائل الاعلام من اجل هذه الغاية اذ تسخر اجهزة الاعلام كالإذاعة والتلفزيون والصحف والمناهج التربوية في المدارس والمعاهد العلمية في كل العالم، من هنا نعرف مدى المستوى الثقافي والايماني للناس فيما بعد الظهور بعد التسخير الذي تشهده هذه الوسائل[5] وهنا تتحقق الوحدة الاسلامية اذ يتوحد المسلمون في دينهم تحت راية الامام المهدي(عليه السلام) يتوحدون في اصول دينهم وفروعه وجميع المسائل الفقهية والاحكام الشرعية, وبذا يكون الدين هو الاسلام، ويكون المذهب هو مذهب التشيع ومذهب اهل البيت الذي دعا اليه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وبذا يعيش الناس تحت راية لا اله الا الله محمد رسول

---

١. ينظر دولة الامام المهدي وعصر الظهور:٢٨٠
٢. ينظر نفسه:٢٨١
٣. الحاوي للفتاوي:٢/١٦٣
٤. البحار،٥/٢٨٣ح١٠
٥. ينظر الموسوعة تاريخ مابعد الظهور:٥٣٣-٥٣٤

الله،[1] يشير الامام علي(عليه السلام) في حديثه عن عهد الظهور (.....ويهلك الاشرار ويبقى الاخيار، ولا يبقى من يبغض اهل البيت)[2] كما يصف الامام عصر المهدي(عليه السلام) وما يفعله على المستوى العقائدي اذ يشير الامام علي(عليه السلام) الى ان عهده سيشهد ازالة البدع واقامة السنن نجد ذلك بقول علي ابن ابي طالب(عليه السلام) (.....ولا يترك بدعة الا ازالها، ولا سنة الا اقامها....).[3]

وفي زمن الامام المهدي(عليه السلام)يظهر الله الاسلام على جميع الاديان ذلك ما أشار اليه الامام زين العابدين علي بن الحسين(عليه السلام) بقوله (ان الاسلام قد يظهره الله على جميع الاديان عند قيام القائم)[4] وعندما يخرج المهدي المنتظر(عليه السلام) تكون اسباب النجاح قد هيئت تماما فيقوم باعادة الامور الى نصابها الشرعي تماما، ويدوس على الخلط بقدمه، ويفرز الاوراق عن بعضها البعض ويضع النقاط على الحروف ويسمي الاشياء بأسمائها, ويقدم الاسلام على حقيقته للعالم فتزول الغشاوات عن العيون, والرين عن القلوب، ويشكل المهدي حكومته العالمية من المؤمنين الصادقين اصحاب القوة والامانة من رجال العالم ونسائه وتصبح كل اقاليم العالم ولايات تابعة لدولته ويصبح كل ابناء الجنس البشري رعايا ومواطنين في دولته[5] وقد اقتضت حكمة الله ان يكون المهدي(عليه السلام) هو الذي يتولى توحيد العالم من الناحية الدينية والسياسية، ويحول جهد الانبياء وخاتمهم النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)الى واقع عملي وذلك من خلال العمل على توحيد العالم دينيا وسياسيا اذ يصبح كل سكان العالم مواطنون في دولته، ويعين له بطانة من اهل القوة والامانة من رجال العلم ونسائه، يستعين بهم لتحقيق النظام الالهي[6] وهنا يكمن سر تركيز الاسلام تركيزا خاصا على نظرية المهدي المنتظر وتكمن عناية النبي الفائقة بإبرازها وتوضيحها والتبشير بها بل ويكمن سر فخره بالمهدي المنتظر(عليه السلام)

---

١. ينظر الامام المهدي من المهد الى الظهور:٤٨٩

٢. عقد الدر ليوسف بن يحي الشافعي:باب٧:١٥٩

٣. عقد الدر،باب٩:٢٢٤

٤. ينابيع المودة للقندوزي:٣/٣٤٠

٥. حقيقة الامام المهدي:٦٤

٦. ينظر م ن:٧٨

لأنه المؤهل الهيا لعملية التغير الكبرى، ولأنه ابنه وقرة عينه وحفيده, والخلاصة ان الاسلام بركنيه الكتاب والسنة هما المصدر والمنبع الوحيد للاعتقاد بالمهدي المنتظر وعلى ذلك اجمع المسلمون[1]

ان الثابت عند أهل بيت النبوة تأكيد الرسول بكل الوسائل بان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)اكد بكل وسائل التأكيد بان الخالق سبحانه وتعالى يظهر الاسلام بالمهدي المنتظر(عليه السلام) على الدين كله وبذلك تختفي كل الاديان وتتلاشى، والبقاء لدين الاسلام وحده[2] وهذا من المسلمات المجمع عليها عند اهل البيت (عليهم السلام) فهم مجمعون على ان المهدي سيكون دولة عالمية تشمل بسلطانها كل بقاع العالم، وتكون المنظومة الحقوقية المتكونة من القران والسنة النبوية هي القانون النافذ والاوحد في هذه الدولة, وبذا يكون الاسلام الدين الرسمي لكافة رعايا ومواطني تلك الدولة فالمهدي عند ظهوره يدعو الناس بعامتهم الى الاسلام ويهديهم الى أمر قد ضل عنه الناس[3] والمهدي سيضع كما وضع رسول الله، حيث سيهدم امر الجاهلية كله، ويستأنف الاسلام جديدا وقد اكد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)هذا الامر بقوله (أما والله لا تذهب الايام والليالي حتى يحيي الله الموتى ويميت الاحياء ويرد الله الحق الى اهله ويقيم دينه الذي ارتضاه لنفسه فأبشروا ثم ابشروا.[4]

والمهدي المنتظر(عليه السلام) يضع له خارطة طريق باتجاه الاصلاح الديني ف(حيثما حل المهدي وحيثما ارتحل يفتح المدارس والمعاهد لتعليم الناس القران على ما انزل الله فمع المهدي القران مكتوب بخط علي وباملاء رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم)، ومع القران حاشية بخط علي واملاء الرسول تتضمن القول الفصل لكل مسألة وردت فيه[5] فالمهدي كونه الامام الثاني عشر وهو من ورث علم النبوة والكتاب ومن هنا فهو يوجه الحركة العلمية لتكون منسجمة مع علمي النبوة والكتاب.[6]

---

١. نفسه:٧٨

٢. ينظر ينابيع المودة:٤٢٣

٣. ينظر الارشاد:٣٦٤

٤. الكافي:٣/٥٣٦

٥. حقيقة الامام المهدي:١٧٨

٦. ينظر م ن:١٧٨

ان الامام المهدي(عليه السلام) من زاوية التخطيط الالهي العام فعندما يستتب الحكم له في العالم عند ذلك تتحقق الاطروحة العادلة الكاملة من الناحية القانونية، والنتيجة التي تحدث هو الهدف الالهي من خلق البشرية، أي وجود المجتمع المثالي العادل في افراده فمن الروايات في هذا السبيل ما رواه المجلسي. في البحار بأسناده عن بريد العجلي، قال، قيل لابي جعفر(عليه السلام) (ان اصحابنا بالكوفة جماعة كثيرة، فلو أمرتهم لأطاعوك واتبعوك فقال:يجيئ احدهم الى كيس أخيه فيأخذ منه حاجته، فقال:لا فقال:فهم بدمائهم أبخل....ثم قال:ان الناس في هدنة, تناكحهم وتوارثهم وتقيم عليهم الحدود وتؤدى أماناتهم حتى اذا قام القائم جاءت المزايلة ويأتي الرجل الى كيس اخيه فيأخذ حاجته لا يمنعه[1] هذه الصورة تبين حالة الود والوئام والانسجام والتراحم والتواد التي يبذرها الامام المهدي(عليه السلام) في المجتمع العادل الذي يعمل على تأسيسه، فالأمام المهدي يقيم مجتمعه على الاخوة التي أنشأها النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)في صحابته هذا الحديث يبين مستوى الاخوة العظيم المقترن بالمفهوم الصحيح الذي يفترض ان لأخيك في الايمان حقا في مالك متى احتاج اليه، يصبح الانسان مسرورا اذا امتدت يد اخيه المحتاج الى كيسه.

وبالنسبة للمستوى الثقافي فان المهدي(عليه السلام)عند مجيئه يضع خارطة طريق خاصة به بتسديد الهي من اجل رفع المستوى الفكري لقواعده التي يتعامل معها في المجتمع الفاضل الذي يعمل المهدي على تنشئته فمن الأحاديث الواردة في هذا السبيل ما أخرجه الصدوق في اكمال الدين بسنده عن ابي جعفر(عليه السلام)انه قال: (اذا قام قائمنا(عليه السلام)وضع يده على رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم, وكملت بها أخلاقهم)[2]

المنجزات العلمية

لما لم يكن في ذلك المجتمع أثر للصناعات والآلات الحديثة، لذا لم يرد في الاخبار الواردة بهذا السياق ذكر واضح لها، والذي يرد بهذا السبيل هو بعض العبارات الرمزية التي تشير الى

١. بحار الانوار:١٣/١٩٥-١٩٦

٢. ينظر اكمال الدين وتمام النعمة

وجود الاجهزة الحديثة في دولة الامام المهدي[1]

لقد وردت كثير من الروايات التي تؤكد ان عصر الامام المهدي(عليه السلام) يشهد تقدما علميا ملحوظا في مجال الاتصالات والنقل البري والجوي وقد عبر عن هذه المخترعات العلمية والكشوفات بشكل يتلاءم والمستوى الفكري للمجتمع في وقت صدور الرواية وعلى القارئ لهذه الروايات بعد عهدها ان يقرأها بشكل رمزي فمن الاخبار الواردة بهذا السبيل ما رواه الصافي في منتخب الاثر و المجلسي- في البحار سمعت اباعبدالله يقول (ان المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى اخاه الذي في المغرب وكذا الذي في المغرب يرى اخاه الذي في المشرق)،[2] هذا المعطى في زمن الامام يشير الى حدوث نقلة نوعية وثورة معرفية عظمى على كافة الاصعدة المعرفية، كما ان هناك من الروايات التي تتحدث عن طي الارض للأمام المهدي اشارة الى استعمال وسائط النقل الحديثة ومن معالم الحياة الثقافية والعلمية في عصر الامام المهدي(عليه السلام) من انه يعمل بكتاب الله و سنة رسول الله ولاينحرف عنهما ولايأتي بشريعة جديدة، او يحلل ما حرمه الله او العكس كما ان المذاهب المستحدثة بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) تلغى لأنها لا تجد لها موطن في الكتاب ولافي السنة و تتحقق الوحدة الاسلامية الكبرى اذ يتوحد المسلمون في اصول دينهم وفروعه وجميع المسائل الفقهية والاحكام الشرعية، فلا قياس ولااستحسان ولافتاوى تتولد حسب الظروف السياسية[3] ومن المؤشرات التي تعلمنا بما انجزه الامام المهدي(عليه السلام) من التقدم والتطور العلمي بفضل بركات وجوده اذ يرتفع مستواهم العلمي الى درجة تؤهلهم للمراكز القيادية التي يتسلمون مسؤوليتها في دولته فمن مؤشرات ارتفاع المستوى العلمي في عهده هذه النصوص روى جابر عن ابي جعفر(عليه السلام)انه قال: (اذا قام قائم ال محمد يعمل على بسط فساطيط ويعلم الناس القران على ما انزل الله عزوجل، فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم لأنه يخالف فيه التأليف[4]

---

١. ينظر موسوعة الامام المهدي عصر الظهور: ٥٨١

٢. بحار الأنوار ١٣/٢٠٠

٣. ينظر الأمام المهدي من المهد الى الظهور :٤٨٨-٤٨٩

٤. الأمام المهدي وظهوره ٢٨٦

من هذا الحديث نفهم ان الامام المهدي يرفع التشويه والتحريف الذي لحق بالقران الكريم ويعيده كما انزله الله على رسوله(صلى‌الله عليه وآله وسلم)،ومن النصوص التي وردت فيها اشارة الى ارتفاع مستوى العلوم والمعارف في عهده(عليه‌السلام) هذا الحديث عن ابي عبد الله(عليه‌السلام) قال:العلم سبعة وعشرون حرفا فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فاذا قام قائمنا اخرج الخمسة والعشرين حرفا فبثها في الناس وظم اليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفا،[1] كما اشارت بعض النصوص الى ارتفاع مستوى العلم بفضل وجوده الشريف بحيث يمتطي هو السحاب وتطوى له الارض وتسهل له الصعاب، ويمشي اصحابه على الماء، وتتحول اكفهم الى اجهزة كمبيوتر تعكس لهم ما يحتاجون من الاحكام فيما اذا تعسر عليهم الحكم في قضية ما.هذا الحديث يشير الى حدوث نقلة نوعية كبيرة على المستوى التكنلوجي نفهم هذا فيما اذا قرأنا هذا الحديث بدلالاته الرمزية.

كما وردت نصوص اشارت الى تقدم وسائل الاعلام المسموعة والمرئية بحيث لو ظهر الامام المهدي(عليه‌السلام) على شاشة التلفزيون في مدينة الكوفة يراه المسلمون اينما كانوا في اقاصي الارض ويسمعون كلامه في أماكنهم، وتكون الدنيا بالنسبة للأمام ككفه يرى كل مفرداتها من جبل وواد وبحر ومرتفع ومنخفض وسائر جزئياتها وهو جالس في مكانه، فعن ابي الربيع الشامي قال:سمعت اباعبدالله يقول:ان قائمنا اذا قام مد الله عزوجل لشيعتنا في اسماعهم وابصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد يكلمهم وينظرون اليه وهو في مكانه[2]

وهناك نصوص تشير الى الرقي الفكري للمجتمع في عصره (فعن ابي خالد الكابلي عن ابي جعفر(عليه‌السلام) قال:اذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع به عقولهم واكمل به اخلاقهم[3]

وبالسياق ذاته هناك (حشد من الروايات والاخبار تؤكد خطوة التجديد الكبرى التي تتم

---

١. بحار الأنوار ٣٣٦/٥٢

٢. روضة الكافي :٢٠١ ح ٣٢٩

٣. بحار الأنوار :٣٦٦/٥٢

على يدي الامام المهدي هذه الخطوة التي ستأتي في اعقاب فراغ حضاري هائل وازمة اخلاقية تعصف بالعالم[1] وذلك ما أشار اليه المفكر الكبير محمد باقر الصدر بقوله (هناك افتراض اساسي واحد بالإمكان قبوله على ضوء الاحاديث التي تحدثت عنه، والتجارب التي لوحظت لعمليات التغير الكبرى في التاريخ، وهو ظهور المهدي في اعقاب فراغ كبير يحدث نتيجة نكسة وازمة حضارية خانقة، وذلك الفراغ يتيح المجال للرسالة الجديدة ان تمتد، وهذه النكسة تهيئ الجو النفسي لقبولها، وليست هذه النكسة مجرد حادثة تقع صدفة في تأريخ الحضارة الانسانية وانما هي نتيجة طبيعية لتناقضات التأريخ المنقطع عن الله سبحانه وتعالى التي لا نجد لها في نهاية المطاف حلا حاسما، فتشعل النار التي لا تبقي ولا تذر، ويبرز النور في تلك اللحظة ليطفئ النار ويعم على الارض عدل السماء)[2]

وتطال خطوة التجديد دائرة القضاء والتي تأتي بعد فترة النضال وتثبيت دعائم الحكم العادل ذلك ما أشار اليه الامام الصادق(عليه السلام):(يحكم بحكومة داوود لا يسأل عن بينة يعطي كل نفس حكمها)[3] ويحتمل (ان المعروف بقضاء داوود قضاء يعتمد الية علمية متقدمة لم تكتشف بعد، وتكتشف بعد الظهور، من حيث تطور العلوم آنذاك على يد الامام، وعلى اساس هذا التطور يتمكن القضاة آنذاك ولو كانوا غير معصومين من الكشف عن الحقائق مستغنين في ذلك عن الادلة الظنية مثل الشهود والبيان وغير ذلك).[4] وهناك اشارات الى ان رعايا دولة الامام المهدي(عليه السلام) ومواطنيها تعاملهم بكل المودة والاحترام ولا يوجد فرق بين عرق وعرق ولون و لون كما (تؤول الى خزينة الدولة كافة موارد العالم الاقتصادية فيوزعها بين الناس بالسوية دون ان يميز احدا عن احد ؛لان الحاجات الاساسية لبني البشر متشابه)،[5] هذه الطريقة من التوزيع تسهم في اشباع حاجات الناس فلا يبقى محتاج أو محروم في ظل تلك الحكومة العادلة التي تعرض خدماتها على الجميع وفي

---

١. بانتظار الذي يأتي :١٩٨

٢. بحث حول المهدي :١٢٨

٣. الكافي: ٣٩٧/١

٤. بانتظار الذي يأتي :٢٠٢

٥. حقيقة الأمام المهدي: ٦٥

ظل مجتمع يتفاضل بالمفاهيم والقيم الصالحة وينافس على اعمال البروالخيروالاحسان وبذلك ينعم الناس بنعمة فريدة من نوعها اذ يجد المواطن في تلك الدولة الرفاهية والغنى النفسي-والمادي،وبهذا تكون من اهم انجازات الامام المهدي(عليه السلام)مكافحة الظلم والجور ونشر القسط والعدل وهو ما نصت عليه النصوص الواردة من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)والائمة الاطهار (عليهم السلام)التي مفادها ان الهدف الاساسي الذي تسعى الحركة المهدوية الى تحقيقه هو العدل والقسط وهو من مميزات دولة الامام المهدي(عليه السلام).ففي حديث رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): (لو لم يبق من الدنيا الايوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا من ولدي او من أهل بيتي او امتي يواطئ اسمه اسمي يملأ الارض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا).[1]

اذن مميزات الدولة الخاتمة دولة الامام المنتظر من خلال ثلاث مفردات المفردة الاولى (التعبير بالبعث (يبعث رجلا من اهل بيتي) المفردة الثانية هي التعبير بالامتلاء (يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا) المفردة الثالثة:التعبير بالقسط والعدل كيف ينتشر القسط والعدل (البعث هو الشيء الجديد الذي لم يسبق له مثيل لذلك عبر الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) عن دولة الامام المنتظر(عجل الله فرجه)بالبعث أي ان دولته دولة جديدة وان خطه خط جديد لم يسبق له مثيل)[2] ان من اعظم الظلم هو الشرك بالله وجحد ولاية اوليائه وتحريف دينه والتستر بالدين من اجل الدفاع عن الطواغيت الذين تجلببوا بالدين من اجل تحقيق مصالح شخصية على حساب المظلومين الذين ضيعت حقوقهم ولكي يستأصل هؤلاء النمط من الناس المصلحين المتسترين بلباس الدين من المكاسب التي حققها الامام المهدي على صعيد القسط والعدل لانهم الذين فتحوا الباب للطواغيت والمستبدين واعطوهم الصفة الشرعية بما اصدروه من احكام وفتاوى تتناغم مع اهوائهم ومصالحهم الشخصية،[3] من النصوص التي تشير الى معالم عدل الامام المهدي(عليه السلام) ماورد (عن ابي عبد الله انه قال: (اذا قام القائم جاء بأمر جديد كما دعا رسول الله الى أمر

---

١. الارشاد:٢/٢٤٠

٢. أفاق مهدوية :٨٢

٣. ينظر بانتظار الذي يأتي :٢٦٢

جديد)[1] هذا الحديث ينفتح على قراءات متعددة فجملة (امر جديد تعني اشياء كثيرة والمنتظر يتوقع الخير كله بمجيء الامر الجديد.

ومن الاحاديث الاخرى التي تشير الى معالم دولة الامام المهدي ما ورد عن الحسن بن علي بن ابي طالب عن ابيه(صلوات الله عليهما) قال: (يبعث الله رجلا في اخر الزمان وكلب من الدهر وجهل من الناس، يؤيده الله بملائكته ويعصم انصاره، وينصره بآياته ويظهره على الارض حتى يدينوا طوعا او كرها يملأ الارض عدلا وقسطا ونورا وبرهانا، يدين له عرض البلاد وطولها ولا يبقى كافر الا امن ولا طاغ الا صلح، وتصطلح في ملكه السباع، وتخرج الارض نبتها).[2]

كما ان من ابرز معالم عدل الامام المهدي(عليه السلام) قضاؤه على جميع محاور الشر والعدوان في العالم واستئصال اثارها السلبية واقامة قوانين العدل والقسط وارجاع الحقوق الى اهلها ورد المظالم, والتوزيع العادل للثروات والاموال على كل ارجاء العالم دونما ادنى تميز كما ان المهدي(عليه السلام) يقضي على الاديان والمذاهب الباطلة التي تجر الناس الى جهنم وبئس المصير[3] ان هذا الوصف لمعالم العدل في دولة الامام هو وصف لمدينة فاضلة يحظى فيها المواطنون بالكرامة ويعرف كل منهم ماله من حقوق وما عليه من واجبات ذلك بفضل المنظومة المتكاملة في مدونة الامام المهدي(عليه السلام) التي يدير بها شؤون العالم في ايام حكومته وهو الدستور المتمثل بالقران الكريم كما انزله الله سبحانه وتعالى والسنة النبوية المطهرة لا شك ان هذا (النجاح الذي يفرزه المهدي في تنفيذ العدالة مرده الى ان النظام الاداري الذي سيتخذه سيكون على درجة عالية من الرقي والدقة والنزاهة ما يجعلنا نتصور نظاما اخلاقيا يبلغ درجات غاية في السمو والنقاء)[4]

الحركة العمرانية

اما بالنسبة للحركة العمرانية في عهد المام المهدي فان عهده يشهد حركة عمرانية واسعة

---

١. بحار الأنوار :٥٢/٢٨٠

٢. م.ن ٥٢/٢٨٠

٣. ينظر بانتظار الذي يأتي :٢٦٢

٤. م.ن :٢٠٣

اذ تستخدم احدث التقنيات التي توصل اليها العلم .فمن النصوص التي اشارت الى اصلاحات الامام المهدي(عليه السلام)تغير معالم المساجد وازالة الزخارف وجعلها كما كانت عليه في عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، واصلاح الطرق وتوسيعها وهدم المساجد التي تعترض طريقها، (فعن ابي هاشم الجعفري قال: كنت عند ابي محمد فقال: (اذا قام القائم امر بهدم المنائر والمقاصير التي في المساجد، فقلت في نفسي. لأي معنى هذا؟ فاقبل علي فقال معنى هذا انها محدثة مبتدعة لم يبنها نبي ولا حجة)[1]

معنى هذا ان الامام المهدي يعمد الى كل ما هو مبتدع فيما يتعلق بالإضافات على هندسة المساجد بقصد جمالي فيزيل هذه المظاهر المضافة على المساجد بدعوى المدنية والحضارة والترف الاقتصادي فمن الاحاديث الواردة كذلك بهذا الخصوص ما ورد عن (ابي بصير انه قال: (اذا قام القائم دخل الكوفة وامر بهدم المساجد الاربعة حتى يبلغ اساسها ويصيرها عريشا كعريش موسى وتكون المساجد كلها جماء لا ستر لها كما كانت على عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ويوسع الطريق الاعظم فيصير ستين ذراعا, ويهدم كل مسجد على الطريق، ويسد كل كوة الى الطريق وكل جناح وكنيف وميزاب الى الطريق)[2] هذا الحديث يشير الى وجود ثقافة جديدة في التعامل مع الطريق ووضعية المساجد وما يحيط بها من الطرق والامور الاخرى التي تتعلق بالخدمات العامة ففي حكومته(عليه السلام) تشهد الناس حالة من المدنية على كل الاصعدة والمستويات ومنها الناحية العمرانية اذ يعيش الناس حضارة جديدة في ظل التقدم التكنولوجي والعمراني (فعن ابي جعفر في حديث طويل: قال:اذا قام القائم سار الى الكوفة فوسع مساجدها، وكسر كل جناح خارج الى الطريق وابطل الكنيف والميازيب الخارجة الى الطرقات)[3] هذا الحديث يبين حركة الاعمار والاصلاح التي يقوم بها الامام المهدي(عليه السلام)، ومن الاحاديث الواردة بهذا السبيل كذلك ما ورد عن ابي جعفر قوله: (المهدي منا منصور بالرعب، مؤيد بالنصر تطوى له الارض وتظهر له الكنوز، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله دينه على الدين كله

---

١. بحار الأنوار: ٣٢٣/٥٢ ح ٣٢

٢. غيبة الشيخ الطوسي:٢٨٣

٣. الأمام المهدي عند اهل السنة :٣٤٧/١

ولو كره المشركون فلا يبقي في الارض خراب الا عمره)[1] ان حركة الاعمار والبناء والاصلاح المهدوي يشمل العالم اجمع بحيث لم يبق خراب احدثته الحروب التي سبقت ظهوره الا اصلحه المهدي(عليه السلام)كما اشارت لذلك الرواية الاخيرة، ان هذه الروايات التي ذكرت ماهي الا اشارات لما يشمل العالم في عهده(عليه السلام)من اصلاح شامل لا حدود له.

عهد الامام المهدي(عليه السلام) عهد الرخاء المطلق

لقد شيد الاسلام منهجا اقتصاديا متكاملا يحقق الضمان والتوازن الاقتصادي ويشبع الحاجات الاساسية للانسان هذا المنهج الاقتصادي سيحقق له النجاح الاكمل في حكومة الامام المهدي(عليه السلام) اذ نكون الظروف الموضوعية والاحوال الانسانية متاحة لتحقيق الرفاهية والرخاء وازالة الفقر والحرمان وتنعم البشرية بسعادة لم تكن معهودة من قبل فلقد اجمع اهل البيت (عليهم السلام) على انهم سمعوا التأكيد من الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بأن عهد المهدي(عليه السلام) سيكون عهد الكفاية والرخاء المطلق لكل سكان الكرة الارضية, وبذا يكون عهده من ازهى العهود التي عاشتها البشرية اطلاقا، ففي هذا العهد تتحقق الوفرة والكفاية الاقتصادية ويذوق ابناء الجنس البشري حلاوة الرفاه العام بكل ما تعنيه كلمة الرفاه،[2] والرفاهية التي يتمتع بها الناس في عهد الظهور نتيجة طبيعية لكثرة المال وكثرة الخيرات وتوفر المواد الغذائية والاستهلاكية ووفرة المواد والمال يؤديان الى انخفاض الاسعار ومن ثم زيادة القدرة الشرائية للمواطن وبذلك ينتهي الفقر وهذه نتيجة طبيعية للتطبيق العادل في ظل حكومة الامام المهدي(عليه السلام) ووصول البشرية الى مراتب متقدمة من الايمان والاخلاص والارتباط بعالم الغيب والدنو من المعنويات.

(وعندما ينجح المهدي بتوحيد العالم وتكوين دولته العالمية ونشر القسط والعدل وتحقيق الكفاية والرخاء المطلق لكل سكان الارض، فلا يبقى فيها محتاج واحد عندئذ يبهر العالم بالفعل ويحب هذا الرجل المعجزة حبا عظيما)[3]

---

١. م.ن ٢٤٧/١

٢. ينظر حقيقة الامام المهدي :١٧٠

٣. م.ن: ١٧٩

يؤكد الرسول(صلى‌الله عليه وآله وسلم) حجم العطاء الالهي الذي لا حدود له في عهد الامام المهدي(عليه‌السلام) قائلا: (تقيء الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة، ويتابع الرسول(صلى‌الله عليه وآله وسلم) تأكيداته موضحا الصورة فيقول: (فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا)[1] هذا الحديث يصف المستقبل الواعد لتطور العلوم والتكنولوجيا على كافة الاصعدة مما يوفر سيولة نقدية منقطعة النظير،وفي السياق ذاته نجد حديث الرسول الذي يجزم فيه قائلا: (تنعم امتي في زمن المهدي نعمة لم ينعموا مثلها قط، ترسل السماء عليهم مدرارا ولأتدع شيئا من النبات الا اخرجته، والمال كدوس يقوم الرجل فيقول:(يا مهدي اعطني فيقول خذ)[2] هذا وتتكرر (الاحاديث النبوية بهذه المضامين وتتعدد الصيغ، ويبدو ان الرسول الاعظم قياما بواجب البيان، وتأكيدا لما اراد تأكيده في قلوب السامعين، وتوصيل ما أراد لمن بلغ في اكثر من مكان وفي اوقات متعددة)[3] ومن الاحاديث الواردة في هذا السبيل عن اهل‌البيت (عليهم‌السلام) ما تحدث به الامام زين العابدين(عليه‌السلام)عن حالة الكفاية والرخاء في عهد الامام المهدي(عليه‌السلام) يقول: (ان القائم يعطي الناس عطايا مرتين في السنه ويرزقهم في الشهر رزقين ويسوي بين الناس، حتى لا ترى محتاجا الى الزكاة، ويجيء اصحاب الزكاة بزكاتهم الى المحتاجين من شيعته فلا يقبلونها فيصرونها ويدورون في دورهم فيخرجون اليهم فيقولون لا حاجة لنا في دراهمكم ثم قال: (ويجتمع اليه اموال اهل الدنيا كلها من بطن الارض وظهرها فيقال للناس: (تعالوا الى ما قطعتم فيه الارحام وسفكتم فيه الدم الحرام وركبتهم فيه المحارم، فيعطي عطاءا لم يعطه احد من قبله)،[4] والتوزيع بهذه الصورة امر مرغوب فيه من قبل الانسان حيث يحصل على مايحتاجه كل اسبوعين وبهذه الطريقة من العطاء يتمكن المرء من تنظيم مصروفاته على ضوئها وترتيب اوضاعه الاقتصادية وبقية

---

١. معجم أحاديث الامام المهدي: ج١ ح ١٤٢

٢. م.ن ج١ ح ١٣٩

٣. حقيقة الامام المهدي: ١٧٠

٤. معجم أحاديث الامام المهدي: ج٣ ح ٨٦٧

احواله دون قلق او اضطراب,ولعل هذه الطريقة من العطاء هو ماتعمل به البلدان التقدمة في عصرنا الراهن.

هـذا الحـديث يبـين حجـم الكفايـة الاقتصـادية والـوفرة الماليـة في دولـة الامـام المهدي(عليه السلام) (وهذه الصور الحقيقية حتى بموازين البحث الاقتصادي فالعالم كله خاضع لدولة واحدة والاقاليم متكاملة ومواردها مستثمرة بشكل سليم، وهي تجبى الى بيت المال للأمام المهدي فهو يقوم بتوزيعها بين الناس بتسديد الهي، فموارد العالم مجتمعة لو وزعت بانصاف لتحققت الكفاية والوفرة والرفاه لكل سكان العالم، ولن يبقى في الارض محتاج هذا اذا ما قيس الامر على حسب الموازين الاقتصادية فما بالك عندما تقذف الارض كل نفائسها وتخرج الارض كل نباتها، عند ذلك سيخرج مقدار الرفاه عن حد التصور[1] نستخلص من القرائن الموجودة في النصوص المذكورة ان الخير والغنى سيعم العالم الاسلامي وتنعدم فيه ظاهرة الفقر والحرمان، وتتكدس الاموال في بيت مال المسلمين لعدم وجود من يحتاج اليها منهم (ولذا سيكون عطاء الامام المهدي(عليه السلام) لموظفي دوائره ومؤسساته الخدمية عطاءا جزيلا غير محدود لأنه سيكون حثوا لا عدا كما اشارت لذلك النصوص السابقة)[2] ان سياسة التوزيع التي ينتهجها الامام(عليه السلام) تكون تجسيدا حقيقيا للعدل والقسط وستكون موضع قبول من الجميع بحيث لا يبقى محتاج او محروم ويحصل الجميع على حاجاته بسهولة ويسر ذلك ان سياسة التوزيع قائمة على خطوات وانجازات يكمل بعضها بعضا وتتظافر لتحقيق امنيات الجميع،ان عطاء الامام المهدي(عليه السلام) عطاء متميز لم يشابهه احد قبله من قائد او حاكم هذا يعني ان عطاءه غير محدود وان لايرد احدا ولايبخل عليه بشيء.

الصحة والامان

لقد تحدثنا عن ان عهد الامام المهدي(عليه السلام)عصر التقدم والرقي على كافة الاصعدة وبذا نقرأ في الروايات ان عصره سيشهد اطالة اعمار الناس وشفاؤهم من الامراض

---

١. ينظر حقيقة الامام المهدي: ١٧١

٢. بانتظار الذي يأتي: ٢٢٩

والعاهات السائدة في عصرنا الحاضر وازدياد قوة الرجل،وكذلك انتشار الامن والاستقرار في جميع ارجاء دولته المباركة وانتهاء حالة الصراع الدائم بين محاور وقوى الشر والعدوان وما كانت تفرزه من الحروب المدمرة التي لاتخلف سوى البؤس والشقاء والحرمان،[1] فمن المشاهد التي يراها الناس في عهده(عليه السلام)ما ذكرته المدونات والاخبار فقد أشارت الروايات الى وجود حالة من الانسجام والتآلف بين الانسان والحيوانات المفترسة وهو أمر خارج عما ألفه الناس كلعب الصبيان بالحياة والعقارب من دون ان تضرهم بشيء،وذهاب المرأة مع أقرانها الى بيت الله الحرام ليس معهن من محارمهن رجل،[2] ان الامن والاستقرار اللذان يشملان الناس في عهده المبارك لم يسبق لهما نظير في تأريخ البشرية حيث لم ترطيلة حياتها أمنا واستقرارا سياسيا ومعافاة من الامراض المزمنة كما تراه في دولته المباركة، ولاغرابة في ذلك؛لان الامن والاستقرار وضمان حاضر الانسان ومستقبله وانعدام الفقروالحرمان،وخلو العالم من موجبات القلق والاضطراب توجب الراحة النفسية وسلامة الاجسام من الامراض وازدياد قوتها،هذا اذا لم نقل ان تلك النعم التي يمنها الله على عباده ببركة وجود الامام الشريف ومعطيات ذاته المقدسة واستجابة دعواته،[3] وقد حفلت المدونات الحديثية بكم وافرمن الاحاديث التي تشيرالى هذا المعنى فمنها ماورد في كتاب(الامام المهدي عند اهل السنة(قال أهل العلم... الى ان قال:ترعى الشاة والذئب في زمانه في مكان واحد وتلعب الصبيان بالحياة والعقارب لاتضرهم شيأ وتطول الاعمار وتؤدى الامانة وتهلك الاشرار وتأمن الارض حتى ان المرأة تحج في خمس نسوة مامعهن رجل لايخفن شيأ الا الله)،[4] ومن النصوص الاخرى التي تؤكد المعنى ذاته ماروي (عن جابرعن ابي جعفرقال:كأني بأصحاب القائم وقد أحاطوا مابين الخافقين،ليس من شيء الا هو مطيع لهم حتى سباع الارض وسباع الطيرتطلب رضاهم في كل شيء حتى تفخرالارض على الارض وتقول: مربي اليوم رجل من أصحاب القائم،[5] وعن زوال الامراض والآفات الظاهرية عن ابدان الناس كالعمى

---

١. ينظر دولة الامام المهدي وعصر ظهوره:٢٨٥

٢. ينظرم ن:٢٨٦

٣. م ن:٢٨٦

٤. المهدي عند أهل السنة:١٢/٣

٥. بحار الانوار:٣٢٧/٥٢

والبرص ونحوها من العاهات ماجاء في (غيبة النعماني باسناده عن حريز،عن أبي عبد الله عن ابيه عن علي بن الحسين أنه قال:اذا قام القائم أذهب الله عن كل مؤمن العاهة ورد اليه قوته).[1] من كل ماسبق نقول ان حكومة الامام المهدي تتفرد بمعطياتها وانجازاتها على كل الاطروالاصعدة من السياسية فالاجتماعية فضلا عن ذلك التطور العلمي والصحي والامني الى غير ذلك وبذا يصبح وصف تلك الدولة بدولة العدل الالهي.

---

١. غيبة النعماني

مصادر البحث

- آفاق مهدويه محاضرات في الامام المهدي،منير الخباز،اعداد وتقديم وتحقيق مركز الدراسات التخصصية في الامام المهدي،ط١٤٢٩،١ه، مطبعة زيتون النجف الاشرف
- بحار الانوار،محمد باقر بن محمد تقي المعروف بالمجلسي، مركز الغدير للدراسات الاسلامية،١٩٩٦م
- بانتظار الذي يأتي،كمال السيد،ط١،مطبعة وفا،
- حقيقة الاعتقاد بالامام المهدي المنتظر،أحمد حسين يعقوب،الاردن،ط٢...:١ م.
- الامام المهدي من المهد الى الظهور،محمد كاظم القزويني، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،ط١، لبنان،١٩٩٥م
- الارشاد، للشيخ محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد،طهران،١٣٧٧ه.
- الحاوي للفتاوي،للشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد السيوطي،حقق أصوله وعلق على حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ط مصر الثالثة مطبعة السعادة عام ١٩٥٩م.
- الخرايج والجرايح،للشيخ قطب الدين أبي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي،عام ١٣٠١ه.
- دولة الامام المهدي وعصر ظهوره، الشيخ كاظم المصباح،ط١، ٢٠٠٧م،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
- روضة الكافي،ثقة الاسلام الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، منشورات الفجر، بيروت لبنان،ط١ ٢٠٠٧م.
- عقد الدر في أخبار المنتظر،يوسف بن يحي بن علي بن عبد العزيز الشافعي،تح مهيب بن صالح بن عبد الرحمن النوري،مكتبة المنار،ط٢، ١٩٩٨م
- الغيبة،للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي الملقب بالنعماني،ط تبريز،١٣٨٣ه.
- كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق،٤٥٠٥ه،مؤسسة النشر الاسلامي،قم.
- الكافي في الاصول،لثقة الاسلام الشيخ محمد بن يعقوب الكليني
- موسوعة الامام المهدي، تاريخ مابعد الظهور، السيد محمد محمد صادق الصدر، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي،ط١، ٢٠٠٣م،مطبغة اسره
- معجم أحاديث الامام المهدي، علي الكوراني،ط١، ١٤١١ه،مؤسسة المعارف الاسلامية،قم.
- المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي،مركز الرسالة،،ط١٤١٧،١ه،،قم.
- ينابيع المودة،سليمان القندوزي الحنفي،ت علي الحسيني،ط١، ١٤١٦ه دار الاسوة

الانتصار النهائي لدولة الحق بقيادة الامام المهدي(ع):
دراسة تحليلية في ضوء أحاديث الرسول والأئمة(ع)

الدكتور أحمد جاسم مسلم الخيّال[1]

الملخص

قيام دولة الحقِّ في آخر الزمان أكّدت عليها روايات كثيرة عن الرسول(ص) وأهل بيته(ع)، ولم تترك هذه الأحاديث شيئا إلا ووصفته لتكون دليلا للمؤمنين في آخر الزمان وحصناً يجنبهم الوقوع بالفتن الكثيرة. وأشارت هذه الأحاديث عبر وصفٍ دقيق لكل الأحداث التي سوف تسبق قيام دولة الحق والتي ترافق قيامها، والبحث أراد من خلال دراسة هذه الأحاديث الشريفة أن يبيّن انتصار دولة الحق في آخر الزمان بقيادة الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر(ع) وقيام الدولة الإلهية المنتظرة التي تتطلّع إليها قلوب المؤمنين في كلّ الأزمان.

وقد ركّز البحث على الجوانب المهمّة التي عليها قام الانتصار الإلهي ومن ثمّ ظهور الدولة المباركة، على وفق مباحث أربعة أهتمّ كلّ بحث ببيان ركيزة مهمّة من هذه الركائز الواردة في الأحاديث الشريفة.

فاختصّ المبحث الأول ببيان (الانتصار العسكري)، والمبحث الثاني ببيان (الانتصار السياسي)، والمبحث الثالث ببيان (الانتصار العلمي)، أمّا الرابع فاهتمّ ببيان (إقامة دولة الحق)، ومن ثمّ استخلاص أهم النتائج التي توصّل لها البحث.

---

١. الكلية التربوية المفتوحة، مركز بابل.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجنبنا السهو والخطأ وأن يعصم عقولنا وأقلامنا من الخوض في الشبهات إنه سميع عليم، وأعتذر عن كلّ زلل ووهم وأحمد الله على كلّ نعمة أنعمها عليّ.... وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، الواحد الأحد، الفرد الصمد، المنزّه ممّا يعتري الأذهان، الذي تعجز أن تصفه العقول والأفكار، وصلّى الله على نبيّه المصطفى محمد الصادق الأمين وخاتم المرسلين وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، أوّلهم قائد الغر المحجلين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم الحجّة المنتظر الذي يملأ الأرض قسطا وعدلاً بعد أن تملأ ظلما وجوراً.

إنّ دراسة أحاديث اهل البيت عليهم السلام فيما يخصّ دولة الإمام المنتظر عليه السلام تزيل عنّا حجباً كثيرة وشبهات طرأت على بعض العقول التي قصُرت عن استيعاب وجوده عليه السلام، فبعض الأحاديث لا يمكن استيعابها، لكن بعد التطور العلمي الهائل في العصر الحديث كشفت عن أسرارها، وهذا يؤكد أنّ اهل البيت عليهم السلام كانوا يدركون جيداً زمنه وما يحصل فيه، لذا كلّموا الناس بإشارات بسيطة تشير إلى ما يحصل في زمنه من تطور تعجز العقول مهما كانت في ذلك الزمن من تصديقه أو فهمه إلاّ من غرس الله اليقين في قلبه.

وقسمّت بحثي على أربعة محاور، الأول اختصّ بالانتصار العسكري للإمام عليه السلام على قوى البغي والفساد بمختلف أشكالها وتوجّهاتها على وفق ما جاءنا من أحاديث عن الرسول صلّى الله عليه وآله وعن أهل بيت الرحمة عليهم أفضل الصلوات والسلام، والمحور الثاني تحدثت فيه عن الإنتصار العلمي، لأن محور القوة في آخر الزمان هو بامتلاك ناصية العلم، وقد أشار إلى ذلك اهل البيت عليهم السلام في أحاديثهم.

والمحور الثالث اهتمّ بالانتصار السياسي، فالعالم في آخر الزمان يقنط من السياسات المختلفة للحكّام، لأنها سياسات ظلمٍ وجور تغيب عنها العدالة وتعاني منها البشرية كثيراً، أمّا المحور الرابع فكان الحديث فيه عن إقامة دولة الحقّ، وفي ضوء إشارات اهل البيت عليهم السلام لقيام دولته عليه السلام نرى أنه يتحقق فيها السلام العالمي وتأمن الناس في

ظلِّ عدله وتختفي جميع النزاعات على أشكالها المختلفة، العرقية والمذهبية والقومية، وتصبح الأرض دولة واحدة تحت قيادتها تشرق بنور ربّها وتُخرج كنوزها وتشمل الجميع بركة الباري عزّوجلّ.

أولاً: الإنتصار العسكري

الإنتصار النهائي وإقامة دولة الحقّ يحتاج إلى مقدمات، فمن المنطقي أن يبذل المؤمنون جهداً كبيراً في سبيل ذلك بعد أن تفرغ الأفكار من محتواها وتعجز عن إقامة العدالة، ولابدّ أن ترافق حركة الإمام المهدي (عج) ظهور قوى مضادّة تحاول القضاء على حركته، وهذه القوى المضادة تكون على أشكالٍ عدّة، منها ما هو عائدٌ إلى توجّهات دول ترى أن هذه الحركة مضرّة بمصالحها وتوجهاتها، ومنها ما هو مرتبطٌ بفكر جماعات معيّنة لها مؤسساتها ومشاريعها الخاصة، ومنها ما هو نتاج الصراع الفكري بين الديانات الثلاث، الإسلام والمسيحية واليهودية.

فيواجه الإمام (عج) هذه التكتلات المضادة ولابدّ أن يمتلك في مواجهتها القوى العسكرية المناسبة لأجل الانتصار عليها، ومنها من يرفع راية الاستسلام بعد أن تتيقن أن ليس لها القدرة على مواجهته عسكريا أو أنها آمنت بما يدعو إليه من السلم العالمي والدعوة إلى الحق وإقامة العدالة.

والانتصار العسكري من مقدمات إقامة دولة الحق التي أشار إليها اهل البيت عليهم السلام في أحاديثهم، كما في قول الإمام الباقر عليه السلام: ((دولتنا آخر الدول، ولم يبقَ أهل بيت لهم دولة إلاّ ملكوا قبلنا، لئلاّ يقولوا إذا رؤوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عزّوجلّ (والعاقبةُ للمتقِين)))[1]. ودولة الإمام المهدي (عج) هي دولة الحقّ المنتظرة ودولة العدل الإلهي فيها يسعد الإنسان ويتشوّق للوصول إلى كماله، وعندها يعلم زيف الأفكار والعقائد التي كانت تحكم البشرية وتضطهدها، وتأمن الناس وتخرج الأرض بركاتها، فدولة الإمام عليه السلام هي الدولة الخاتمة التي تُحيي السنن وتُعيد للبشرية كرامتها، وقد ذكرها الرسول صلّى الله عليه وآله في رواية حذيفة بن اليمان، في قوله: ((... يفرح به

١. غيبة الطوسي: ٢٨٢.

أهل السماء وأهل الأرض، والطير، والوحش، والحيتان في البحر، وتزيد المياه في دولته، وتمدُّ الأنهار، وتُضعف الأرض أكُلها، وتُستخرج الكنوز))[1]، فدولته (عج) دولة أمان ورفاه اقتصادي للإنسانية جمعاء، ولايكون ذلك إلاّ بعد أن تبسط له مقاليد التحكّم في كلّ مكانٍ من الأرض بعد أن يناجز أهل الكفر والتمرد، وتكون له وقائع داخلية وخارجية ينتصر فيها على هؤلاء ثمّ يبدأ ببناء دولته العالمية المباركة.

الإنتصار في الوقائع الداخلية

ـ الإنتصار على السفياني

أشارت بعض الروايات إلى أنّ السفياني يرجع نسبه إلى آل أمية وإنّه من ولد سفيان، ويستفاد من روايات أُخر أنّ السفياني من ألتزم نهج آل أمية وتَبع طريقتهم في عدائه لأهل البيت وسار سيرتهم المعروفة بمعاداة الإسلام وتغيير سننه وقوانيه لأجل مصالح خاصة كما فعل آل أمية سابقاً.

وظهور السفياني من العلامات المؤكّدة قبل الظهور، قال الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: ((أمر السفياني حتمٌ من الله ولايكون قائم إلاّ بسفياني))[2]، وأعتقد أنّ المواجهة بين الإمام (عج) وبين من يمثّل خطّ آل سفيان ضرورية جدا من أجل استقرار الجبهة الداخلية للإمام عليه السلام، فمعروف أن هذا الخط الأموي لن يهدأ أو يقرّله بال إذا ظهرت دعوة الإمام، لذا فمناجزته والقضاء عليه من أوليات الخطط العسكرية في عصر الظهور، قال الإمام الصادق عليه السلام: ((أنا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله، قلنا صدق الله وقالوا كذب الله، قاتل أبو سفيان رسول الله صلّى الله عليه وآله وقاتل معاوية علي بن أبي طالب عليه السلام وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي عليهما السلام والسفياني يقاتل القائم))[3]، وقد وصلتنا روايات كثيرة عن اهل البيت عليهم السلام تصف المعارك التي يخوضها الإمام في مواجهة هذا المدّ الأموي الذي يقوده السفساني.

---

١. عقد الدرر: ٢٠٠، ط١، ١٤١٦هـ.

٢. بحار الانوار: ١٨٢/٥٣.

٣. المصدر نفسه: ١٩٠/٥٣.

منها عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ((إذا بلغ السفياني أنّ القائم قد توجّه إليه من ناحية الكوفة، يتجرّد بخيله حتى يلقى القائم، فيخرج فيقول: أخرجوا إليّ ابن عمّي، فيخرج عليه السفياني، فيكلّمه القائم، فيجيء السفياني فيبايعه، ثمّ ينصرف إلى أصحابه، فيقولون له: ما صنعت؟ فيقول: أسلمت وبايعت، فيقولون له: قبّح الله رأيك، بينما أنت خليفة متبوع فصرت تابعاً، فيستقيله، فيقاتله، ثمّ يمسون تلك الليلة، ثمّ يصبحون للقائم بالحرب، فيقتتلون يومهم ذاك، ثمّ إن الله تعالى يمنح القائم وأصحابه أكتافهم، فيقتلونهم حتى يفنوهم، حتى أنّ الرجل يختفي في الشجرة والحجرة، فتقول الشجرة والحجرة: يا مؤمن، هذا رجل كافر فاقتله، فيقتله، قال: فتشبع السباع والطيور من لحومهم))[1].

وعن الإمام أبي جعفر عليها السلام أيضاً، قال: ((يهزم المهدي السفياني وجيشه ويقتلهم أجمعين، ويذبح السفياني تحت شجرةٍ مدلاة في بحيرة طبرية ممّا يلي الشام))[2].

فالانتصار على السفياني وجيشه مهمٌّ جدا لأجل التمهيد لاستقرار دولة الإمام عليه السلام، فهذا الخط الأموي الذي ابتدأ بأبي سفيان لا زال إلى الآن يشعل الفتن تلو الأخرى التي تضرّ بالإسلام والمسلمين، لذا فتركهم دون القضاء عليهم يمثّل خطراً كبيراً على دولة الإمام عليه السلام، كما أنّ هذا الخطّ الأموي يتحمّل الكثير من المظالم والجور والقتل، وتركهم دون قتال يضرّ بقاعدة العدل التي خرج الإمام عليه السلام من أجل إرسائها وإعادة الحقوق إلى أهلها، لذا فقتالهم لا بدّ منه، وسيكون الانتصار عليهم هو انتصار لقيم الإسلام والإنسانية، لأنهم العثرة الكبيرة في طريق سيادة الحقّ.

ـ الإنتصار على الدجال

قال الرسول صلّى الله عليه وآله: ((إنّه لم يكن نبي بعد نوح إلاّ أنذر قومه الدجّال وأنا أنذركموه))[3]. والدجال سواء أكان شخصيّة تظهر آخر الزمان أو توجّه فكري ضالٍ يعتنقه الناس كما في تحليلات بعض المفكرين، أو إنّه شخصية تتمثّل فيها صفات الشذوذ الفكري

---

١. بحار الانوار: ٣٨٨/٥٢.

٢. منتخب الأنوار المضيئة: ١٩٢ ف١٢.

٣. صحيح الترمذي، باب ما جاء في الدجال: ٤٢.

والعقيدي ويتبعه من هم على شاكلته، وهم يمثّلون بقايا الآيدلوجيات التي أرادت أن تحكم الأرض وهي تعود لجذور فلسفات مختلفة كالرأسمالية والماركيسية والشيوعية وغيرها، فهذه الفلسفات إذا كانت وراءها قوى عسكرية تطمح في تحقيقها على أرض الواقع فإنّ عواقبها تكون وخيمة على الإنسانية، وقد مررنا بهذه التجارب التي عانت منها البشرية الويلات. عموما من الممكن أن يكون الدجال هو اختزال لكل الفلسفات المادية التي أنتجها الإنسان وآمن بها، لذا يجب القضاء عليها وعلى من يتبناها، لأن خطرها يبقى ماثلاً عل دولة الإمام عليه‌السلام، فالإمام أتى من أجل تطبيق النظرية الإسلامية بحسب قانونها السماوي الذي ارتضاه الله عزوجلّ، ولايمكن لنظريات أخرى أن تزاحمها لأنها ستكون بمثابة المعادل الموضوعي للفكرة الإلهية.

لذا وصف الرسول صلّى الله عليه وآله الدجال بالأعور، الذي ينظرإلى جانب واحد من جوانب الحياة وهو الجانب المادي، وأمرنا بلزوم طاعة اهل‌البيت عليهم السلام ومحبّتهم لأن ذلك عاصم من الوقوع في فتنة الدجال، قال رسول الله: ((مثل أهل‌بيتي مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلّف عنها غرق، ومن قاتلنا في آخرالزمان فكأنما قاتل مع الدجال))[1].

والإنتصار على الدجال وعلى منظومته الفكرية يمهّد الطريق لقيام دولة الإمام عليه‌السلام، لذا فالمواجهة حتميّة بينهما وقد وردت روايات تؤكّد انتصار الإمام عليه‌السلام وقتله للدجال والقضاء على فتنته، كما في خطبة للإمام علي عليه‌السلام قال فيها: ((يقتله ـ أي الدجال ـ اللهُ عزّوجلّ بالشام، على عقبةٍ تُعرف بعقبة أفيق، لثلاث ساعات مضت من يوم الجمعة على يد من يصلّي عيسى بن مريم خلفه))[2]، أي المهدي عليه‌السلام. وبقتل الدجال والسفياني يتمّ القضاء على أبرز أعداء الإنسانية، أحدهما يمثّل الخطّ الناصبي المتعصّب ورمزه السفياني، والآخرالفكرالمادي الذي يتحكّم بالأرض والبلاد ورمزه الدجال.

بعد القضاء على هذين الخطّين المعاديين للإسلام تتيسّرالأمور للإمام المهدي (عج)، ويبدأ بفتح المدن وتحريرها، مكة والمدينة والحجاز والقدس ليقضي على آخرالمقاومات فيها.

---

١. الطبراني الصغير: ١/١٣٩.

٢. كمال الدين: ٢/٥٢٥.

عن الإمام أبي جعفر عليه السلام، قال: ((يبايع القائم بمكة على كتاب الله وسنة رسوله، ويستعمل على مكة، ثم يسير نحو المدينة فيبلغه أن عامله قتل، فيرجع إليهم فيقتل المقاتلة ولا يزيد على ذلك، ثم ينطلق فيدعوا الناس بين المسجدين إلى كتاب الله وسنة رسوله، والولاية لعلي بن أبي طالب، والبراءة من عدوه))[1].

وعن رسول الله صلّى الله عليه وآله في فتح الشام، قال: ((يرسل الله على أهل الشام من يفرّق جماعتهم حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم، وعند ذلك يخرج رجل من أهل بيتي في ثلاث رايات المكثر يقول خمسة عشر ألفاً، والمقلل يقول اثنا عشر ألفاً، إمارتهم أمة أمة، على كل راية منها رجل يطلب الملك أو يبغي له الملك فيقتلهم الله جميعا، ويردّ الله على المسلمين إلفتهم وقاصتهم وبزارتهم))[2].

ووردت روايات كثيرة تؤكد دخول الإمام عليه السلام بيت المقدس، منها عن الإمام علي عليه السلام، قال: ((ويدخل المهدي عليه السلام بيت المقدس))[3]، وعنه عليه السلام أيضاً، قال: ((ويسير المهدي حتى ينزل بيت المقدس، وتُنقل إليه الخزائن))[4]، وعنه عليه السلام أيضاً، قال: ((وعيسى بن مريم عليه السلام ينزل من السماء، ويكون مع المهدي من ذرّيتي... ويسيرون جميعاً إلى أن أن يأتوا جميعاً بيت المقدس))[5].

وهذا الروايات وغيرها الكثير تؤكد أن الإمام عليه السلام يفرض سيطرته على المدن جميعها ويبدأ بتأسيس دولته بعد أن يجعل عليها الولاة ليحكمون بحكمه فيها.

ـ الإنتصار في الوقائع الخارجية

إنّ حركة الإمام المهدي (عج) هدفها إقامة دولة عالمية حدودها حدود الأرض، لذا بعد أن ينتهي الإمام عليه السلام من الحروب الداخلية والقضاء على كلّ الحركات المضادّة لمنهجه يتحرك بإتجاه تحرير العالم ليقيم دولته المباركة ليسود العدل والمساواة بين جميع

---

١. بحار الانوار: ٣٠٨/٥٢.
٢. معجم الطبراني الأوسط: ١/ ٢٩٣. الملاحم والفتن: ٩٦.
٣. عقد الدرر: ٢٧٥ ب١٢ ف٢.
٤. كنز العمال: ٥٨٩/١٤ ح٣٩٦٦٩.
٥. إثبات الهداة: ٣/ ٥٨٧ ح ٨٠٤.

الأجناس من العالم.

ونقلت لنا الروايات عن اهل البيت عليهم السلام غلبة الإمام عليه السلام على الروم، فقد جاء عن الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام، إنّه قال: ((ثمّ يسيرومن معه من المسلمين، لا يمرّون على حصنٍ ببلد الروم إلاّ قالوا عليه: لا إله إلاّ الله، فتتساقط حيطانه، ثمّ ينزل من القسطنطينية، فيكبرون تكبيرات، فينشف خليجها، ويسقط سورها، ثمّ يسير إلى رومية، فإذا نزل عليه (عليها) كبّر المسلمون ثلاث تكبيرات، فتكون كالرملة على نشز))[1]، وفي حديث آخر عن الإمام جعفر بن محمد عن أبيه عليهم السلام، قال: ((فإذا بلغوا (أي: جنود المهدي) الخليج كتبوا على أقدامهم شيئاً ومشوا على الماء، فإذا نظر إليهم الروم يمشون على الماء، قالوا: هؤلاء أصحابه يمشون على الماء، فكيف هو؟ فعند ذلك يفتحون لهم أبواب المدينة، فيدخلونها، فيحكمون فيها ما يشاؤون))[2].

كلتا الروايتين تؤكّد أنّ الإمام عليه السلام يسير بجيشه نحو بلدان العالم الآخر ليفتحها ويحكمها بحكم الله عزّوجلّ، وأن النصر سيكون حليفه في كلّ حروبه مع العالم الخارجي، وهناك أسباب عديدة تهيّء للإنتصار، منها أن العالم في وقته يمرّ بفراغ فكري وسياسي كبير، وعند الظهور المبارك تلتجيء إليه أغلب بلدان العالم لا سيما بعد نزول النبي عيسى- عليه السلام وصلاته خلف الإمام عليه السلام كما ورد في أغلب روايات الظهور.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: ((يفتح قسطنطينية والصين وجبال الديلم))[3]، وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ((فيفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها...وتشرق الأرض بنور ربّها، ولا تبقى في الأرض بقعة عُبد فيها غير الله عزّوجلّ إلاّ عُبد الله فيها، ويكون الدين كلّه لله ولو كره المشركون))[4]. فالإمام عليه السلام في ضوء هذه الروايات يبعث بجيوشه إلى مشارق الأرض ومغاربها ويفتح هذه البلاد وتخضع لحكمه (عج)، وبذا تكون الأرض دولة واحدة يدير حكمها الإمام المنتظر ويتحقق العدل وتعمّ المساواة جميع الناس.

---

١. عقد الدرر: ١٣٩ ب٦.

٢. كتاب الغيبة: ٣١٩-٣٢٠ ح٨. دلائل الإمامة: ٢٤٩.

٣. عقد الدرر: ٢٢٤ ب٩ ف٣.

٤. كمال الدين: ٢/٣٤٥.

ثانياً: الانتصار العلمي

إنّ سيطرة الإمام عليه السلام على العالم عسكرياً لا يكفي لديمومة هذه السيطرة إذا لم يرافقها طفرة علمية كبيرة تساهم في تسهيل إدارة هذا العالم المترامي الأطراف، فنحن في عصرنا الحالي نتبجّح بتطور العلم والتكنولوجيا وسرعة تبادل المعلومات، حتى كأنّ العالم أصبح قرية صغيرة، لكن مع كلّ هذا التطور فإنّ الإمام (عج) سيحدث نقلة علمية كبرى تُذهل العقول وتُعجز العلماء، وقد وردت في ذلك الروايات التي تشير إلى التطور العلمي الكبير في عصره عليه السلام، منها ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: ((العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتّى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً، فبثّها في الناس وضمّ إليها الحرفين، حتّى يبثّها سبعة وعشرين حرفاً))[1]، وهذا الحديث يدلّ بما لا يقبل الشكّ على مدى التطور العلمي في عصر الظهور، فإذا كان العالم بما فيه الآن من تطور يفخر به قد وصل الدرجتين من العلم فقط، فكيف يكون العالم إذا تضاعف هذا العلم بما يعادل اثني عشر ضعفاً، من المؤكد أنه سوف يشهد طفرة علمية وثقافية كبرى، ويبلغ ما لم تبلغه البشرية طيلة ألآف السنين.

وفي أحاديث اهل البيت عليهم السلام إشارات واضحة إلى هذه النقلة العلمية الكبرى في عصره (عج)، فعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: ((إن قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربّها واستغنى العباد عن ضوء الشمس))[2]، وهذا الإستغناء عن ضوء الشمس فيه إشارة إلى الاعتماد على نوع من الطاقة يعادل ضوءه ضوء الشمس، ولا يمكن أن يكون ذلك عن طريق الإعجاز العلمي، فسنن الأنبياء عليهم السلام دارت مداراتها حول السنن الطبيعية إلا لأمور استثنائية، بمعنى أن العلم سيكون قادرا على إنتاج هذه الطاقة التي تنير الأرض ليل نهار حتى يستغني الناس عن ضوء الشمس.

وفي حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: ((ذُخِر لصاحبكم الصعب، قلت وما الصعب؟ قال: ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة أو برق، فصاحبكم يركبه، أما إنّه

---

١. بحار الأنوار: ٥٢/ ٢٣٦.

٢. المصدر نفسه: ١٣/ ١٧٦ الطبعة القديمة

سيركب السحاب ويرقى في الأسباب، أسباب السموات السبع والأرضين))[1]، ويتيح التطور العلمي للإمام عليه السلام السفر في الفضاء والتنقل بسرعة من مكانٍ إلى آخر، وربّما يقول أحدهم أنّ هذا حاصلٌ اليوم، لكن إشارة الرواية تختلف عن ما موجود اليوم من التنقل بالطائرات أو المركبات الفضائية، فالإمام (عج) يرقى في الأسباب أسباب السموات السبع والأرضين، أي أنه سيصل إلى أماكن في الفضاء عجز عن تصورها العلم المعاصر، حتّى أنه يكشف عن طرق السموات السبع، وربّما سيكون السفر عبر الزمن حاصلاً في عصر ظهوره الشريف، أمّا نوع المركبات التي سوف يركبها وكيف صنعها، أعتقد أنّها ستكون من أسرار عصره عليه السلام.

ومن الإشارات إلى التطور العلمي في عصره (عجل) ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: ((إنّ قائمنا إذا قام مدّ اللهُ بشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم، حتّى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلّمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه))[2]، وفي حديث آخر كذلك عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: ((إنّ المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق سيرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي بالمشرق))[3]، ونحن اليوم في عصرنا نشهد هذه التقنية التي أشار إليها الإمام الصادق عليه السلام، فربّما تكون من الأمور الممهّدة لظهوره عليه السلام، وربّما يكون الأمر مختلفاً تماماً بالنسبة لعصر الظهور وأنّ التقنية التكنلوجية ستكون غير مسبوقة وتتجاوز كلّ ما وصل إليه الإنسان في وقتنا الحالي.

فدولة الإمام الحجة عليه السلام التي حدودها حدود الأرض كلّها تحتاج إلى قدرة علميّة فائقة في المواصلات والإتصالات من أجل إدارتها والتحكم بكلّ صغيرة وكبيرة مهما تكن تافهة، فيملك ناصية أسرار العلوم يخرجها إلى العالم ليفيد دولته منها في المجالات كافّة، وبذا يكون الإنسان في عصره كأنّه في عصرٍ جديد يتمتّع بإنجازات العلوم الفائقة حتى كأنّ الأرض تكون ككرة في راحة أحدهم. و ((سيكون العلم والمعرفة والصناعة وسيلة لتحسين أوضاع

---

١. بحار الأنوار: ١٢/ ١٨٢.
٢. منتخب الأثر: ٤٨٣.
٣. المصدر نفسه: ٤٨٣.

العالم وتعميق أسس الأخوة، لا التفرقة والهدم كما هي عليه اليوم))[1].

ثالثاً: الانتصار السياسي

لقد عانت الأرض عبر تاريخها الطويل من سياسات خاطئة أضرّت كثيراً بالإنسان وأهانت كرامته، فالمتسلطون كانوا دائماً هم من يتحكّمون بمصير الحياة والإنسان دون أي اعتبارات أخرى، لذا تجد بعض البشر يكدح من أجل لقمة العيش، بينما ترى آخرين يتنعمون بالثراء الفاحش وبالخيرات الكثيرة، ويكاد هذا التفاوت الطبقي أن يلغي الكثير من القيم الإنسانية، وهذا ناتج عن السياسات الخاطئة لمن هم على رأس السلطة، لذا ينتشر الظلم والجور والمحسوبية وفقدان الحرية والإستغلال بأبشع صوره، وتكاد تكون الحياة صورة أخرى للجحيم كما ظهر ذلك في أدبيّات بعض الكتاب والمثقفين.

وعند ظهور الإمام (عج) فإنّه يناهض الجور والظلم ويقيم أسس العدل والمساواة بين الناس جميعاً كما ذكر ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله، قال: ((يلي رجل من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً))[2]، فسياسة الإمام عليه‌السلام هي سياسة العدل وإنصاف الناس جميعاً دون محاباة أو زلفى، ويعيد السلام المفقود من هذا العالم بعد القضاء على مروّجي الحروب وأصحاب الأفكار الدوغمائية التي يحاول أصحابها إشاعة النيل من الإنسان ومن قيمه الفكرية.

ومن مظاهر سياسة العدل في دولته عليه‌السلام أن يرضى عنه ساكن الأرض وساكن السماء كما جاء عن الرسول صلّى الله عليه وآله، قال: ((أبشّركم بالمهدي...يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض))[3]، وفي حديث آخر، قال صلّى الله عليه وآله: ((المهدي من ولدي...يرضى بخلافته أهل السماء وأهل الأرض، والطير في الهواء))[4]، وهذان الحديثان يدلان على شيوع سياسة العدل في دولته (عج)، وأنّ الناس والمخلوقات كافة تأمن في

---

١. الحكومة العالمية للإمام المهدي (عج)، الشيخ مكارم الشيرازي: ٢١٩.
٢. غيبة الطوسي: ١١٢.
٣. مستدرك الحاكم: ٤/ ٤٦٥.
٤. دلائل الإمامة: ٢٣٣.

أيامها وتزول كلّ مظاهر الفساد والظلم والجور بحكمته عليه السلام.

إنّ ردّ المظالم من أهمّ الأعمال التي تجعل الإنسان يأمن فيها في دولة الحقّ، وسياسة ردّ المظالم من الأوليات في حكومته عليه السلام، فالناس سواسية بالحقوق والواجبات، وهذه السياسة لها أثرها في حفظ النظام المجتمعي من آفة الطبقية، فجاء عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: ((إذا قام قائم اهل البيت قسّم بالسوية، وعدل في الرعيّة...وتُجمع إليه أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها، فيقول للناس: تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام، وسفكتم فيه الدماء الحرام، وركبتم فيه ما حرّم الله عزّوجلّ، فيعطي شيئاً لم يعطه أحد كان قبله، ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً كما مُلئت ظلماً وجوراً وشرّاً))[1].

سياسته عليه السلام سياسة واحدة بين جميع الناس، ولأنّه يحكم الأرض جميعها لذا يكون مصدر السلام والأمان في العالم، وهذا العالم الذي بقي على حاله منذ الآف السنين ينتظر السلام ويسعى إليه دون أن يصل إلى تحقيقه بسبب تقطعه إلى دول ومجتمعات وتصنيفات مختلفة مرتبطة بالهوية والجنسية والحدود والأجناس المختلفة والتمييز العنصري بين هذه الأجناس، كلّ هذا كان سبباً في معاناة الإنسان وابتعاده عن تحقيق العدالة والسعادة له، وهذه التوصيفات والتقسيمات البشرية والإدارية ستسقط جملة واحدة في دولته عليه السلام، وسيعمّ السلام والأمان وتنعم البشرية بفرصة كبيرة للوصول إلى التكامل الإنساني بعيداً عن هوس الحكام ومصالحهم ومصالح دولهم.

فالرفاه الاقتصادي وكثرة النعم والخيرات واختفاء النعرات بمختلف أشكالها في زمنه عليه السلام ستكون أسباباً في تحقيق العدالة الاجتماعية المفقودة، وستنتصر سياسته بعد أن يجمع شمل الأرض تحت رايته، ويُعزّ الإنسان ويُكرّم في دولته، ويرزق الناس في الشهر الواحد رزقين كما ورد في الحديث عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ((إذا ظهر القائم ودخل الكوفة بعث الله تعالى من ظهر الكوفة سبعين ألف صدّيق، فيكونون في أصحابه وأنصاره، ويردّ السواد إلى أهله، هم أهله، ويعطي الناس عطايا مرتين في السنة، ويرزقهم في الشهر رزقين، حتّى لا ترى محتاجاً إلى الزكاة، ويجيء أصحاب الزكاة بزكاتهم إلى المحاويج من شيعته فلا

---

١. كتاب الغيبة: ٢٣٧.

يقبلونها، فيصرّونها ويدورون في دورهم، فيخرجون إليهم، فيقولون: لا حاجة لنا في دراهمكم...))[1]، يدلّ هذا الحديث على انتصار سياسته عليه‌السلام في القضاء على الظلم والفساد والجور، ونجاحه في تحقيق العدالة الاجتماعية حتى لا يحتاج الإنسان إلى غيره، فيصبح الإنسان حرّاً كريماً في دولته الكريمة.

رابعاً: إقامة دولة الحق

لقد بشّر الله عزّوجلّ عباده المؤمنين بإقامة هذه الدولة المباركة في قوله: ((وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ))[2]، وهذا الوعد الإلهي سيتحقق عند ظهور الإمام المنتظر عليه‌السلام ليقيم دولة الحق الإلهي، وقد ذكر صاحب تفسير مجمع البيان في تفسير هذه الآية أنّ الإمام الباقر عليه‌السلام، قال: ((هم أصحاب المهدي في آخر الزمان)).

وفي آية أخرى يتجلّى الوعد الإلهي بالاستخلاف في الأرض، في قوله: ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ))[3]، وقد ذكر الشيخ مكارم الشيرازي أنّ في الآية الكريمة ثلاثة وعود إلهيّة، وهي: الاستخلاف في الأرض وتمكين الدين، وتبديل الخوف بالأمن[4].

وتتشوّق قلوب المؤمنين إلى هذا الوعد الإلهي لتقرّ عيونهم وتسرّ قلوبهم بانتصار الحقّ وقيام دولة المؤمنين التي ينتصر فيها الإنسان على أعداء الحياة والجبابرة المتسلّطين، ولا يكون ذلك إلاّ بعد الظهور المبارك للإمام المهدي (عج)، فيتحقق أمل المؤمنين وينقطع دابر الكافرين والمنافقين.

وجاء عن الإمام الصادق عليه‌السلام، أنّه قال: ((إذا خرج القائم يقوم بأمرٍ جديد،

---

١. بحار الأنوار: ٥٢/٣٩٠.
٢. الأنبياء: الآية/١٠٥.
٣. النور: الآية/٥٥.
٤. الحكومة العالمية للإمام المهدي (عج): ١٠٠.

وكتابٍ جديد، وسنة جديدة، وقضاءٍ جديد))[1]، وهذا الحديث يشير بشكل واضح إلى منهج الإمام عليه السلام في إقامة دولته الكريمة، وهو لا يأتي بدين جديد غير الدين الإسلامي، وإنّما يرجع الناس التي ابتعدت عن الدين الإسلامي إليه، وهذا الابتعاد الكبير يجعلهم يرون الدين الإسلامي كأنّه دين جديد، فيغيّر المنظومة الفكرية والثقافية والإقتصادية ويهدي الناس إلى دين الإسلام الحقيقي الذي غيّبه الطغاة وحرّفه المنتفعون من السلطة منذ عهد بني أميّة إلى اليوم.

على وفق هذا الحديث فإنّ الإسلام يكون غريباً عند الظهور، لا يعمل بأحكامه ولا بأوامره ولانواهيه، والناس لا تعرف منه إلاّ اسمه، فيعمل الإمام الحجة (عج) على نشر الإسلام من جديد، وكأنّ الناس من غفلتها ترى ديناً جديداً كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: ((يصنع ما صنع رسول الله صلّى الله عليه وآله، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله صلّى الله عليه وآله أمر الجاهلية ويستأنف الإسلام جديدا))[2].

إنّ إقامة دولة الحقّ وعدُ ألهي تتحقّق عندما تعجز التجارب البشرية عن تحقيق الأمان والسعادة والحياة الكريمة للبشر، عندها تشرئبّ أعناق الناس إلى السماء من شدّة الظلم والجور، فيخرج المنتظر الموعود ليقطع دابر الكافرين، ويبني دولته على أسس الإسلام الصحيح الذي بشّر به رسول الإنسانية محمد صلّى الله عليه وآله، وهي أمل الأنبياء والأولياء والصالحين، وهي خاتمة الدول يبارك بها الله، فتتوحّد الأديان وترتفع راية الإسلام، وتختفي الخلافات والنزاعات الدينية والمذهبية والطائفية، فليس هناك اختلافاً فالدين هو الإسلام، كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام، قوله: ((... فوالله يا مفضّل ليرفع عن الملل والأديان الاختلاف ويكون الدين كلّه واحداً، كما قال جلّ ذكره: إن الدين عند الله الإسلام))[3].

ويعمّ الأمنُ في دولته الكريمة (عج) كما جاء عن النبي محمد صلّى الله عليه وآله، قال:

---

١. إثبات الهداة: ٨٣/٧.
٢. إثبات الهداة: ٨٣/٧.
٣. بحار الأنوار: ٤/٥٣.

((وتأمن البهائم والسباع، وتلقي الأرض أفلاذ أكبادها...))[1]، والأمن من المواضيع المهمّة، إذ لا دولة بدون أمن، والأمن في دولة الحق يتحقّق حتّى للبهائم والسباع وجميع المخلوقات على وجه الأرض، وتتطور العلوم حتى تصل إلى أعلى درجاتها، وتكتمل عقول الناس لما يروه من الحقّ، ويكشف الإمام عن أسرار العلوم المختلفة في المجالات كافّة التي يحتاجها الإنسان، وأشار إلى ذلك السيد ياسين الموسوي، في قوله: ((إنّ هناك كثيراً من القوانين الطبيعيّة التي لم يكتشفها الإنسان حاليّاً إنّما سوف تظهر ويظهرها صاحب الأمر عجل الله فرجه، الذي آتاه من العلم ما لم يؤتِ أحداً من العالمين، فالإمام ليس عالماً بقوانين الشريعة فقط أو قوانين اللغة أو العلوم الإنسانية بشتّى أنواعها وأصنافها، وإنّما الإمام المعصوم عجل الله فرجه عالم بكلّ قوانين الحياة، سواء كانت على مستوى فيزيائي أو كيميائي أو أي نوع من أنواع تلك القوانين التي تحكم حياة الإنسان والتطور الإنساني))[2].

ففهوم دولة الإمام (عج) من المفاهيم الواسعة في عقيدتنا، فهي تمثّل أمل الإنسان في تحقيق الغاية من وجوده والتحرر من قيود القوانين المتغيرة إلى فضاء قانون السماء، وتتكامل فيها جوانب الحياة جميعها العلمية والاقتصادية والإيمانية والفكرية والنفسية، وتغيب المصالح الذاتية والنزعات العرقية والدينية والقومية، إذ لا فكرة إلا توحيد الله وعبادته، ويصبح الناس بعد أن ينعموا بالعدل والسلام كالأسرة الواحدة، وهذا كلّه من بركات وجود الإمام عليه السلام بينهم، الذي يقود الإنسانية إلى شاطيء الأمان بعد أن عصفت بها حقب سوداء وفتنٌ عمياء أزلّتها عن الجادة وأبعدتها عن طريق الصواب، وعندها يسعد المؤمنون بتحقّق الوعد الإلهي فتنزلُ السماء غيثها وتُخرج الأرض بركاتها وتموت البدعة وتنقطع الفتنة.

ويُعبد الله في أرجاء العمورة كما أراد ومثل ما أمر على يد المصلح العظيم المهدي المنتظر (عج).

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين وصلّى الله على محمدٍ وآلِه الطيبين الطاهرين.

---

١. المستدرك للحاكم: ٤/٥١٤.

٢. أضواء على دولة الإمام المهدي، السيد ياسين الموسوي: ٩٦.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي (ت:١١٠٤ه)، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٥ه-٢٠٠٤م.
- أضواء على دولة الإمام المهدي عليه السلام، السيد ياسين الموسوي، العراق-النجف الأشرف، ط٢، ١٤٢٧ه.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي.(ت:١١١١ه)، مؤسسة الوفاء- بيروت في ١١١مجلد.
- الحكومة العالمية للإمام المهدي (عج)، الشيخ مكارم الشيرازي، ايران- قم، ط١، ١٤٢٦ه.
- دلائل الإمامة، لأبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، المطبعة الحيدرية- النجف الأشرف، من القطع المتوسط في ٣٢٦صفحة.
- صحيح سنن الترمذي، للترمذي الألباني، ت: محمد ناصر الدين الألباني، مكتة المعارف، ط١، ١٤١٩ه-١٩٩٨م.
- المعجم الصغير للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت:٢٦٠ه)، بيروت-لبنان: ١٣٩/١.
- عقد الدرر في أخبار المنتظر، يوسف بن يحيى بن علي المقدسي السلمي الشافعي، مكتبة عالم الفكر- القاهرة.
- الغيبة، الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت:٤٦٠ه)، مكتبة نينوى- طهران.
- كمال الدين: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت:٣٨١ه)، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٢٤ه-٢٠٠٤م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، العلامة المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٤٠٩ه.
- المستدرك على الصحيحين في الحديث، الحاكم النيسابوري (ت:٤٠٥ه)، دار الفكر- بيروت.
- معجم الأوسط للطبراني، الطبراني، ت: طارق بن عوض الله ومحسن الحسيني، دار الحرمين، ط١، ١٤١٥ه-١٩٩٥م.

- الملاحم والفتن، أبو الحسن أحمد بن جعفربن عبيد الله البغدادي (ت: ٣٣٦ه).
- منتخب الأثرفي الإمام الثاني عشرعليه السلام، الكلبايكاني، مكتبة الصدر- طهران.
- منتخب الأنوارالمضيئة في ذكرالقائم الحجة عليه السلام، بهاء الدين علي بن عبد الكريمبن عبد الحميد النيلي النجفي(كان حيّاً سنة ٨٠٢ه)، ت: مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، قم المقدسة، ط١، ١٤٢٠ه.

منجزات الدولة المهدوية

الدكتور خليل خلف بشير[1]

المقدمة

الحمدلله رب العالمين،والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد: فهذا بحث يتناول منجزات دولة امام معصوم من أئمة اهل البيت يظهر في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً هو الإمام الحجة محمد بن الحسن المنتظر ـ عجل الله تعالى فرجه وسهّل مخرجه ـ ولعل الاعتقاد به من أساسيات العقيدة الإسلامية فأمره مختص بكثير من الفرق الإسلامية، وغير الإسلامية كاليهود والنصارى، ولعل السبب في ذلك يكمن في كون المصدر واحداً اذ ان اول من أشار اليه هو الله سبحانه وتعالى ثم بشّر انبياءه به وبدولته المباركة، وازداد التبليغ لفكرة المهدي الموعود ببزوغ رسالة جده محمد المصطفى (ص وآله) اذ كثُرت الروايات الدالة على وجوده المبارك، والوعد بدولته المباركة، وأصبح انتظاره أفضل الاعمال، وأفضل الجهاد على ما وصل إلينا من احاديث الرسول الكريم وآله الكرام ـ عليهم آلاف التحية والسلام- وقد ألمع بحثي هذا الموسوم (منجزات الدولة المهدوية) الى الفرق بين العولمة وعالمية الدولة المهدوية، ومدة الدولة المهدوية، وسلّط الضوء على جوانب مهمة في حياة البشرية تشهد تطوراً ملموساً أبرزها: الجانب الاقتصادي ثم الزراعي، والديني، والقضائي، والإداري،والعلمي، والحربي، على أنني بذلت جهدي، وأعملتُ فكري لأضع هذا البحث بالمستوى المطلوب فإن

---

١. العراق، جامعة البصرة/كلية الاداب/قسم اللغة العربية

وفقتُ فلله حمدي وشكري وإلا فلله ولسيدي الحجة اعتذاري سائلاً الله تعالى ان ينفعني به في الدنيا والآخرة، وان يكون في مصاف اعمالي يوم القيامة (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)(الشعراء /٨٨-٨٩)،والله ولي التوفيق.

العولمة وعالمية الدولة المهدوية

من المعروف لدينا بأن الإسلام يقف موقفاً متحفظاً من مسألة العولمة، لانها تهدف الى فرض هوية ثقافية واحدة هي الهوية الغربية، وتمارس عمليات استلاب حضاري وتنميط لثقافة الشعوب بما ينسجم مع الثقافة الغربية من خلال وسائل الاعلام الجبارة، وتقنيات المعلومات المحتكرة بيد الشركات الغربية الكبرى التي تسلب من الاخرين فرصة المنافسة، وتحول دون التثاقف المتوازن بين الشعوب والامم المختلفة[1] اذ ان العالم بأسره سيكون قرية كبيرة واحدة ترفض وجود الحواجزبين احيائها، واطرافها المتعددة، على ان الشركات الاقتصادية الغربية العملاقة قد تمكنت من خلال المنافسة الحرة بينها، وبين مراكزنا الاقتصادية والصناعية الداخلية ان تعزل مراكزالانتاج الصناعي الداخلي، وتضعفها، وتكتسح الاسواق في العالم الإسلامي،[2] وبذا فالعولمة لا تنتج دولة عالمية منسجمة، يسودها نظام وقانون واحد؛ لأنها تمارس انواعا مختلفة من القسروالفرض مما يؤدي الى نشوء حالة من الممانعة عند الشعوب المختلفة تدعوها الى التمرد على ما تنتجه العولمة من قوانين، وانظمة لادارة العالم فلا بد من بديل للشعوب المحرومة والمستضعفة، ولا بديل لها سوى دولة الإمام العالمية التي سوف تحقق التقارب والتواصل الحقيقي بين الشعوب عبرقنوات الاختيار والقناعة[3] اذ كثيرمن الاطروحات الأرضية سوف تفشل في قيادة العالم الى ساحل النجاة،وتحقيق الاهداف الكبرى سوى هذه الدولة الالهية المباركة التي سوف تكون عالمية من خلال بسط نفوذها، وسيادتها على جميع المعمورة، وتكون الدولة الوحيدة في العالم التي لاتقوم بإزائها دولة اخرى، والروايات على سعة ملكه وسلطانه كثيرة منها قول الإمام

---

١. ينظر: مقال السيد محمد الشوكي الموسوم (الدولة العالمية :ضرورة ام طموح؟)، مجلة فكر الكوثر العدد الثاني، السنة الاولى، خريف ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م، ٥٢.

٢. ينظر: التحديات المعاصرة ومشروع المواجهة الاسلامية /الشيخ محمد مهدي الآصفي ٦٤-٦٥.

٣. ينظر: الدولة العالمية :ضرورة ام طموح ؟٥٢-٥٣

الباقر(عليه السلام):"يفتح الله له الروم والصين والترك والديلم والسند والهند وكابل شاه والخزر"،[1] وقول امير المؤمنين(عليه السلام):"اذا بعث السفياني الى المهدي جيشاً فخسف بهم بالبيداء، وبلغ ذلك اهل الشام، قالوا لخليفتهم: قد خرج المهدي فبايعه وادخل في طاعته والا قتلناك، فيرسل اليه بالبيعة، ويسير المهدي حتى ينزل بيت المقدس، وتنقل اليه الخزائن، وتدخل العرب والعجم واهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته من غير قتال حتى تبنى المساجد بالقسطنطينية وما دونها".[2]

وقال الإمام الصادق(عليه السلام) في الإمام المنتظر(عجل الله تعالى فرجه):"هو الخامس من ولد ابني موسى، ذلك ابن سيدة الاماء، يغيب غيبة يرتاب فيها المبطلون، ثم يظهره الله عزوجل فيفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها، وينزل روح الله عيسى بن مريم(عليه السلام) فيصلي خلفه، فتشرق الأرض بنور ربها، ولا تبقى في الأرض قطعة عبد فيها غير الله عزوجل الا عبد الله عزوجل فيها، ويكون الدين لله ولو كره المشركون".[3]

وترضى جميع الخلائق بدولته كما تفصح لنا بذلك الروايات فعن حذيفه عن النبي (ص وآله) قال:"المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدري، فاللون لون العربي، والجسم جسم اسرائيلي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورا، يرضى بخلافته ارض السماء والطير في الجو..."،[4] و" تفرخ الطيور في اوكارها، والحيتان في بحارها، وتمد الانهار، وتفيض العيون، وتنبت الأرض ضعف اكلها، ثم يسير مقدمته جبرائيل، وساقته اسرافيل فيملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما".[5]

مدة الدولة المهدوية

اختلفت الروايات في مدة حكم الإمام المهدي (عج) لاسيما الاخبار الواردة من طريق اخواننا اهل السنة والجماعة فقد ورد في سنن ابي داود حديث مروٍ عن ابي سعيد الخدري

---

١. بحار الانوار/ المجلسي ٣٤٨/٥٢.
٢. الملاحم والفتن/ السيد ابن طاووس ١٣٩.
٣. مجموعة الرسائل /الشيخ لطف الله الصافي٣٠٢/٢
٤. نوادر المعجزات /محمد بن جرير الطبري الشيعي ١٩٦.
٥. بحار الانوار ٣٠٤/٥٢.

قال:قال رسول الله (ص وآله):"المهدي من اجلى الجبهة، اقنى الانف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاكما ملئت جورا وظلما، يملك سبع سنين "[1]، وكذا حديث آخر مروٍ عن ابي سعيد الخدري يقول:"ان في امتي المهدي يخرج يعيش خمسا او سبعا او تسعا زيد الشاك. قال: قلنا وما ذاك؟ قال: سنين. قال:فيجيء اليه الرجل فيقول:يا مهدي اعطني قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع ان يحمله".[2] ولعل المرجح عند الشيخ الكوراني في الاحاديث التي تذكر مدة حكم الإمام المهدي(عليه السلام)ان اصلها الحديث الذي يذكران النبي (ص وآله) اجاب على السؤال عن مدة حكمه بأن عقد بيده الشريفة اصابعها الخمس، ثم عقد من الثانية اصبعين، ففسره الرواة بسبع، ثم صحفت الكلمة في النسخ بتسع.ولكنها قد تكون سبع مراحل او عقود مثلا ولا دليل على حصرها بالسنين.[3]

وكذا يرجح السيد صدر الدين الصدر (قدس سره) المدة بسبع سنين،[4] والواقع ان مدة حكمه تمتد زمناً طويلا من ٥ سنوات او ٧ سنوات الى ٣٠٩، وهي مدة مكث اصحاب الكهف اذ يستغرق تبلورها، وتشكيلها مدة ٥ او ٧ سنين، وعصر تكاملها: ٤٠ سنة ،وعصرها الاخير اكثر من ثلاثمائة سنة.[5]

منجزات الإمام في جوانب الحياة المختلفة

من المعروف ان المجتمع الانساني في بداياته كان يعيش بسيطاً في علاقاته الاجتماعية، والاقتصادية إلا انه بمرور الزمن، واتساع المجتمع، وتعدد حاجاته، وتعقيد علاقاته اخذ يرتب نفسه شيئاً فشيئاً من خلال تشكيل ما يسمى حديثاً بـ(الدولة)، وهي ضرورة لامناص منها، لأن حياة البشر لاتستقيم بدون دولة تحكمهم، وتدير شؤونهم، وتنظم امورهم لاسيما في عالمنا المعاصر الذي تعقدت فيه الحياة وتشابكت العلاقات تشابكاً كبيراً، واليوم يتجه العالم نحو الدولة العالمية الموحدة، إلى الانتماء العالمي بدلا من الانتماء القومي

---

١. سنن ابي داود/ابن الاشعث السجستاني٢/٣١٠.
٢. بحار الانوار٥١/٨٨.
٣. معجم احاديث الإمام المهدي (عليه السلام)١/ الشيخ علي الكوراني العاملي ٣٠٥.
٤. المهدي/ آية الله العظمى السيد صدر الدين الصدر (قدس سره)٢٦٦.
٥. الحكومة العالمية للإمام المهدي/ آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي ٢٣١.

والوطني، وهذا يذكرنا بكون الناس امة واحدة يحكمها نظام واحد هو نظام الفطرة الالهية فطرة الله التي فطر الناس عليها كما يخبرنا بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة/٢١٣)، وقوله (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (يونس/١٩) لكنها امة تختلف في حياتها عن بساطة الامة الاولى وسذاجة عيشها وافكارها وطموحاتها بل ستعود امة متطورة على جميع المستويات، والجوانب،[1] واليك وصف لهذا التطور الكبير الذي ستشهده الامة مركزاً على الجوانب الآتية:

١. الجانب الاقتصادي:

ويبدو من الروايات ان الخيرات والبركات تنتشر في ايام دولة الإمام(عليه السلام) فتخرج الأرض كنوزها وخيراتها للناس فقد روي عن رسول الله (ص وآله) انه قال:"تنعم امتي فيه ـ أي في حكم المهدي ـ نعمة لم يتنعموا مثلها قط، تؤتي الأرض أُكلها لا تدّخر عنهم شيئاً، والمال يومئذ كدوس يقوم الرجل فيه فيقول: يا مهدي، اعطني،فيقول: خذ"،[2] وفي دولته يرتفع الدخل السنوي للأفراد بحيث لا يبقى في المجتمع فقير، ولا مسكين، ولا محتاج او متسول، لان الثروة تقسم بينهم بالسوية كما روي ذلك عن النبي (ص وآله) في قوله:"أبشركم بالمهدي يبعث في امتي على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جورا وظلما، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحا، فقال له رجل ما صحاحا؟ قال بالسوية بين الناس، قال: ويملأ الله قلوب امة محمد (ص وآله) غنى ويسعهم عدله، حتى يأمر مناديا فينادي فيقول: من له من مال حاجة فما يقوم من الناس الا رجل، فيقول ائت السدان يعني الخازن فقل له ان المهدي

١. ينظر: الدولة العالمية: ضرورة ام طموح؟ ص ٤٣، ٤٤

٢. المستدرك على الصحيحين /الحاكم النيسابوري ٤/٥٥٨.

يأمرك ان تعطيني مالا، فيقول له احث، حتى اذا جعله في حجره واحرزه ندم، فيقول كنت اجشع امة محمد نفسا،او عجزعني ما وسعهم؟ قال فيرده فلا يقبل منه، فيقال له انا لا نأخذ شيئاً اعطيناه "،[1] وكذا قول الإمام الصادق(عليه السلام): " اذا قام القائم حكم بالعدل، وارتفع في ايامه الجور، وامنت به السبل، واخرجت الأرض بركاتها، ورد كل حق الى اهله....وحكم بين الناس بحكم داود(عليه السلام) وحكم محمد (ص وآله) فحينئذ تظهر الأرض كنوزها، وتبدي بركاتها، ولا يجد الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقته ولا لبره لشمول الغنى جميع المؤمنين."،[2] والواقع ان يملأ القلوب بالغنى النفسي. والمعنوي فيستأصل منهم جذور الحرص المقيتة، ويزيل عدم الوثوق بالمستقبل في ظل عدالته الاجتماعية فلا يرى شخص في نفسه من حاجة لجمع الثروة، لأن يومه وغده مضمونان[3] فقد ورد ن جده المصطفى (ص وآله) انه قال:"...حتى تملأ الأرض جوراً فلا يقدر احد ان يقول:الله ثم يبعث الله عزوجل رجلاً مني ومن عترتي فيملأ الأرض عدلاً كما ملأها من كان قبله جوراً، وتخرج له الأرض افلاذ كبدها ويحثو المال حثواً ولا يعده عدّاً".[4]

٢. الجانب الزراعي:

يبزوغ فجره تتضاعف البركات في الأرض لا سيما في مجال الزراعة اذ قال رسول الله (ص وآله) في وصف القائم "يخرج في امتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظُم الامة "،[5] وروي عن امير المؤمنين(عليه السلام) انه قال في معرض حديثه عن الحجة "...ويذهب الشر ويبقي الخير، ويزرع الانسان مدا، وتخرج له سبعة امدادا"،[6] وكذا يروي عن سعيد بن جبير (رضي الله عنه) انه قال: " ان السنة التي يقوم فيها القائم عليه السلام تمطر الأرض اربعاً

---

١. ينظر: الأربعون حديثاً في الإمام المهدي/ أبو نعيم الأصفهاني ٢٧ .ومعجم احاديث الإمام المهدي (عليه السلام)٩٢.
٢. بحار الانوار ٥٢/٣٣٩.
٣. ينظر:الحكومة العالمية للإمام المهدي ٢٢٣-٢٢٤.
٤. ينظر: بحار الانوار ٢٨/١٨.
٥. المستدرك على الصحيحين ٤/٥٥٧.
٦. حياة الإمام المنتظر- المصلح الاعظم /باقر شريف القرشي ٢٩٢.

وعشرين مطرة وترى آثارها وبركاتها ".[1]

وفي هذا الصدد يروى انه يقضي على نظام الاقطاع في الاراضي الزراعية كما في الحديث الشريف القائل "اذا قام قائمنا اضمحلت القطائع فلا قطائع ".[2]

٣. الجانب الديني:

تذكر الروايات ان الإمام حينما يحكم فإنه يأتي بدين جديد كما ورد ذلك عن الإمام الباقر(عليه السلام) عندما سأله عبد الله بن عطاء قائلاً:"اذا قام القائم(عليه السلام) بأي سيرة يسير في الناس...؟ فقال: يهدم ما قبله كما صنع رسول الله (ص وآله) ويستأنف الإسلام جديدا"،[3] وفي رواية اخرى انه يأتي بأمر جديد فقد روي النعماني حديثاً مفاده ان ابا جعفر(عليه السلام) قال: ان قائمنا اذا قام دعا الناس الى امر جديد كما دعا اليه رسول الله (ص وآله).الى اخر الحديث.[4]

ولمناقشة هذه الروايات نتساءل: ما هو الدين الجديد الذي سيأتي به الإمام؟ وهل يختلف عن دين جده؟ كما يدعي بعض ادعياء البابية والمهدوية في تفسيرهم لهذا الحديث بمعنى النسخ للشريعة الإسلام ية، وهي محاولة خبيثة ومنكرة في فهم النبوة والتشريع، وتبرير استهانتهم بالكتاب والسنة، وما جاء فيهما من احكام وتكاليف.[5]

والجواب على هذا السؤال لا بد من تسليط الضوء على الترابط الكبير بين الإمام، وجده بأعتبار ان النبي (ص وآله) كافح الجهل، والظلم، والفساد لتأسيس الدولة العالمية بعد معاناة وجهاد طويلين لكنه رحل الى المليك الاعلى عاقداً الامل على ولده المنتظر ليسود الإسلام على وجه الأرض اذ في دولته سيسود العدل ويطبق على جميع الأرض، وعندما

---

١. كشف الغمة/ابن ابي الفتح الاربلي ٣/٢٥٨.

٢. قرب الاسناد/الحميري ٣٩.

٣. بحار الانوار ٥٢/٣٥٤، وقول الإمام الباقر(عليه السلام) "يهدم ما قبله كما صنع رسول الله (ص وآله)" لا يعني انه لا يسير بسيرة جده، وانما يبل عن الدنيا كل ما ينطق ظاهره باسم الاسلام، ويستبطن خلافه كما هدم رسول الله (ص وآله) من قبل اركان الشرك واليهودية والنصرانية والمجوسية (ينظر:نهج الإمام المهدي في الحكم، من بحوث المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي ١٩-٢٠).

٤. ينظر:الغيبة للنعماني ٣٢٠، وبحار الانوار ٥٢/٣٦٦.

٥. ينظر:الإمام المهدي المنتظر وادعياء البابية والمهدوية بين النظرية والتطبيق /السيد عدنان البكاء ١/٢٨٢.

نقول: ان الإمام الحجة (عجل الله فرجه) سيأتي بدين جديد يجب ان نعلم بأن الشريعة السمحاء قد ختمت بالمصطفى، وشاء الله ان يكون خاتم الانبياء والمرسلين، وان يكون المهدي خاتم الاوصياء، وهنا يُطرح تساؤل آخر اذا كان الدين الإسلامي قد خُتم بصريح القرآن في قوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا)(المائدة/٣) فما هو الدين الجديد الذي سيأتي به الإمام لا سيما ان النبي قد عقد عليه امالاً كبيرة كما اسلفنا؟وما هو الامر الجديد الذي يختلف به عن جده؟

الجواب هو انه سيأتي بأحكام واقعية لا احكام ظاهرية فنحن الآن نعمل بأحكام ظاهرية اجتهد في استنباطها العلماء الاجلاء بعد معاناة وسهروصبر ـ وهم في هذا مأجورون على كل حال ـ فإذا ظهر الإمام فأنه سوف يُرجعنا الى الاحكام الواقعية في الموجودة في زمن النبي (ص وآله) فيتصور الناس ان المهدي جاء بدين جديد اذ يعيد كثير من الاحكام التي تناساها الناس وتجاهلوها بعد ان مضى. عليها الزمن أي انه يطبق الشريعة بكاملها فيظن الناس انه جاء بأمر جديد فمثلاً صلاة الجمعة ـ هذه الشعيرة المهمة ـ تنوسيث، وضُيعت يأتي فيوجبها فيتصور الناس انه قد اتى بدين جديد، والواقع انه يحيي الدين بعد اندراس.[1]

٤. الجانب القضائي:

لا شك ان الإمام سيقضي بين الناس بالعدل فهو الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وفي الروايات انه يحكم بحكم داود فلا يسأل عن البينة. عن الإمام الصادق(عليه السلام) انه قال:"اذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داود وسليمان، لا يسأل الناس بينة...."،[2] ويبدو انه يختلف في هذا مع جده الذي يقضي ـ بالبينة لقوله (ص وآله):"انما اقضي بينكم بالبينات والايمان..."[3] في حين لا يحتاج المهدي الى البينات والايمان، والايمان، وانما يقضي بعلمه، وهذا يعني ان جده يعلم لكنه لا يقضي بعلمه الذي يأتي به عن طريق النبي او عن طريق تحديث الملائكة او عن طريق الالهام.

---

١. ينظر: انتظار الفرج/ الشيخ ابراهيم التصيراوي، محاضرات حول الإمام المهدي، الجزء الثاني، اعداد وتحقيق :مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، ص١٣٦-١٣٩.

٢. بحار الانوار ٨٦/٢٣.

٣. الكافي /الكليني ٤١٤/٧.

واما حكمه بحكم سليمان فنحن نعلم من قوله تعالى (وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا)(الانبياء /٧٨- ٧٩) ان انساناً عنده مزرعة وجاءت غنم لشخص آخر فدخلت المزرعة، واكلت منها فأفسدت الزرع فالحكم المترتب في هذه المسألة ان الغنم اذا دخلت المزرعة ليلاً فالضمان على صاحب الغنم، اما اذا كان الدخول نهاراً فلا ضمان فكان الحكم بوجوب الضمان، لان الدخول كان في الليل لكن داود وسليمان اختلفا في قيمة الضمان فداود يرى ان الغنم تُعطي لصاحب المزرعة، لان زرعه فسد فبمقدار زرعه يُعطى من الغنم اما سليمان فحكم بأنه لا يأخذ نتاج الغنم أي يعطونه من الحليب او الاولاد اما نفس الغنم فلا يُعطى فحكم سليمان مختلف عن حكم ابيه داود، لانه حكم ولائي بحسب المصلحة العامة فالإمام الحجة سيضع احكاماً ولائية كثيرة مراعياً بذلك المصلحة العامة كتنظيمه مرور السيارات، ومرور الركاب، ويضع لذلك احكاماً ولائية على سبيل المثال انه لا دية للرجل الماشي في وسط الطريق حينما يتضرر من سيارة او من غيرها،[1] وهذه ـ لعمري ـ احكام عادلة تنظر الى المصلحة العامة متجاهلة الكثير من الاحكام الباطلة التي يضعها الناس في احكامهم العشائرية القاصرة المقصرة التي تنظر الى المصلحة الخاصة، وتأخذ ما تريد بقوة العشيرة.

ولابد ان نشير الى وجود جهاز قضائي يقظ وفاعل، ووسائل مراقبة دقيقة بحيث لا يفلت مجرم من سيطرته، ولا يستطيع انتهاك عدالته، وهو عنصر يحد من انتشار الفساد، وانتهاك حرمة القانون لا سيما انه يخرج بعد ان يستشري الفساد. قال تعالى (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (الروم/٤١)

ومن الاحاديث الدالة على عدالته، وردّها المظالم قول الرسول (ص):" عن ابي هريرة قال: قال رسول الله (ص) تقئ الأرض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجئ القاتل فيقول في هذا قتلت، ويجئ القاطع فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا

١. ينظر: انتظار الفرج ١٤١-١٤٦

يأخذون منه شيئاً"،[1]

ولما كان العدل يعم ربوع دولته فإن المرأة تقضي في بيتها بالقرآن الكريم والسنة المطهرة كما يروى ذلك عن ابي جعفر(عليه السلام) انه قال:"كأنني بدينكم هذا لا يزال متخضخضاً يفحص بدمه، ثم لايرده عليكم الا رجل منا اهل البيت فيعطيكم في السنة عطاءين، ويرزقكم في الشهر رزقين، وتؤتون الحكمة في زمانه حتى ان المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله (ص وآله)".[2]

وتشير بعض الروايات الى ان النبي عيسى(عليه السلام) يقضي في دولة المهدي بالعدل، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله احد. قال رسول الله (ص وآله):" والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، فيفيض المال حتى لايقبله احد ".[3]

٥. الجانب الاداري:

لا يختلف الإمام المنتظر عن جده في كونه رؤوفاً رحيماً بالناس ـ ومنهم المساكين ـ بيد انه حازم وحسيب على عمّاله لذا نجده يختار للحكم ولاة هم خيرة اصحابه الذين يتحلون بأعلى كفاءات الوالي الإسلامي من العلم، والفقه، والشجاعة، والنزاهة، والاخلاص.[4] قال ابن كثير:" اذا كان المهدي ثبت على المسيء من اساءته، وزيد المحسن في احسانه، سمح بالمال شديد على العمال رحيم بالمساكين "،[5] وذكر ابن طاووس رواية ان" المهدي كأنما يُلْعق المساكين الزُّبد".[6]

والإمام شديد مع المنافقين الذن يتاجرون بالدين، ويسيئون للمقدسات الإسلام ية لا سيما سدنة الكعبة فيفضحهم على مرآى ومسمع من الناس، ويسميهم (سرّاق الله)، ويذكر

---

١. صحيح مسلم /مسلم النيسابوري ٨٤/٣.
٢. الغيبة للنعماني ٢٤٥.
٣. بحار الانوار ٣٨٣/٥٢.
٤. ينظر نهج الإمام المهدي في الحكم/ آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي ٣٣-٣٤، اعلام الهداية –الإمام المهدي المنتظر خاتم الاوصياء/ لجنة التأليف ٢٢٤.
٥. البداية والنهاية /ابن كثير ٢٢٥/٩.
٦. الملاحم والفتن ١٤٤

الشيخ الطوسي هذا المعنى في رواية تقول:ان " القائم اذا قام قطع ايدي بني شيبة، وعلّق ايديهم على البيت، ونادى مناديه هؤلاء سرّاق الله".[1]

٦. الجانب العلمي:

تشهد الامة الإسلامية ابان الحكومة المهدوية تطوراً هائلاً في مختلف العلوم، لأن العلم سيعادل اثني عشر ضعفاً بالنسبة للعلوم والمعارف التي كانت سائدة زمن الانبياء الى يومنا هذا، والدليل على ذلك الرواية الآتية:"عن ابي عبد الله(عليه السلام) قال: العلم سبعة وعشرون حرفا فجميع ما جاءت به الرسل حرفان فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفا فبثها في الناس، وضم اليها الحرفين، حتى يبثها سبعة وعشرين حرفا".[2]

ويفتح هذا العلم امام الانسان جميع ابواب التكامل الفكري، والرقي المعنوي، والتكامل الروحي فيشهد عصره تطوراً فكرياً وروحياً عالياً كما يلمع الى ذلك الإمام الباقر(عليه السلام) في وصف الإمام وأصحابه:" فيه آية المتوسمين وهي السبيل المستقيم،وان الله ينزع الخوف من قلوب شيعه ويسكنه قلوب اعدائه، فواحدهم امضى من سنان، واجرى من ليث يطعن عدوه برمحه ويضربه بسيفه ويدوسه بقدمه، وحد الله للشيعة في اسماعهم وابصارهم حتى يكون بينهم وبين القائم بريد كلمهم، ويسمعون، وينظرون اليه وهو في مكانه..."،[3] وهذا دليل على تطور وسائل الاتصال لاسيما مانرى بوادره اليوم طبقاً للقوانين العلمية، أي ان كافة الناس سيتمتعون بوسائل نقل الصوت والصورة بيسر وسهولة بحيث لم تعد هنالك من حاجة الى وجود دائرة باسم البريد في حكومته ودولته، وتحل اغلب القضايا دون الحاجة الى الاوراق فهنالك اجهزة شهود، واجهزة حضور تدير شؤون المجتمع.[4] روي انه(عليه السلام) ينصب له عمود من نور من الأرض الى السماء فيرى فيه اعمال العباد، وان له علوما مذخورة تحت بلاطة في اهرام

---

١. الخلاف/الشيخ الطوسي ٤٣٠/٥

٢. بحار الانوار ٣٣٦/٥٢.

٣. شجرة الطوبى /الشيخ محمد مهدي الحائري ١٧٨/١.

٤. ينظر: الحكومة العالمية للإمام المهدي ٢١٩

مصر،[1] قال ابو عبد الله(عليه السلام):" انه اذا تناهت الامور الى صاحب هذا الامر رفع الله تبارك وتعالى كل منخفض من الأرض، وخفض له كل مرتفع منها حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته، فأيكم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها "[2] عن ابن مسكان، قال:"سمعت اباعبدالله(عليه السلام) يقول: ان المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى اخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى اخاه الذي في المشرق"،[3] ومصداق ذلك موجود في ما تقدمه شبكات الانترنيت من خدمة جليلة في الاتصال بين الدول العربية والغربية.

٧. الجانب الحربي:

يخوض الإمام عدة حروب يستخدم فيها سلاحاً جديداً يقضي على غير المؤمن، ويترك المؤمن، ليس سيفاً وانما نوع اخر من السلاح غير موجود حالياً وانما ورد بتعبير السيف، لأنه كان ابرز سلاح يُقاتل به في فترة صدور الاحاديث، ولو كان الائمة المعصومون (عليهم السلام) يستخدمون غير الاسماء المعروفة لكان الرواة يمتنعون عن نقلها خشية ان تقابل بالسخرية والاستخفاف،ومن الاحاديث التي ذكرت اسلحة الإمام بلفظ السيف ولا يراد به السيف[4] كما ورد في وصف سيوف انصاره:" ولهم سيوف من حديد غير هذا الحديد، لو ضرب احدهم بسيفه جبلا لقده حتى يفصله، يغزو بهم الإمام الهند، والديلم، والكرك، والترك، والروم، وبربر، وما بين جابرسا الى جابلقا، وهما مدينتان واحدة بالمشرق، واخرى بالمغرب، لا يأتون على اهل دين الا دعوهم الى الله والى الإسلام والى الاقرار بمحمد (ص وآله)، ومن لم يقر بالإسلام ولم يسلم قتلوه حتى لا يبقى بين المشرق والمغرب وما دون الجبل احد الا اقر".[5]

ويمكن تفسير النصوص التي ورد فيها (السيف) بالاتي:[6]

---

١. ينظر: كمال الدين/ الشيخ الصدوق ٥٦٥.
٢. المصدر نفسه ٦٧٤.
٣. بحار الانوار ٣٩١/٥٢.
٤. ينظر: الإمام المهدي، نظرة وجيزة وشاملة /الشهيد آية الله السيد حسن الشيرازي (قدس سره)٤٩-٥٠.
٥. بحار الانوار ٤٣/٢٧.
٦. ينظر:الإمام المهدي، نظرة وجيزة شاملة ٥١.

لما كان السيف رمزاً للسلاح او القوة لذا فيكون معنى الاحاديث انه يظهر انه يظهر بالسلاح او انه يظهر بالقوة.

اما معنى حمله السيف ـ كما ورد في بعض الاحاديث ـ فهو اختياره شعاراً بيد ان اختيار السيف شعاراً يختلف عن اختياره سلاحاً وحيداً في معاركه اذ ان اختيار النسر او المنجل والمطرقة او النخلة او سنبلة القمح وكذا السيف لا يعني انها الوسائل الوحيدة التي تعتمد عليها الدولة، وانما ترمز الى بعض المنطلقات الفكرية او الحيوية للدولة.

لعل المقصود من ظهوره بالسيف انه اذا اراد اعدام شخص امر بضرب عنقه انطلاقاً من امر الشريعة بإراحة الضحية، وعدم تعذيبه بالوسائل المختلفة للإعدام فيكون السلاح الوحيد الذي يخيف المجرمين داخل دولته، لا انه سلاحه في معاركه وفتوحاته.

وفي بعض الروايات تصريح لحمله سلاح رسول الله (ص وآله) وسيفه،ودرعه، ومغفرة كما ورد عن جابر الجعفي، قال:قال لي محمد بن علي (عليهم السلام):"يا جابر! ان لبني العباس راية ولغيرهم رايات، فإياك ثم إياك ثم إياك ـ ثلاثا حتى ترى رجلا من ولد الحسين يبايع له بين الركن والمقام،معه سلاح رسول الله ومغفر رسول الله (ص وآله) ودرع رسول الله (ص وآله) وسيف رسول الله (ص وآله) "،[1] ولعل تفسير ذلك يعود الى انتسابه الى رسول الله (ص وآله) رداً للتهم التي تقول: بأنه ليس من ذرية رسول الله، نظراً لقتله اعداداً كبيرة من المجرمين زعماً منهم ان ذرية رسول الله يحاولون الابتعاد عن الخوض في الدماء حتى دماء المجرمين، وربما يحمله في جملة ما يحمله من مواريث الانبياء منها خاتم سليمان، وعصا موسى، وتابوت بني اسرائيل كما ورد ذلك في الحديث الشريف:

" فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، ورضاضة اللوح، وعصا موسى، وقبا هارون، وعشرة اوصاع من المن، وشرائح السلوى التي ادخرها بني اسرائيل لمن بعدهم فيستفتح بالتابوت المدن كما استفتح به من كان قبله، وينشر الإسلام في المشرق والمغرب والجنوب والقبلة ".[2]

ومما يؤيد كون السيف رمزاً للقوة والقدرة العسكرية السبب العقلائي الذي يتلخص

---

١. الاصول الستة عشر/تحقيق ضياء الدين المحمودي٢٤٨.

٢. معجم احاديث الإمام المهدي (عليه السلام)١/٥٣١.

بكون العودة الى الوراء ليس امراً ممكنا ولامنطقياً، وهو خلاف سنة الخلق واصل تكامل الحياة،وليس هناك من دليل على جمود المجتمع، وايقاف عجلة تطوره بغية تحقيق الحرية، والعدل، والمساواة، وان قيام المصلح والمنقذ العالمي الكبير بهدف بسط الحرية، والعدل، والمساواة لايؤدي بأي شكل من الاشكال الى ركود او ازالة الحركة الصناعية وما عليها من تطور،[1] وأما السلاح فالسيف الوارد في الروايات رمز للشجاعة والاقتدار العسكري كما يشير القلم للعلم والثقافة، ويحتمل ان تكون اسلحة الإمام متطورة جداً تفوق ما تملكه قوى الاستكبار العالمي من اسلحة، وتشير الروايات الى ان جنود الإمام المهدي الملائكة، والرعب، والمؤمنون كما يخبرنا بذلك ابو جعفر الباقر (عليه السلام):"القائم منا منصور بالرعب، مؤيد بالنصر تطوي له الأرض، وتذهب له الكنوز، يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله عزوجل به دينه على الدين كله ولو كره المشركون"،[2] وكذا قول ابو عبد الله(عليه السلام):" اذا قام القائم(عليه السلام) نزلت ملائكة بدر وهم خمسة آلاف، ثلث على خيول شهب، وثلث على خيول بلق، وثلث على خيول حو. قلت: وما الحو؟ قال:هي الحمر"،[3] ومثل ذلك مروي عن ابي عبد الله(عليه السلام) انه قال:في قول الله عزوجل (أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) (النحل/١) فقال:"هو امرنا امر الله عزوجل الا تستعجل به حتى يؤيده بثلاثة اجناد:الملائكة، والمؤمنين،والرعب "،[4] وان جبرائيل اول من يبايع الإمام المهدي كما في رواية عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال:اول من يبايع القائم(عليه السلام)جبرئيل ينزل في صورة طير ابيض فيبايعه، ثم يضع رجلا على بيت الله الحرام ورجلا على بيت المقدس ثم ينادي بصوت طلق تسمعه الخلائق "اتى امر الله فلا تستعجلوه ".[5] وبعد ذلك يدعو جبرائيل الى بيعة الإمام كما في الحديث النبوي:"قال رسول الله (ص وآله) يخرج المهدي وعلى رأسه

---

١. ينظر:الحكومة العالمية للإمام المهدي٢٠٣.
٢. كمال الدين ٣٣١.
٣. الغيبة للنعماني ٢٥١.
٤. المصدر نفسه ٢٥١.
٥. كمال الدين ٦٧١، وقوله (اتى امر الله فلا تستعجلوه)هي الآية ١ من سورة النحل.

ملك ينادي: ان هذا المهدي فأتبعوه.[1] وفي حديث آخر مرو عن رسول الله (ص وآله) قال:" يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة فيها مناد ينادي هذا المهدي خليفة الله فأتبعوه".[2] وفي رواية " عن عبد الله بن عمرو، قال:يخرج رجل من ولد الحسين من قبل المشرق لو استقبلته الجبال لهدها، واتخذ فيها طرقاً،[3] ويبدو ان كل شيء مسخرله ففي رواية عن الإمام الباقر(عليه السلام) انه قال:"ذخر لصاحبكم الصعب. قال: قلت: وما الصعب ؟قال:ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة او برق فصاحبكم يركبه، اما انه سيركب السحاب ويرقى في الاسباب اسباب السماوات السبع والأرضين السبع "،[4] وهنا لايقصد السحاب العادي، لان السحاب ليست من الوسائل التي يمكن السفر بواسطتها الى الفضاء اذ هي تتحرك في جو قريب من الأرض، ولاتبعد مسافة تذكر عنها، ولايمكنها الارتفاع كثيراً عن الأرض بل هي اشارة الى وسيلة غاية في السرعة لها صوت كالرعد، وقدرة وشدة كالصاعقة والبرق، ولعلها اكثر شبهاً بالصحون الطائرة واسرع منها، والوسائل الفضائية ذات السرعة المذهلة، وهذا يعني ان الإمام يظهر بتكنلوجيا تفوق التكنلوجيا الموجودة فليس هنالك من تخلف صناعي في زمه.[5]

الخاتمة

لا تنتج العولمة دولة عالمية منسجمة، يسودها نظام وقانون واحد، لأنها تمارس انواعا مختلفة من القسر والفرض مما يؤدي الى نشوء حالة من الممانعة عند الشعوب المختلفة تدعوها الى التمرد على ما تنتجه العولمة من قوانين، وأنظمة لإدارة العالم فلا بد من بديل للشعوب المحرومة والمستضعفة، ولابديل لها سوى دولة الإمام العالمية التي سوف تحقق التقارب والتواصل الحقيقي بين الشعوب عبر قنوات الاختيار والقناعة، اذ كثير من

---

١. الاربعون حديثاً في المهدي ٢٦، وينظر:بحار الانوار ٣٦/٣٦٩.
٢. ينظر: الأربعون حديثاً في المهدي ٢٥، وبحار الانوار ٥١/٨١.
٣. الملاحم والمتن ١٧٩، وينظر: معجم احاديث الإمام المهدي (عليه السلام)٣٩ اذ ذكر(لهدمها)بدلاً من (لهدها)
٤. بحار الانوار ٥٤/٣٤٤.
٥. ينظر: الحكومة العالمية للإمام المهدي ٢٠٧-٢٠٨.

الأطروحات الأرضية سوف تفشل في قيادة العالم الى ساحل النجاة، وتحقيق الاهداف الكبرى سوى هذه الدولة الالهية المباركة التي سوف تكون عالمية من خلال بسط نفوذها، وسيادتها على جميع المعمورة، وتكون الدولة الوحيدة في العالم التي لاتقوم بإزائها دولة أخرى وما مجيء الولايات المتحدة الى العراق إلا مسلسل الهدف من القضاء على قاعدة الإمام، وانتظار خروجه لإفشال نهضته، لأنهم يعلمون ان نهايتهم ستكون على يده لذا تراهم يبحثون عن شخصيات علمائية مؤثرة في المجتمع العراقي فيغتالونها وما اغتيالهم لآية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم (قدس سره) وقبله آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر، وآية الله العظمى محمد الصدر وآية الله العظمى الشيخ علي الغروي وآية الله العظمى الشيخ مرتضى البروجردي من قبل صدام المجرم وجلاوزته إلا دليل واضح على بحثهم الدؤوب عن انصاره، واعوانه،وما زالوا يمارسون ابشع الاساليب للنيل من عقيدة المهدي،ومن ذلك تجنيدهم شخصيات متلبسة بالدين والعلم، ومن ذلك تضليلهم ثلة من الشباب بشخصية تلبست دور اليماني حتى شوهوا للناس صورة اليماني.

من المعلوم ان حياة البشر لا تستقيم بدون دولة تحكمهم، وتدير شؤونهم، وتنظم امورهم لا سيما في عالمنا المعاصر الذي تعقدت فيه الحياة وتشابكت العلاقات تشابكاً كبيراً، واليوم يتجه العالم نحو الدولة العالمية الموحدة،والى الانتماء العالمي بدلاً من الانتماء القومي والوطني، وهذا يذكرنا بكون الناس امة واحدة يحكمها نظام واحد هو نظام الفطرة الالهية فطرة الله التي فطر الناس عليها كما يخبرنا بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة/٢١٣)، وقوله (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (يونس/١٩) لكنها امة تختلف في حياتها عن بساطة الامة وسذاجة عيشها وافكارها وطموحاتها بل ستعود امة متطورة على جميع المستويات،والجوانب: فالتطور على الصعيد الاقتصادي ـ كما يبدو من الروايات–ان

الخيرات والبركات تنتشر في ايام دولة الإمام(عليه السلام) فتخرج الأرض كنوزها وخيراتها للناس، وتبدي بركاتها، ولا يجد الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقته ولا لبره، لشمول الغنى جميع المؤمنين، وتتضاعف البركات في الأرض لا سيما في مجال الزراعة اذ ورد عن رسول الله (ص وآله) في وصف القائم انه يخرج في امتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، وتكثر الماشية،وتَعظم الامة، ويزرع الانسان مداً وتخرج له سبعة امداد، وانه يقضي على نظام الاقطاع في الاراضي الزراعية وعندما نقول:ان الإمام الحجة (عجل الله فرجه) سيأتي بدين جديد يجب ان نعلم بأن الشريعة السمحاء قد ختمت بالمصطفى، وشاء الله له ان يكون خاتم الانبياء والمرسلين، وان يكون المهدي خاتم الاوصياء بوصف النبي (ص وآله) قد كافح الجهل، والظلم،والفساد لتأسيس الدولة العالمية بعد معاناة وجهاد طويلين لكنه رحل الى المليك الاعلى عاقداً الامل على ولده المنتظر ليسود الإسلام على وجه الأرض اذ في دولته سيسود العدل ويطبق على جميع الأرض، اما تأويل مجيئه بدين جديد هو انه سيأتي بأحكام واقعية لا احكام ظاهرية فنحن الآن نعمل بأحكام ظاهرية اجتهد في استنباطها العلماء الاجلاء بعد معاناة وسهر وصبر فإذا ظهر الإمام فأنه سوف يُرجعنا الى الاحكام الواقعية في الموجودة في زمن النبي (ص وآله) فيتصور الناس ان المهدي جاء بدين جديد اذ يعيد كثير من الاحكام التي تناساها الناس وتجاهلوها بعد ان مضى عليها الزمن أي انه يطبق الشريعة بكاملها فيظن الناس انه جاء بأمر جديد فمثلاً صلاة الجمعة ـ هذه الشعيرة المهمة- تنوسيت، وضُيعت يأتي فيوجبها فيتصور الناس انه قد اتى بدين جديد، والواقع انه يحيي الدين بعد اضمحلال،اما على صعيد القضاء فيوجد جهاز قضائي يقظ وفاعل، ووسائل مراقبة دقيقة بحيث لا يفلت مجرم من سيطرته، ولا يستطيع انتهاك عدالته، وهو عنصر يحد من انتشار الفساد، وانتهاك حرمة القانون لا سيما انه يخرج بعد ان يستشري الفساد، ولما كان العدل يعم ربوع دولته فإن المرأة تقضي في بيتها بالقرآن الكريم والسنة المطهرة. وفي الروايات انه يحكم بحكم داود فلا يسأل عن البينة، وكذا يحكم بحكم سليمان، وتشير بعض الروايات الى ان النبي عيسى(عليه السلام) يقضي في دولة المهدي بالعدل، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية.

واما على الصعيد الاداري فلا يختلف الإمام المنتظر عن جده في كونه رؤوفاً رحيماً بالناس

ـ ومنهم المساكين ـ بيد انه حازم وحسيب على عمّاله لذا نجده يختار للحكم ولاة هم خيرة اصحابه الذين يتحلون بأعلى كفاءات الوالي الإسلام ي من العلم، والفقه، والشجاعة، والنزاهة، والاخلاص،

واما على الصعيد العلمي تشهد الامة الإسلام ية ابان الحكومة المهدوية تطوراً هائلاً في مختلف العلوم، لأن العلم سيعادل اثني عشر ضعفاً بالنسبة للعلوم والمعارف التي كانت سائدة زمن الانبياء الى يومنا هذا،ويفتح هذا العلم امام الانسان جميع ابواب التكامل الفكري، والرقي المعنوي، والتكامل الروحي فيشهد عصره تطوراً فكرياً وروحياً عالياً.

وأما على الصعيد الحربي فأن الإمام يخوض عدة حروب يستخدم فيها سلاحاً جديداً يقضي على غير المؤمن، ويترك المؤمن، ليس سيفاً وإنما نوع اخر من السلاح غير موجود حالياً وإنما ورد بتعبير السيف، لأنه كان ابرز سلاح يُقاتل به في فترة صدور الاحاديث، لما كان السيف رمزاً للسلاح او القوة لذا فيكون معنى الاحاديث انه يظهر انه يظهر بالسلاح او انه يظهر بالقوة.

أما معنى حمله السيف ـ كما ورد في بعض الاحاديث ـ فهو اختياره شعاراً بيد ان اختيار السيف شعاراً يختلف عن اختياره سلاحاً وحيداً في معاركه اذ ان اختيار النسر او المنجل والمطرقة او النخلة او سنبلة القمح وكذا السيف لايعني انها الوسائل الوحيدة التي تعتمد عليها الدولة، وانما ترمز الى بعض المنطلقات الفكرية او الحيوية للدولة، فالسيف الوارد في الروايات رمز للشجاعة والاقتدار العسكري كما يشير القلم للعلم والثقافة، ومما يؤيد كون السيف رمزاً للقوة والقدرة العسكرية السبب العقلائي الذي يتلخص بكون العودة الى الوراء ليس امراً ممكنا ولا منطقياً،وهو خلاف سنة الخلق واصل تكامل الحياة،وليس هناك من دليل على جمود المجتمع، وايقاف عجلة تطوره بغية تحقيق الحرية، والعدل، والمساواة، وان قيام المصلح والمنقذ العالمي الكبير بهدف بسط الحرية،والعدل، والمساواة لايؤدي بأي شكل من الاشكال الى ركود او ازالة الحركة الصناعية وما عليها من تطور، ويحتمل ان تكون اسلحة الإمام متطورة جداً تفوق ما تملكه قوى الاستكبار العالمي من اسلحة، وتشير الروايات الى ان جنود الإمام المهدي الملائكة،والرعب،والمؤمنون.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الاربعون حديثاً في المهدي ،أبو نعيم الأصفهاني ،تح/ علاءالزبيدي الكوفي ،ط١،محرم الحرام ،١٤٢٨ق- ٢٠٠٧م.
- الأصول الستة عشر من الأصول الأولية ،تح/ضياء الدين المحمودي بمساعدة نعمة الله الجليلي ،ط١،مهدي غلام علي،دار الحديث للطباعة والنشر ،١٤٢و٣-١٣٨١ش.
- أضواء على دولة الإمام المهدي(عج)، السيد ياسين (دامت بركاته)، إعداد وتحقيق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي،ط١،مط: نقارش،جمادي الآخرة،١٤٢٥هـ.
- أعلام الهداية، الإمام المهدي المنتظر خاتم الأوصياء ،ج١٤،لجنة التأليف، ط٣، المجمع العالمي لأهل البيت ،قم المقدسة ،(د.ت).
- الإمام المهدي المنتظر وأدعياء البابية والمهدوية بين النظرية والتطبيق، السيد عدنان البكاء،ط١،مركز الغدير للدراسات الإسلامية ،بيروت ،لبنان ،١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
- الإمام المهدي في الأحاديث المشتركة بين السنة والشيعة، محمد أمير الناصري، إشراف: الشيخ محمد علي التسخيري،ط٢،المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونية الثقافية ،١٤٢٨هـ.ق / ٢٠٠٧م.
- الإمام المهدي في القرآن والسنة ،سعيد أبو معاش، ط٢،مجمع البحوث الإسلامية ،مؤسسة الطبع والنشر التابعة للإستانة الرضوية المقدسة، إيران ،١٤٢٥ق- ١٣٨٣ش.
- الإمام المهدي، نظرة وجيزة شاملة، الشهيد آية الله السيد حسن الشيرازي ،ط١، ١٤٢٦ق -١٣٨٣ش.
- بحار الأنوار ،محمد باقر المجلسي ،تح/ محمد باقر البهبودي ،ط٣،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان ،(د.ت).
- البداية والنهاية ،ابن كثير، تح/ علي شيري، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان،١٤٠٨-١٩٨٨م.
- التحديات المعاصرة ومشروع المواجهة الإسلامية ،الشيخ محمد مهدي الآصفي، ط١، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونية الثقافية ،مركز التحقيقات والدراسات العلمية ،الجمهورية الإسلامية في إيران، ١٤٢٧هـ.ق.
- الحكومة العالمية للإمام المهدي، آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي، ط١،مدرسة

الإمام علي بن أبي طالب (ع)،١٣٨٤ش- ١٤٢٦هـ
- حياة الإمام المنتظر، المصلح الأعظم ،باقرشريف القرشي ،ط١،مجمع الذخائر الإسلامية ،مط: شريعت ،١٤٢٧هـ.ق -١٣٨٥هـ.ش.
- الخلاف ،الشيخ الطوسي ،تح/ السيد علي الخرساني والسيد جواد الشهرستاني والشيخ مهدي نجف، المشرف: الشيخ مجتبى العراقي ،ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ،١٤٢٠هـ
- سنن أبي داود، ابن الأشعث السجستاني ،تح/ سعيد محمد اللحام ،ط١،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،هـ١٤١٠-١٩٩٠م.
- شجرة طوبى، الشيخ محمد مهدي الحائري ،ط٥،منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها ،النجف الأشرف ،محرم الحرام ،١٣٨٥.
- صحيح مسلم ،مسلم النيسابوري ،دار الفكر ،بيروت ،لبنان، (د.ت).
- عصر الظهور ،الشيخ علي الكوراني العاملي ،ط١٢،دار الهدى،١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.
- الغيبة (كتاب)،محمد بن إبراهيم النعماني ،تح/ فارس حسون كريم ،ط١،مهر قم ،١٤٢٢هـ
- فكر الكوثر ،مجلة تصدر عن مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية ع٢،س١، خريف ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.
- في رحاب الإمام المهدي ،عبد الرحيم مبارك ،ط١،مجمع البحوث الإسلامية، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضوية المقدسة، ١٤٢٦ق -١٣٨٣ش.
- قرب الإسناد، الحميري القمي ،ط١، تح/ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مط: مهر قم ،١٤١٣هـ
- الكافي ،الشيخ الكليني ،تح/ علي أكبر الغفاري ،ط٣،دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٧ش.
- كشف الغمة ،ابن أبي الفتح الإربلي ،دار الأضواء ،بيروت ،لبنان ،(د.ت).
- كمال الدين وتمام النعمة ،الشيخ الصدوق ،تح/ علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ،محرم الحرام ،١٤٠٥- ١٣٦٣ش.
- مجموعة الرسائل، الشيخ لطف الله الصافي ،(د.ت).
- محاضرات حول المهدي ،الجزء الثاني، إعداد: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي ،ط١، النجف الأشرف ،١٤٢٥هـ

- المستدرك على الصحيحين ،الحاكم النيسابوري ،تح/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي ،(د.ت).
- معجم أحاديث الإمام المهدي (عج) ،الشيخ علي الكوراني العاملي ،ط١، مط :بهمن ،مؤسسة المعارف الإسلامية،قم ،١٤١١هـ
- الملاحم والفتن ،السيد ابن طاووس ،ط١،مؤسسة صاحب الأمر(عج)،أصفهان ،١٥شعبان ،١٤١٦هـ
- المهدي، العلامة السيد صدر الدين الصدر،ط٢،دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ،١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- المهدي المنتظر(ق١)،موسوعة المصطفى والعترة ،حسين الشاكري، ط١،نشر الهادي ،١٤٢٠هـ - ق.
- الميزان في تفسير القرآن ،العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ،دار الكتب الإسلامية ،طهران ،(د.ت).
- نهج الإمام المهدي في الحكم ،من بحوث المرجع الديني السيد صادق الشيرازي ،ط١، مط: نينوى ،قم المقدسة ،مؤسسة دار المهدي والقرآن الكريم ،(د.ت).
- نوادر المعجزات ،محمد بن جرير الطبري الشيعي ،تح/ مؤسسة الإمام المهدي (عج)،ط١، مؤسسة الإمام المهدي (عج)،قم المقدسة ،١٤١٠هـ

الأخبار الغيبية عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) و عصر الظهور في كتاب نهج البلاغة (دراسة تأريخية تحليلية)

الدكتورة زينب فاضل رزوقي

المدرس المساعد غزوان عبدالكاظم مهدي

الملخص

أطّلع الله بعض أنبياءه وأولياءه على بعض علم الغيب لتكون أدلة وبراهين واضحة على صدقهم وصدق ما جاءوا به من الله تعالى، وحجة وبرهان ليُعرف بها صدق الصادق من كذب الكاذب، فهي إذا" تأييد من الله (عزوجل) لأوليائه وعباده الصالحين لتكون تصديقاً لهم، وحثاً للعباد على اقتفاء آثارهم، اذ أنهم وصلوا إلى هذه الدرجات الرفيعة والمقام المحمود، نتيجة طاعتهم للخالق جل جلاله، واكتسبوا بهذه الطاعة رضا الله فخلق الأشياء لأجلهم وتحت تصرفهم ووهبهم الدنيا والآخرة، من خلال ظهور المعاجز والكرامات والتي تعتبر الغيبيات ركناً منها، وقد كان أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) أختص بهذه الأخبار الغيبية من رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) الذي كان باب علمه كما وصفه، وكان يطلعه عليها دون غيره، اذ جاءت هذه الأخبار الغيبية لتكون دليلاً واضحاً وبرهانا" ساطعا" على صدق الإمام علي(عليه السلام)، وحجة دامغة على أعداءه.

وكثيرة هي الأخبار الغيبية التي جاءت في نهج البلاغة والتي صرح بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع عن آخر الزمان والامام المهدي (عجل الله فرجه)، فآخر الزمان هو ذلك

العصر الذي يسبق ويهيأ لظهور الامام الحجة المهدي المنتظر(عجل الله فرجه)، وما يشهده من احداث وفتن كبيرة يكون المؤمن فيها مبتلى بين الوقوف الى جانب الحق أو السير في طريق الباطل لشدة الفتن وتلابس الحق بالباطل، وتكون بمثابة امتحان حقيقي للناس، فمن كان قلبه مليئا" بالإيمان سيكون النصر حليفه، اما من كان بعيدا" عن طريق الحق، فسيكون حليفه الهزيمة والخسران، اذ ان الامام علي(عليه السلام) كان يحذر الناس من فتن وملمات هذا العصر لأنه على أرتباط وثيق بعصر الظهور المبارك للإمام المنتظر.

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا والصلاة والسلام على من كان نبيا وادم بين الماء والطين وعلى ذوي قرباه الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعلى الخيرة من اصحابه المنتجبين.

لا ريب ان رحلة البحث في نهج البلاغة شاقة وشيقة في الوقت نفسه، فهي شاقة لان الإحاطة بكلام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) أمر عسير لغنائه وثرائه بمختلف العلوم والمعاني ولاتنتهي له الحاجة في زمان، فهو من الاثار الانسانية التي لم توضع لشعب دون شعب آخر، وانما خوطب بها الانسان أينما وجد، فهذا الكتاب بحد ذاته يعد ارثا" حضاريا" وثقافيا" ودينيا" وانسانيا" وتاريخيا"، فهو من الآثار التي تقل نظائرها في التراث الانساني على ضخامته.

كثيرة هي الأخبار الغيبية التي جاءت في نهج البلاغة والتي صرح بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ت عن آخر الزمان والامام المهدي، فآخر الزمان هو ذلك العصر الذي يسبق ظهور الامام الحجة المهدي المنتظر(عجل الله فرجه)، إذ تطرقت العديد من خطب الإمام علي(عليه السلام) في نهج البلاغة الى ذكر هذين الموضوعين سنحاول التطرق له بشكل مفصل في هذا البحث الذي تضمن مقدمة ومحورين؛ الأول: ناقش خطب نهج البلاغة التي تعرضت لذكر آخر الزمان وصفاته، بينما تناول المحور الثاني: الخطب التي ذكر فيها الإمام علي(عليه السلام) أخبار وصفاة الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، ومن ثم الخاتمة التي لخصت نتائج البحث، وفق دراسة تأريخية تحليلية لخطب نهج البلاغة أرتكزت

على استعراض الاخبار والخطب ومقارنتها مع المصادر التأريخية الأصيلة وشروح نهج البلاغة المتعددة.

أولاً: الأخبار الغيبية عن عصر ظهور الامام المهدي (عجل الله فرجه)

وردت عدة روايات وكلمات لأمير المؤمنين(عليه السلام) في ذكر آخر الزمان والتحذير من حجم الفساد الذي يسود في ذلك العصر، والسؤال الذي يبرز هنا هو ما المقصود بآخر الزمان الذي تكلم عنه الإمام(عليه السلام) وحذر منه؟ وهناك عدة آراء وروايات في ذلك أبرزها رأي ابن أبي الحديد الذي قال: " إن آخر الزمان الذي قصده الإمام علي(عليه السلام) في كلامه، هو زماننا الذي انقلبت فيه الأمور الدينية إلى أضدادها ونقائضها وقد شهدنا ذلك عياناً ".[1]

والرأي الثاني، الذي نادى به البعض من المؤلفين، إذ قالوا: " إنَّ المقصود من كلام أمير المؤمنين(عليه السلام) عن آخر الزمان، هو العصر القريب الذي يسبق ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه)[2] لما فيه من كثرة الفساد والظلم والذي يكون حجة دامغة لظهور الامام، وقد استندوا في رأيهم هذا على قول رسول الله ": (المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً، تكون له غيبة وحيرة تضّل فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب يملأها عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً)،[3] وغير ذلك الكثير من أحاديث رسول الله " وكلمات اهل البيت التي جاءت بحق الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وعصر الظهور المبارك وما يسبق ذلك من فتن كبيرة، حتى يسود في ذلك الزمان الجور والظلم والفساد الذي يجتاح العالم بأسره، وهذا بحد ذاته اعداد وتهيئة الهية لأهل ذلك الزمان من أجل تقبل وجود المنقذ او المخلص، ذلك الدور الذي انيط للإمام الحجة (عجل الله فرجه)

---

١. ابن ابي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل، لبنان، د. ت، ١١١/١٠.

٢. ينظر: ابن المنادي، أبو الحسين احمد بن جعفر، الملاحم، دار السيرة، إيران، د.ت، ص٧١ ؛ المفيد، أبي عبدالله محمد بن النعمان، الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين، ط٢، تحقيق: مؤسسة البعثة، دار المفيد للطباعة، لبنان، ١٤١٤هـ، ٦٠ ؛ البحراني، كمال الدين بن ميثم، شرح نهج البلاغة، تحقيق: مير جلال الدين الحسيني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ايران، د.ت، ٢٩٣/١.

٣. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، العرف الوردي في أخبار المهدي، مطبعة هستي، إيران، ١٣٩١هـ، ٥٩.

بصفته المصلح الأعظم ومظهر العدل والإصلاح، وقد أورد أحد شُراح نهج البلاغة بعض العوامل التي تؤدي إلى انتشار الفساد في آخر الزمان، وأبرزها الابتعاد عن تعاليم الأنبياء وإرشادات الأوصياء، وكذلك ازدياد وسائل الفساد والشهوات واتساع حجم الوسائل الدعائية لذلك الفساد في مختلف الأماكن، وأيضاً ازدياد الشبهات في المباني الدينية والأخلاقية من خلال التفسير بالرأي والقراءات المختلفة للمعارف والمفاهيم الدينية، فضلاً عن تسلط حكام الجور والفساد الذين تكون أهدافهم العليا تتمثل في تحقيق المنافع المادية الخاصة.

ومن الخطب الاخرى التي تكلم فيها أمير المؤمنين(عليه السلام) عن آخر الزمان ومحذراً منه قوله: ((وَذَلِكَ زَمَانٌ لاَيَنْجُو فِيهِ إِلاَّكُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ[1] إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ أُولَئِكَ مَصَابِيحُ اَلْهُدَى وَأَعْلاَمُ اَلسُّرَى لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ[2] وَلاَ اَلْمَذَايِيعِ اَلْبُذُرِ[3] أُولَئِكَ يَفْتَحُ اَللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ أَيُّهَا اَلنَّاسُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ اَلْإِسْلاَمُ كَمَا يُكْفَأُ اَلْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ أَيُّهَا اَلنَّاسُ إِنَّ اَللَّهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ[4]}.[5]

أشار الإمام علي(عليه السلام) في هذه الخطبة إلى طبيعة آخر الزمان والشر الذي يسود ذلك العصر والذي يسبق ظهور المهدي (عجل الله فرجه) والملاحظ أيضاً من هذه الخطبة أن امير المؤمنين(عليه السلام) تطرق إلى خصائص المؤمنين في ذلك الزمان تارة، وإلى وضع الإسلام وأحكامه تارة أخرى، فقال: (وَذَلِكَ زَمَانٌ لاَيَنْجُو فِيهِ إِلاَّكُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ) الواضح من هذا الكلام أنه كناية عن الأفراد المجهولين وغير

---

١. مؤمن نومة: هو الخامل الذكر الذي لايؤبه به، ينظر: ابن الاثير الجزري، مجد الدين أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر احمد الزاوي، ط ٤، مؤسسة اسماعيليان، إيران، ١٣١٤ هـ، ٢٧٣/٥.

٢. المساييح: جمع مسياح وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمائم، ينظر: الأزهري، محمد بن احمد الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٤٠١هـ، ١٦٢/١.

٣. المذاييع البذر: المذاييع جمع مذياع، وهو الذي أذا سمع لغيره فاحشة أذاعها ونوه بها، أما البذر فهو جمع بذور، وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر، ١٧٤/١، ١١٠/١.

٤. سورة المؤمنون، الآية (٣٠).

٥. الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبدة، دار الأندلس، لبنان، ١٤٣١هـ، ١٧١/١ ؛ الكليني، محمد بن يعقوب،، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط٥، دار الكتب الإسلامية، إيران، ١٣٦٣هـ، ٢٢٥/٢.

المعروفين والذين يكونون مجهولين حينما يعم الفساد في المجتمع، لأنهم سوف يصبحون ضحية لحكام ذلك المجتمع الفاسدين، وبناءاً على ما تقدم فإن الظروف السائدة في هذا العصر تجبر هؤلاء الأفراد أن يختفوا عن الأضواء ويعيشوا بعيداً عن الشهرة ليكونوا مجهولين عند من يتعقبهم، مع العلم هنا ان ذلك لن يؤثر على مكانتهم أو يحط من شأنهم وأنهم لن يتخلوا عن دورهم الايجابي في المجتمع،[1] بدليل قول الإمام عنهم: (أُولَئِكَ مَصَابِيحُ اَلْهُدَى وَأَعْلاَمُ اَلسُّرَى) وما أروع هذا التشبيه فقد مثلهم أمير المؤمنين(عليه السلام) بالمصابيح التي تنير الطريق في الليل والتي توضع من أجل أن لايضيع المسافرون ليلاً.[2]

وأما قول الإمام (لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ وَلاَ اَلْمَذَايِيعِ اَلْبُذُرِ) وهذه العبارة معناها ان هذه الثلة من المؤمنين ليست مفسدة ولا مثيرة للفتن أو تنشر الفاحشة،[3] فالمسياح هو الشخص الذي يسمع لغيره بفاحشة ويقوم بنشرها، والبذر هو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه،[4] ثم قال الإمام(عليه السلام): (أُولَئِكَ يَفْتَحُ اَللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ) والذي يتضح هنا ان أمير المؤمنين لازال يتكلم عن تلك الطائفة المؤمنة التي يحفظها الله من شر الظلمة وخطوب الزمان لكونهم أسباب الهداية الى طريق الحق الذي يريده الله.[5]

ثم ينتقل الإمام(عليه السلام) إلى موضوع في غاية الأهمية وهو تحذير الناس من المستقبل الذي ينتظر دينهم الإسلامي اذ قال: (أَيُّهَا اَلنَّاسُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ اَلْإِسْلاَمُ كَمَا يُكْفَأُ اَلْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ) وهذه كناية رائعة عن انقلاب كافة المفاهيم الإسلامية رأساً على عقب، ومن هنا جاء تشبيه الإمام للإسلام بالإناء الذي وضعت فيه كافة التعاليم والمبادئ والمعارف والقوانين والأحكام الإسلامية، وما ان يقلب يذهب كل ما فيه فلا يبقى شيء من محتواه، ولعل عصرنا الحاضر خير مصداق لهذا الكلام اذ ابتعدت الناس عن المعنى الحقيقي للإسلام وأهدافه السامية وغاياته النبيلة وأصبح مدعي الاسلام يتخذون من هذا الدين

---

١. الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة البعثة، لبنان، د.ت، ٢٧٦/٤.
٢. المحمودي، محمد باقر، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، لبنان، د. ت.، ١٠٢/٨.
٣. ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١١٠/٧.
٤. ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤١٤/٣.
٥. ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤١٤/٣.

وسيلة للقتل وسفك الدماء وانتهاك الاعراض في محاولة لتشويه صورة الاسلام الحقيقية.[1]

وهنا يستوقفنا كلام محمد جواد مغنية،[2] إذ قال عن هذه العبارة: " يدل سياق الكلام على أن المراد بالزمان المشارإليه، الزمان الذي يعرض الناس فيه عن الدين، ويكتفون منه بإظهار الشعائر، كما يدل قول الإمام علي(عليه السلام) (يُكْفَأُ فِيهِ اَلْإِسْلاَمُ) وتتحرك فيه الرغبات وتنطلق الميول والأهواء، ويكثر فيه التنافس والتباهي بأسباب الدنيا وزينتها، كالسيارات والعمارات والأثاث كالعصر الذي نعيش فيه، وليس من شك ان أحسن الناس عاقبة حينذاك، هو الرجل المجهول فهو لاينافس أحداً، ولاأحد ينافسه ويحسده على شيء من الحطام، انه يعمل من اجل قوته بهدوء، ويطيع ربه بلا جعجعة، ويشغله الخوف منه عن الناس وما يعبثون، وهذا هو الرجل المراد بالنومة"،[3] أما ابن أبي الحديد فقد ذهب أيضاً للقول ان ذلك الزمان الذي أشارإليه أمير المؤمنين(عليه السلام) هو نفس الزمان الذي شهده ابن أبي الحديد بقوله: " وقد شهدنا ذلك عياناً"،[4] والملاحظ هنا أن العديد من شُراح نهج البلاغة، حينما كانوا يعلقون على خطبة الإمام هذه يشيرون إلى تلك الصفات الخاصة بذلك الزمان الذي تنطبق تماماً على عصرهم بينما نشاهد أن مسيرة الحياة مستمرة وباتجاه سريع بعكس الإسلام وتعاليمه ومبادئه، أي أن ذلك العصر لم يأت بعد أو ربما نحن فيه وهو طويل زمنياً، والسؤال المطروح إذا كان كل ما مرت به الأمة الإسلامية من عهود ذلك الظلم والفساد والجور، ولم يكن ذلك العصر الذي أشارإليه الإمام(عليه السلام) سيكون عليه حال الأمة في تلك المدة المشارإليها ؟، وبالعودة لخطبة أمير المؤمنين(عليه السلام) نجده أنه يتجه للناس ليكشف لهم عن سبب ابتلائهم بكل هذه الحوادث والملمات، فقال: (أَيُّهَا اَلنَّاسُ إِنَّ

---

١. ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، ٢٧٦/٤- ٢٧٧.

٢. محمد جواد مغنية: هو الشيخ محمد جواد بن محمود بن محمد بن مهدي آل مغنية العاملي، ولد في قرية طبرديا من جبل عامل ١٣٢٢هـ، سافرإلى النجف الاشرف، إذ تلقى العلوم في حوزتها، ثم عاد إلى لبنان وتقلد عدة مناصب منها قاضياً شرعياً ثم رئيساً للمحكمة الشرعية العليا، كان مبدعاً في شتى الميادين الإسلامية والاجتماعية والوطنية، كما كان صاحب نتاج علمي كبير وله العديد من المؤلفات أبرزها: كتاب (الفصول الشرعية) وكتاب (مع الشيعة الأمامية) وكتاب (في ظلال نهج البلاغة)، وغيرها الكثير، توفي في لبنان سنة ١٤٠٠هـ، ينظر: المحرقي، علي، محمد جواد مغنية مسيرته، وعطاؤه، مطبعة فخراوي، البحرين، ١٤١٧هـ، ١٢-١٥ ؛ أحمدي، مهدي، تاريخ الشيخ محمد جواد مغنية، مطبعة المجتمع العلمي للتقريب بين المذاهب، إيران، د . ت، ص١٧-٣٠.

٣. محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، دار العلم للملايين، لبنان، د.ت، ١٠٤/٢.

٤. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١١١/٧.

اَللهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ) وهو بذلك يبين ان كل تلك الحوادث جاءت بمثابة اختبار حقيقي للناس وامتحان لابد أن يخوضوا غماره بمختلف مراتبهم، وقد يكون موجه لفرد ما، أو لجماعة معينة، ويتم من خلاله معرفة الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق لكي يتم التمييز بين الحق والباطل.[1]

وفي ختام خطبة الإمام هذه ختمها بخير الكلام، كلام الله عزوجل}إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ}،[2] الإمام اذ شبه الامام هذا العصر وما يجري في بالإبتلاء او الامتحان الالهي للناس.

أما الخطبة الأخرى لأمير المؤمنين والتي تحدث فيها أيضاً عن آخر الزمان وفتنه، فقد جاء فيها:((أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ اَلْمَذَاهِبُ وَتَتِيهُ بِكُمُ اَلْغَيَاهِبُ وَخُدِعْتُمُ اَلْكَوَاذِبُ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ وَاسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ اَلْأَمْرَ فَلْقَ اَلْخَرَزَةِ وَقَرَفَهُ[3] قَرْفَ اَلصَّمْغَةِ[4] فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ اَلْبَاطِلُ مَآخِذَهُ وَرَكِبَ اَلْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ وَعَظُمَتِ اَلطَّاغِيَةُ وَقَلَّتِ اَلدَّاعِيَةُ وَصَالَ اَلدَّهْرُ صِيَالَ اَلسَّبُعِ اَلْعَقُورِ وَهَدَرَ فَنِيقُ[5] اَلْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ وَتَوَاخَى اَلنَّاسُ عَلَى اَلْفُجُورِ وَتَهَاجَرُوا عَلَى اَلدِّينِ وَتَحَابُّوا عَلَى اَلْكَذِبِ وَتَبَاغَضُوا عَلَى اَلصِّدْقِ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ اَلْوَلَدُ غَيْظاً وَاَلْمَطَرُ قَيْظاً وَتَفِيضُ اَللِّئَامُ فَيْضاً وَتَغِيضُ اَلْكِرَامُ غَيْضاً وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ اَلزَّمَانِ ذِئَاباً وَسَلاَطِينُهُ سِبَاعاً وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً أَكَالاً وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً وَغَارَ اَلصِّدْقُ وَفَاضَ اَلْكَذِبُ وَاُسْتُعْمِلَتِ اَلْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ وَتَشَاجَرَ اَلنَّاسُ بِالْقُلُوبِ وَصَارَ اَلْفُسُوقُ نَسَباً وَاَلْعَفَافُ عَجَباً وَلُبِسَ اَلْإِسْلاَمُ لُبْسَ اَلْفَرْوِ مَقْلُوباً))،[6] من المعلوم أن هذه الخطبة من خطب الملاحم الطويلة في نهج البلاغة وقد حملت الكثير من الأمور من حمد الله والثناء

---

١. ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، ٢٧٧/٤.

٢. سورة المؤمنون، الآية (٣٠).

٣. قرفه: وهي تعني قشرة، ينظر: الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل، العين، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ١٤٠٩هـ، ٣٩٦/١.

٤. الصمغة: هي القرحة وهي أيضا تعني الشيء الذي يسيل من الشجر، ينظر: الصاغاني، العباب الزاخر، ٣٥٢/١.

٥. هدر فنيق: وهي تعني صوت فحل الإبل، ينظر: ابن دريد، ابي بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، لبنان، د.ت، ١٥٥/٣.

٦. الشريف الرضي، نهج البلاغة، ١٨١/١.

عليه وكذلك الحديث عن فضائل رسول الله فضلاً عن كلام أمير المؤمنين عن فتن آخر الزمان،[1] إذ خاطب الناس محذراً لهم من حوادث المستقبل المأساوية بهدف التقليل من الخسائر والأضرار التي تخلفها تلك الفتن وكذلك محاولة إرشاد الناس إلى الطرق التي تنجي من تلك الفتن،[2] وجاء في تلك الخطبة تساؤل للإمام علي(عليه السلام) بقوله: (أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ اَلْمَذَاهِبُ وَتَتِيهُ بِكُمُ اَلْغَيَاهِبُ؟)، وهذا التساؤل في الحقيقة عبارة عن تنبيه يصدر عن الإمام محاولاً إيقاظ الناس من غفلتهم ولكي يهيأهم لسماع كلامه المهم،[3] ثم توجه إلى لفت انتباههم لحقيقة لايحجبها غربال وهي حقيقة الموت وانتهاء الإنسان فقال: (فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ) وكلام الإمام هنا فيه إشارة لضرورة ان ينتبه الناس كون أعمارهم محدودة وعليهم ان ينتهزوا الفرصة ما دامت العودة سانحة لطريق الرحمن والهداية وتدارك ما فاتهم قبل فوات الأوان.[4]

ثم واصل الإمام كلامه في هذه الخطبة بقوله: (فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ...) وهذا الكلام يدل على النصح والوعظ والتنبيه الصادر من ولي أمركم الذي يرسم لكم طريق النجاة من الشيطان وأعماله، بعد ذلك بين الإمام علي(عليه السلام) لأتباعه حقيقة جوهرية بقوله (فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ اَلْأَمْرَ فَلْقَ اَلْخَرَزَةِ وَقَرَفَهُ قَرْفَ اَلصَّمْغَةِ) في هذه العبارة كناية عن توضيح الحقائق وبيان خفيات الأمور، وكذلك يشير الإمام لهم بأنه قد أخرج عصارة المطالب وجوهرتها، كما تخرج تلك المادة اللزجة من الأشجار وتسيل.[5]

أما قوله(عليه السلام): (فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ اَلْبَاطِلُ مَآخِذَهُ وَرَكِبَ اَلْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ)، ففي هذا الكلام إشارة إلى عظم ما يصل إليه الطغيان والفساد في ذلك الزمان المشار إليه، والطغيان هنا قد ينتشر على مستوى المجتمع بصورة عامة أو يقتصر ذلك على فئة معينة، أو طاغية ما بصورة خاصة يكون هو الاداة التي يتبعها الشيطان، والملاحظ في مثل هذه الظروف هو قلة

---

١. الموسوي، صادق، تمام نهج البلاغة، تحقيق : محمد عساف، مؤسسة الاعلمي، لبنان، ١٤٢٦هـ، ٩/٣.
٢. ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، ٣٣٩/٤.
٣. ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤٢٧/٣.
٤. الخوئي، حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: علي عاشور، دار احياء التراث العربي، لبنان، ١٤٢٢هـ، ٣٠١/٧.
٥. ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣٢٧/٣.

دعاة الحق الذين يتم إقصاءهم من المجتمع وتتبع سياسة تكميم الأفواه بحقهم، ثم يشير إلى ظهور عودة الجماعات المنحرفة أو المنافقة اثر ضعف دعاة الحق،[1] وهذا الكلام هنا ايضا خير مصداق لما يجري في مجتمعنا الاسلامي هذه الايام من خلال ظهور جماعات منحرفة هدفها المعلن نصرة الاسلام بينما هدفها الباطني تشويه صورة الاسلام واخراجه للعالم بصورة دين دموي قائم على القتل وسفك الدماء وانتهاك الاعراض.

وبعد ذلك قال: (وَتَوَاخَى اَلنَّاسُ عَلَى اَلْفُجُورِ وَتَهَاجَرُوا عَلَى اَلدِّينِ وَ تَحَابُّوا عَلَى اَلْكَذِبِ وَتَبَاغَضُوا عَلَى اَلصِّدْقِ) وهنا يكشف الإمام عن حقائق خطيرة ويميط اللثام عن واقع مرير ينتظر الأمة في المستقبل القادم، إذ يصبح الفجور والكذب عرفاً أساسياً يسود في المجتمع وسُنة تتبع من دون حياء أو خجل، مع العلم أن الإسلام نهى عن الكذب والفجور،[2] وقول الإمام هنا (تَهَاجَرُوا عَلَى اَلدِّينِ) أي أن الناس في ذلك الزمان سوف يهجرون دينهم ويبيعوه بدنياهم.[3]

ثم أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى حقيقة مريرة في ذلك الزمان من خلال قوله: (فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ اَلْوَلَدُ غَيْظاً) فمن ذلك الزمان وما استعرضناه من انحلال أخلاقي وإحياء أعراف الجاهلية وتغييب المفاهيم الحقيقية لمبادئ الإسلام، فالنتيجة الحتمية لذلك الفساد هو انحلال المجتمعات وسوف تخترق أسوار البيوت والعوائل المتمثلة بأبنائهم الذين بدلاً من أن يكونوا مصادر فخر وسعادة لآبائهم يكونوا سبب شقائهم وبؤسهم،[4] وهنالك رأيين في هذا الكلام، أولهما، ان الآباء يشعرون بالغيظ من أبنائهم لكثرة عقوقهم،[5] أما الرأي الثاني فقد فسر كلام الإمام ان الأب يشعر بالغيظ والغضب من وجود الأبناء، لأنه لم يعد يحتمل نفقاتهم الكبيرة في هذه الأيام، نتيجة لتطور الحياة المدنية وازدياد متطلبات المعيشة المتزايدة يوماً بعد آخر على الآباء والأمهات، لذلك لم يعد الآباء يفكرون بالإنجاب الكثير.[6]

---

١. ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، ٤/٣٤٥.
٢. الخوئي، منهاج البراعة، ٧/٣٠٢.
٣. ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٢٧-٤٢٨.
٤. ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، ٤/٣٤٧-٣٤٨.
٥. ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤/٦٨.
٦. سبيتي، يوسف علي، نهج البلاغة في دائرة التشكيك، دار الهادي، لبنان، ١٤٢٧هـ، ٣١٣.

والعبارة اللاحقة من كلامه(عليه السلام): (وَالْمَطَرُ قَيْظاً وَتَفِيضُ اَللِّئَامُ فَيْضاً وَتَغِيضُ اَلْكِرَامُ غَيْضاً)، تشيرإلى ان سوء أعمال الناس في ذلك الزمان سيؤدي لحقيقة لامفرمنها وهي التقلبات الطبيعية، اذ ينزل المطرفي الصيف بدل الشتاء فيؤدي ذلك إلى ازدياد الحر وفساد الهواء او التلوث، ومن الافرازات الطبيعية لهذه الظروف، هو ظهورحثالة المجتمعات وأراذل القوم وتسلطهم على رقاب الناس وغياب المؤمنين الحقيقيين في مثل تلك الظروف، وهم الذين جاء وصفهم بالخطبة بـ(دعاة الحق).[1]

ثم يستمرالإمام علي(عليه السلام) بالكلام عن ذلك الزمان وصفاته، اذ قسم الناس في ذلك الزمان الى أربع فئات أساسية من خلال قوله: (وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ اَلزَّمَانِ ذِئَاباً وَسَلاَطِينُهُ سِبَاعاً وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً أَكَالاً وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً)، اذ اراد الإمام من هذا الكلام توصيف أهل ذلك الزمان، وهم الفئة الأولى، وهم أعوان الظلمة وعمالهم وبطانتهم وحاشيتهم والمقربون منهم الذين يتسلطون على رقاب الناس، فإذا كان السلطان سبعاً ضارياً، وهي الفئة الثانية، والمعروف هنا ان السبع والذئب من الحيوانات المفترسة التي تفترس الناس وأهل ذلك المجتمع الذين يصبحون ضحايا تلك المفترسات، وهم الفئة الثالثة من تقسيم الإمام(عليه السلام) من خلال قوله (وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً،[2] أما الفئة الرابعة فهم الفقراء في ذلك الزمان الذين يصبحون نسياً منسياً وكأنهم أمواتاً انقطعت مادة حياتهم ممن هم أعلى رتبة منهم.[3]

والصورة التي تتبلورهنا أمامنا من كلام الإمام علي(عليه السلام) وكأنه قد طالع عن كثب كافة تفاصيل التاريخ البشري، فكشف النقاب هنا بكلماته الرائعة التي لاتخلو من البلاغة والبساطة في الوقت نفسه، وتشيرإلى صفات ذلك الزمان وكأنه عايش، ذلك الزمان الذي أعطاه الإمام أدق التفاصيل، فلئام ذلك الزمان كثيرون، وكرامة قليلون وأهله ذئاب وحكامه سباع، والناس فيه مجرد ضحايا يريدون افتراسها، من دون إعطاءهم أدنى ما يستحقوه من

١. المجلسي , محمد باقر, بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار, دار احياء التراث العربي , بيروت , د.ت , ٣٧٥/٧.
٢. ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، ٣٤٨/٤.
٣. ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤٢٨/٣.

حقوق، بل هم مجرد أرقام في المعادلات الاقتصادية أو التجارية، أو مجرد ورقة اقتراع في صناديق الانتخابات،[1] وعلى العموم فالمتتبع لهذه الخطبة يجد ان الإمام(عليه السلام) قد ختم خطبته بالإشارة إلى سبع ظواهر منحرفة سوف تطفو على السطح في ذلك الزمان من خلال قوله: (وَغَارَ اَلصِدْقُ وَفَاضَ اَلْكَذِبُ وَاُسْتُعْمِلَتِ اَلْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ وَتَشَاجَرَ اَلنَّاسُ بِالْقُلُوبِ وَصَارَ اَلْفُسُوقُ نَسَباً وَاَلْعَفَافُ عَجَباً وَلُبِسَ اَلْإِسْلاَمُ لُبْسَ اَلْفَرْوِ مَقْلُوباً) وهذه كلمات غاية في الروعة كشفت عن الواقع المرير الذي يسود في ذلك الزمان الموعود، فأول تلك الظواهر هي زوال الصدق وثانيها هي كثرة الكذب، وهذا الكلام فيه كناية فقوله: (غَارَ اَلصِدْقُ) أي انتشر داخل الأرض، أو لعله دفن في باطن الأرض،[2] وقول الإمام: (فَاضَ اَلْكَذِبُ) وكأنه الماء المالح الذي يفيض فيخرب الأراضي، أو لعله مياه الأمطار الغزيرة التي تخرب الأراضي وتتلف المحاصيل الزراعية، أما الظاهرتان الثالثة والرابعة اللتان ستسودان في ذلك الزمان فهما ظهور المودة على اللسان، في حين انطواء القلوب على البغض والعدوان والحقد الدفين، ونتيجة ذلك تبرز ظاهرتان آخرتان هما التفاخر بالذنب وكذلك الدهشة من العفة والطهارة، وهذا الكلام يفيد عن مدى الانحراف العقائدي الذي يسود في ذلك الوقت مما يؤدي إلى ان يصبح الفسقة قريبين من بعضهم وكأنهم قرابة ونسب،[3] ولعل المراد بالفسق في ذلك الزمان هو الزنا وانتشاره بين الناس حتى يكثر أولاد الحرام في المجتمع،[4] أما أصحاب العفة والطهارة في مثل تلك الظروف تكون صفتهم هذه مثار سخط وازدراء الناس لهم بل ونبذهم من قبل المجتمعات التي يعيشون فيها.[5]

والظاهرة السابعة والأخيرة التي أشار إليها الإمام علي(عليه السلام) في كلمته فهي (وَلُبِسَ اَلْإِسْلاَمُ لُبْسَ اَلْفَرْوِ مَقْلُوباً) وفي تفسير هذه الكلمة نقتبس تفسير احد شراح نهج البلاغة " لما كان الغرض الأصلي من الإسلام أن يكون باطناً ينتفع به القلب ويظهر فيه منفعته، فقلب

---

١. يوسف سبيتي، نهج البلاغة في دائرة التشكيك، ٣١٦.
٢. الخوئي، منهاج البراعة، ٣٠٣/٧.
٣. ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، ٣٤٩/٤.
٤. ينظر: المجلسي، بحار الانوار، ٣٧٧/٧ ؛ الخوئي، منهاج البراعة، ٣٣٣/٧.
٥. التستري، محمد تقي، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، مطبعة ايران، ١٤١٨هـ، ١٧٧/٦.

المنافقين غرضه واستعملوه بظاهر ألسنتهم من دون قلوبهم أشبه قلبهم له لبس الفرو إذا كان أهله ان يكون ظاهراً لمنفعة الحيوان الذي هو لباسه فاستعمله الناس مقلوباً"،[1] إذاً فالظاهر ان المراد به تبديل الإسلام وقلب أحكامه وإظهار النيات والأفعال الحسنة وإبطان خلاف ذلك الامر.

أما الراوندي[2] في تعليقه على هذه الكلمة فقد قال: "ان هذا القول له معنيان أحدهما الإسلام يعكس أمره ويُغير، والثاني ان أهل الإسلام يطلبون به الدنيا لا الآخرة ويجعلون التدين زينة ووقاية لأنفسهم في الدنيا فقط".[3]

وفي الواقع ان خطبة الإمام علي(عليه السلام) هذه فيها تشابه كبير من حيث المعنى والكلام مع أحد أحاديث رسول الله " وهذا دليل كبير ان علم الإمام من الرسول، والحديث هو: (يأتي على الناس زمان وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين كأمثال الذئاب الضواري سفاكون للدماء لايتناهون عن منكر فعلوه إن تابعتهم أرتابوك وإن حدثتهم كذبوك إن تواريت عنهم اغتابوك ألسنة فيهم بدعة والبدعة فيهم سنة والحليم بينهم غادر والغادر بينهم حليم المؤمن فيما بينهم مستضعف والفاسق فيما بينهم مشرف ـ ... ـ فعند ذلك يحرمهم الله قطر السماء في أوانه وينزله في غير أوانه ويسلط عليهم شرارهم فيسومونهم سوء العذاب...).[4]

وتتضح الصورة الحقيقة من خطبة الإمام علي(عليه السلام) هذه، فهو أراد أن يبين للناس مسار الأحداث القادمة ومدى ما يمر به المجتمع الإسلامي من انقلاب حقيقي

---

١. ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤٢٨/٣.

٢. الراوندي: هو سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي، أبو الحسين، قطب الدين، تاريخ ومكان ولادته مشكوك فيه، عالم بارز من علماء الامامية، له العديد من المؤلفات أبرزها: (الخرائج والجرائح)، (قصص الانبياء)، و(المعجزات النبوية)، و(منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة)، توفي في مدينة قم سنة ٥٧٣هـ؛ ينظر: اغابزرك، الطهراني، الذريعة، ط٣، دار الأضواء لبنان، ١٤٠٣هـ، ١٤٥/٧.

٣. الراوندي، قطب الدين ابن الحسن هبة الله , منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق : عبد اللطيف الكوهكمري , مطبعة الخيام , ايران , ١٤٠٦ هـ,٤٦١/١.

٤. ينظر: الطبراني، أبي القاسم سليمان احمد , المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض، دار الحرمين للطباعة، السعودية، ١٤١٥هـ، ١١٩/١٤؛ السبزواري، محمد، جامع الأخبار، تحقيق: علاء آل جعفر، مطبعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٣هـ، ٥٥/٦.

للمفاهيم وتغيير الموازيين، حتى تبدو الأمور رأساً على عقب فينادى بالمنكر ويهجر المعروف ويعم الكذب ويشح الصدق ويسود الفجور ويختفي العفاف وذلك بفضل الحكومات المستبدة التي تتسلط على رقاب الناس على مدى التاريخ، والتي تسعى لتكريس كافة عملها ووجودها من خلال استخدامها لكافة السبل والوسائل الشرعية أو غير الشرعية، وبالطبع فأن الحكومات تقوم بإقصاء الأخيار والشرفاء دعاة الحق عن ميدانهم، وبخلاف ذلك توجد بطانة وحاشية خاصة بها، هدفها يكون في استعمال كافة الأساليب بحق الناس لإبقائهم يعيشون حالة الجهل تلك، وهنالك حقيقة هامة تبرز في مثل تلك الظروف وهي ان تلك الحكومات لاتعارض في منهاجها الدين بصورة مباشرة، بل تقوم بتحريفه من اجل تمرير مخططاتها وتحقيق مآربها وغاياتها الخبيثة من اجل تحقيق مصالحها الفئوية الضيقة.

ثانياً: الأخبار الغيبية عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه)

جاء ذكر الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري (عجل الله فرجه) الإمام الثاني عشر من أئمة اهل البيت (عليهم السلام)، في ثلاث مواضع متفرقة من خطب نهج البلاغة، وقد أشار إليه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وان لم يذكر اسمه الصريح، بل ذهب لذكر بعض أوصافه التي تنطبق عليه بأدنى تأمل، فقول الامام عنه: ((فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ اَلسِّيرَةِ وَ يُحْيِي مَيِّتَ اَلْكِتَابِ وَ اَلسُّنَّةِ)) جاء في الإمام المهدي (عجل الله فرجه) بحيث لايتسنى لغيره ان يقيم العدل ويحي ما كان قد مات من الكتاب والسنة، وكذلك قول الإمام علي (عليه السلام): ((فِي سُتْرَةٍ عَنِ اَلنَّاسِ لاَيُبْصِرُ اَلْقَائِفُ أَثَرَهُ وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ)) وفي هذا الكلام إشارة واضحة الى المدة الزمنية التي يمر بها الحجة المنتظر حينما يكون محجوباً عن الناس ولا يعلم أحد مكانه مهما حاول ذلك، والواضح هنا بالدليل القاطع ان كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) هي من الأخبار الغيبية التي صدرت عنه قبل ولادة المهدي (عجل الله فرجه) بعشرات السنين.

وسنتناول هنا تلك الأخبار الغيبية التي اخبر بها أمير المؤمنين (عليه السلام)، ففي خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) وقد تطرق للإمام المهدي (عجل الله فرجه) وعصر ظهوره، اذ قال: ((يَعْطِفُ اَلْهَوَى عَلَى اَلْهُدَى إِذَا عَطَفُوا اَلْهُدَى عَلَى اَلْهَوَى وَ يَعْطِفُ اَلرَّأْيَ عَلَى اَلْقُرْآنِ

إِذَا عَطَفُوا اَلْقُرْآنَ عَلَى اَلرَّأْيِ ـ حتى يقول ـ أَلاَوَفِي غَدٍ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لاَتَعْرِفُونَ يَأْخُذُ اَلْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا وَ تَخْرُجُ لَهُ اَلْأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ اَلسِّيرَةِ وَيُحْيِي مَيِّتَ اَلْكِتَابِ وَ اَلسُّنَّةِ...))،[1] اتفق أغلب شراح نهج البلاغة على ان المقصود من هذه الخطبة هو الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وان لم يصرح أمير المؤمنين علي(عليه السلام) بأسمه الصريح، اذ بدأ الإمام علي(عليه السلام) كلامه بقوله: (يَعْطِفُ اَلْهَوَى عَلَى اَلْهُدَى) أي انه إذا ظهر يرد النفوس المنحرفة عن سبيل الله إلى طريق الحق والإيمان وطريق الصراط المستقيم، فتهتدي بظهوره سائر الأمم،[2] أما قوله (إِذَا عَطَفُوا اَلْهُدَى عَلَى اَلْهَوَى) فمعناه إذا ارتدت تلك النفوس عن إتباع هدى الله فسوف يهديها إلى الطريق القويم ويجدد الشريعة المحمدية بعد اندحاضها،[3] ثم يتجه أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد ذلك ليبين ان الإمام المهدي (عجل الله فرجه) سوف يدحض ويبطل جميع الآراء الفاسدة المخالفة للقرآن الكريم بقوله (وَيَعْطِفُ اَلرَّأْيَ عَلَى اَلْقُرْآنِ) حيث يأمر بالرجوع للقرآن واخذ ما وافقه وطرح ما خالفه من خلال قوله (إِذَا عَطَفُوا اَلْقُرْآنَ عَلَى اَلرَّأْيِ) أي يؤولوه وفق ما يطابق مذاهبهم المختلفة وآرائهم المشتتة من خلال تلك المذاهب الإسلامية التي كانت تستشهد بآيات الكتاب على آرائها المنحرفة تاركين أهل الذكر؛{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَاتَعْلَمُونَ}.[4]

ومما تقدم من كلام أمير المؤمنين(عليه السلام) يتضح انه أراد القول أنهم ولاة الأمر وهم الذين نزل القرآن في بيتهم وهم أهل بيت النبوة ومعدن الوحي والرسالة فمن رجع لهم في تفسير كتاب الله اهتدى ومن استغنى برأيه عنهم فقد ظل وغوى.[5]

أما الجزء الآخر من خطبة الإمام علي(عليه السلام) والذي قال فيه: (أَلاَوَ فِي غَدٍ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لاَتَعْرِفُونَ) فهذا الكلام فيه إشارة واضحة إلى سيرة القائم وفيه تنبيه على عظم شأنه وعظيم شأن الغد الموعود بمجيئه، وهنا يبين الإمام حقيقة معرفته بما لايعرف هؤلاء القوم

---

١. الشريف الرضي، نهج البلاغة، ٢/٢٢٣.
٢. ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/١٦٨.
٣. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، مطبعة دار الحديث، إيران، ١٤١٦هـ، ١/٩٧.
٤. سورة الانبياء، الاية (٧).
٥. الخوئي، منهاج البراعة، ٨/٣٤٩.

الذين يخاطبهم،[1] ثم قول أمير المؤمنين(عليه السلام): (يَأْخُذُ اَلْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا) وقد قال ابن أبي الحديد عن ذلك: " هذا كلام منقطع عما قبله، وقد تقدم ذكر طائفة من الناس ذات مُلك وإمرة، فذكران الوالي يعني الإمام الذي يخلقه الله تعالى في آخر الزمان، يأخذ عمّال هذه الطائفة على سوء أعمالهم".[2] والشيء المهم من كلام ابن أبي الحديد هو قوله " ان الإمام يخلقه الله في آخر الزمان"، وقد ذهب لهذا وفقاً لمذهب المعتزلة الذي هو عليه والذين يقولون ان المهدي (عجل الله فرجه) غير مولود وسوف يولد في آخر الزمان"،[3] أما قوله (تَخْرُجُ لَهُ اَلْأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا) فالأفاليذ جمع أفلاذ وأفلاذ جمع فلذ وهي القطعة من الكبد وهذا كناية عن الكنوز التي تظهر للإمام المهدي (عجل الله فرجه)، وهذا الكلام فيه استعارة لفظ الكبد لكنوز الأرض وخزائنها اذ انهما متشابهان في الخفاء فالكنوز تختفي في باطن الأرض والكبد يختفي في جسم الإنسان.

بينما هنالك رأي آخر في تفسير هذا الكلام هو ان الإمام علي(عليه السلام) أراد الإشارة من كلامه هذا إلى الأتباع الذين يخرجون ويظهرون مع الإمام المهدي (عجل الله فرجه) بعد ان كانوا غير ظاهرين وغير معروفين بأشخاصهم وأسمائهم، وهم كنوز إدخرها الله تعالى لذلك اليوم الموعود وقول الإمام (أَفَالِيذَ كَبِدِهَا) إلا للإشارة إلى ذلك، إذ ان كلمة فلذة الكبد لا تستعمل إلا للأبناء وكونهم أبناء الأرض للإشارة إلى خفائهم وعدم ظهورهم فكأنهم مختفون في الأرض كما ان الكبد مختفٍ في باطن الإنسان،[4] والواضح هنا ان اغلب هذه التفاسير تلامس جسد الحقيقة بدرجات متفاوتة، وقد ختم الإمام علي(عليه السلام) كلامه عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) بالقول: (فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ اَلسِّيرَةِ وَيُحْيِي مَيِّتَ اَلْكِتَابِ وَ اَلسُّنَّةِ) أي ان الحجة (عجل الله فرجه) سوف يحيي التعاليم الحقيقية للإسلام والسنة الشريفة والتي غيبت قسراً فيعود الحكم الشرعي بها وتعود لتجد مكانها الحقيقي في ظل حكومة القائم (عجل الله فرجه) التي يتم في ظلالها إحياء القيم الإنسانية وتفيض النعم

---

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩٢/٤.
٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩٢/٤.
٣. الخوئي، منهاج البراعة، ٣٥١/٨.
٤. الخوئي، منهاج البراعة، ٣٥١/٨.

بأنواعها على الناس ويطاح بأصنام الجور والظلم.[1]

لم يقتصر ذكر الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) للمهدي (عجل الله فرجه) في الخطبة السابقة فقط، بل امتد لخطب أخرى، إذ تحدث عن فئة ظلت الطريق القويم واتجهت نحو الانحراف ثم تحدث عن أئمة اهل البيت أئمة الهداية الذين يهدي بهم الله سبحانه عباده وينتشلونهم من الفتن والوقوع بحبائل الشيطان، إذ بنهضتهم سوف ينشر الله الحق وهذه النهضة متمثلة بظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، وقد جاء في هذه من نهج البلاغة قول الإمام علي(عليه السلام): ((وَأَخَذُوا يَميناً وَشِمَالاً ظَعْناً فِي مَسَالِكِ اَلْغَيِّ وَتَرْكاً لِمَذَاهِبِ اَلرُّشْدِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ[2] وَلاَ تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ اَلْغَدُ فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ وَمَا أَقْرَبَ اَلْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ يَا قَوْمِ هَذَا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ وَدُنُوٌّ مِنْ طَلْعَةِ مَا لاَ تَعْرِفُونَ أَلاَ وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ اَلصَّالِحِينَ لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً[3] وَيُعْتِقَ فِيهَا رِقّاً[4] وَيَصْدَعَ شَغْباً[5] وَيَشْعَبَ صَدْعاً[6] فِي سُتْرَةٍ عَنِ اَلنَّاسِ لاَ يُبْصِرُ اَلْقَائِفُ[7] أَثَرَهُ وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ اَلْقَيْنِ اَلنَّصْلَ[8] تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ وَيُغْبَقُونَ[9] كَأْسَ اَلْحِكْمَةِ بَعْدَ

---

١. ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، ٣٤٢/٥.

٢. مرصد : أي منتظر وهو يعني ما يجيء به الغد من فتن وأحداث، ينظر: ١٩١. الطريحي، فخر الدين النجيفي، مجمع البحرين، ط٢، تحقيق : احمد الحسيني، مكتبة النشر الإسلامي، إيران، ١٤٠٨هـ، ٣٨/٣.

٣. ربقاً: تقال للرأس إذا كان مربوطاً بحبل، ينظر: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، دار أدب الحوزة، إيران، ١٤٠٥هـ، ١٢/٣.

٤. رقاً : أي مملوكاً، ينظر: الزمخشري، جار الله محمد بن عمر، أساس البلاغة، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ١٢٨٨هـ، ١٧٩/١.

٥. يصدع شعباً: الصدع هو الشق، وصدعت الشيء أي أظهرته، ينظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الأعلمي، مطبعة نشر الثقافة الإسلامية، لبنان، ١٤٣٣ هـ، ٣٨٢/٣.

٦. يعشب صدعاً : الشعب هو الصدع في الشيء وأحلامه وهي تقال أيضاً عن الناس إذا اجتمعوا بعد فرقتهم، ينظر: الجوهري، الصحاح في اللغة، ١٥٦/١.

٧. القائف: هو الشخص الذي يتتبع الآثار، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٢٩٣/٩.

٨. القين النصل : القين معناها الحداد والنصل تعني الحديدة الحادة من السلاح، ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، ٧٧/٣ ؛ ٨١ ؛ الصاحب بن عباد، أبو القاسم إسماعيل، المحيط في اللغة، مطبعة وزارة الثقافة والفنون، العراق، د .ت، ٢٢٣/٢.

٩. يغبقون : أي يشربون في المساء، ينظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الأثر، ٦٣٥/٣.

اَلصَّبُوحِ[1])،[2] أشار الإمام علي(عليه السلام) من خلال هذه الخطبة إلى حوادث المستقبل ولاسيما قبل ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وكذلك ما بعد ظهوره وطبيعة ذلك العصر، إذ بدأ كلامه محذراً من السيريمينا وشمالاً في طرق الغي والكفرويين أنه يجب على الناس ان لايستعجلوا لتحقيق غاياتهم من قوله: (فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ وَمَا أَقْرَبَ اَلْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ) وهذه إشارة إلى ما يحققه الإمام المهدي (عجل الله فرجه) من انتصارات كبيرة بعد عدة فتن تظهر على الناس، وهنا يجب على الناس عدم استعجال ذلك الظهور وتلك الانتصارات الكبيرة لأن لكل شيء زمانه وشروطه الواجب تحققها من أجل ذلك الظهور،[3] ثم خاطب أمير المؤمنين(عليه السلام) أتباعه قائلاً: (يَا قَوْمِ هَذَا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ) وكلام الإمام هذا معناه أن هذا وقت وأوان تحقق الفتن والبلابل وسيادة الظلم وكثرة الظالمين والمظلومين على حد سواء وهذا ما وعدتم به،[4] ثم بعد هذا الكلام عاد أمير المؤمنين(عليه السلام) ليتكلم في خطبته هذه عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وظهوره المبارك بقوله: (أَلاَ وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ) وهذا كلام فيه مدلولات كبيرة وعظيمة، إذ تطرق الإمام علي(عليه السلام) لظهور الحجة وما سيفعله بعد الظهور من نصرة المظلومين وإحقاق الحق ونشر العدل والخير وتنكيس راية الظلم وكسر شوكة الظالمين، وقد عبر أمير المؤمنين عن ذلك بعبارات وكلمات قصيرة غاية في البلاغة والمعنى فهو الذي شبهه الإمام بالحبل المعقود الذي يحل الفتن ويطلق الأسرى، وينقذ المظلومين من أيدي الظالمين، ويقوم بجمع كلمة أهل الهدى،[5] وهناك رأي يقول أن معنى هذه الكلمات والمراد منها هم أئمة اهل البيت جميعاً وما واجهوه بعد أمير المؤمنين من فتن شتى سواء في زمن الأمويين أو العباسيين وغيرهما إلى ظهور الإمام المهدي

---

١. الصبوح : وتعني الصباح، ينظر: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، القاموس المحيط، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الأعلمي للمطبوعات، لبنان، ١٤٣٣هـ، ٢١٩/١.

٢. الشريف الرضي، نهج البلاغة، ٢٣٤/٢-٢٣٥ ؛ وينظر: المحب الطبري، محمد بن جرير بن رستم الحمامي، المسترشد في إمامة أمير المؤمنين، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مطبعة سلمان الفارسي، إيران ١٤١٥هـ، ٧٤.

٣. ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، ٤٦٤/٥.

٤. ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، ٤٦٤/٥.

٥. التستري، بهج الصباغة، ٢١١/٦.

(عجل الله فرجه).[1]

والشيء الذي يستحق التوقف عنده هنا أن ابن ابي الحديد، الذي لديه موقف متعصب من مسألة الإمامة، وفي شرحه لهذه العبارة (أَلاَوَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ)، ذهب في كلامه للقول بأن المراد هو مهدي آل محمد "كما ترى إنطباق سائر الصفات المذكورة عليه، وان كان اعتقاد العامة بالنسبة للإمام المهدي(عجل الله فرجه) عن الإمام (عجل الله فرجه) أنه يولد في آخر الزمان،[2] وفي ختام كلامه في تلك الخطبة عن أمير المؤمنين(عليه السلام) وعن الإمام المهدي، تكلم عن أصحاب الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وأوصافهم (ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ اَلْقَيْنِ)، إذ الذي يستشف من هذه العبارات أن أصحاب الحجة المنتظر(عجل الله فرجه) هم من الرجال الشجعان والعلماء الذين أعدوا سلفاً، وعملية بنائهم وأعدادهم لاتزال مستمرة وقلوبهم نابضة بآيات القرآن وتفسير كلمات الباري سبحانه، وهو دائم التعلم صباحاً ومساءاً ويزدادون عزماً وتأهباً واستعداداً حيناً" بعد آخر، واختتم كلامه عنهم: بالقول هؤلاء تفيض منهم المعارف الربانية والأسرار الإلهية وهؤلاء هم العارفون الذين جمعوا بين الزهد والحكمة والشجاعة وحقيق بمثلهم أن يكونوا أنصاراً لولي الله الذي يجتبيه ويخلقه في آخر أوقات الدنيا فيكون في خاتمة أوليائه والذي يلق عصا التكليف عنده.[3]

وفي ختام هذه الخطبة نقول إن الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) أراد من خلالها تبشير الناس بما ينتظرهم من فجر مضيء بعد كل ما عانوه وسوف يعانوه، وهذا الفجر المضيء يتمثل بالظهور المبارك والطلعة الميمونة للحجة المهدي المنتظر(عجل الله فرجه) الذي بظهوره تشرق شمس الإيمان والخير والعدل، والحق الذي يجب أن يقال هنا أن مسألة قيام الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وظهوره في آخر الزمان مسألة متفق عليها بين المسلمين جميعاً، وان اختلف في كيفياتها، لابل أن مسألة قيام الموعود أو المنتظر امتدت فكرتها لتشمل أغلب الأديان، إذ إن السواد الأعظم منها يؤكد على قيام المخلص في آخر

---

١. ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥٠٦/٣.
٢. ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٢٨/٩.
٣. ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٢٩/٩.

الزمان، مع التأكيد أن لكل ديانة مخلصها، وعلى العموم فالفكرة متفق عليها، ولاسيما قيام المنتظر(عجل الله فرجه) فالمسلمون يؤمنون بها بشكل مطلق بحيث لم يشذ عن هذه الفكرة إلا النزر اليسير من أصحاب الانحراف الفكري متناسين قوله تعالى:} وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ{[1] وكذلك قول رسول الله ": (لاتقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وعدواناً، ثم يخرج رجل من عترتي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً)،[2] إذا" فالذي يستفاد من الخطبة السابقة للإمام علي(عليه السلام) أنها ركزت ان الظهور المقدس يهدف لإزالة بساط الظلم ونشر التوحيد والعدل الإلهي في الوقت الذي يعم الظلم والانحراف الأخلاقي والعقائدي للعالم، مما يضاعف من استقبال تلك الحكومة الإلهية المتمثلة بالمهدي (عجل الله فرجه) وكذلك أن أصحاب الإمام الذين يظهرون معه، والذي تشير الروايات التاريخية ان عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد أصحاب بدر،[3] هم أداة الحق بيد الإمام لتنفيذ هذا المشروع الإنساني العظيم وهم تلك الثلة التي اختارها الله لأعلاء لإعلاء راية الحق.

لايقف كلام أمير المؤمنين(عليه السلام) في نهج البلاغة عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) عند هذا الحد، بل يمتد ذكره لخطبة أخرى، إذ قال فيها الإمام علي(عليه السلام): ((قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا[4] وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا مِنَ اَلْإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَاَلْمَعْرِفَةِ بِهَا وَاَلتَّفَرُّغِ لَهَا فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ اَلَّتِي يَطْلُبُهَا وَحَاجَتُهُ اَلَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اِغْتَرَبَ اَلْإِسْلاَمُ وَضَرَبَ بِعَسِيبِ[5] ذَنَبِهِ وَأَلْصَقَ اَلْأَرْضَ بِجِرَانِهِ[6] بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ خَلِيفَةٌ مِنْ خَلاَئِفِ

---

١. سورة الأنبياء، الآية (١٠٥).

٢. الصدوق، محمد علي بن الحسين بن بابويه، التوحيد، تحقيق: هاشم الحسيني، منشورات جماعة المدرسين، إيران، بلا . ت، ٨٢ ؛ ابن بطريق، يحي بن الحسن، عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الأبرار، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، ١٤٠٧هـ، ٤٣٣ .

٣. الخصيبي، ابي عبدالله الحسين بن حمدان، الهداية الكبرى، ط٤، مؤسسة البلاغة للطباعة، لبنان، ١٤١١هـ، ٤٧٤ ؛ المحب الطبري، دلائل الإمامة، ٣٠٤ ؛ الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، الغيبة، تحقيق: عباد الله الطهراني، مطبعة بهمن، إيران، ١٤١١هـ، ص٢٨٤ ؛ ابن طاووس، رضي الدين علي بن موسى، الملاحم والفتن، تحقيق: مؤسسة صاحب الأمر، مطبعة نشاط، إيران، ١٤١٦هـ، ١٤٤.

٤. جُنتها: الجنة هو الذي يستتربه من السلاح، ينظر: الجوهري، الصحاح في اللغة، ١/١٠٥.

٥. بعسيب ذنبه: هو منبت الذنب من الجلد والعظم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١/٥٩٩.

٦. جرانه: وهي مقدمة عنق البعير إلى منحره فإذا برك على الأرض ومد عنقه قيل : ألقى جرانه، ينظر: الصاحب بن

أَنبِيَائِهِ))[1] وهنا يستوقفنا كلام ابن ابي الحديد في شرحه لتلك الخطبة، إذ قال: " هذا الكلام فسرته كل طائفة بحسب اعتقادها، فالأمامية تزعم أن المراد به المهدي المنتظر عندهم، والصوفية يزعمون أنه يعني به ولي الله في الأرض، وعندهم الدنيا لاتخلو عن الإبدال وهو أربعون، وعن الأوتاد وهم سبعة وعن القطب وهو واحد، فإذا مات القطب صار أحد السبعة قطباً عوضه، وصار أحد الأربعين وتداً عوض ذلك الوتد، وصار بعض الأولياء الذين يصطفيهم الله تعالى بدلاً بدل ذلك البدل"، ثم ينتقل ابن أبي الحديد للكلام تفسير الصوفية، إذ يقول: " وأصحابنا يزعمون أن الله تعالى لايخلي الأمة من جماعة المؤمنين بالعدل والتوحيد، وأن الإجماع إنما يكون حجة باعتبار أقوال أولئك العلماء، لكن لما تعذرت معرفتهم بأعيانهم اعتبر إجماع سائر العلماء وإنما الأصل قول أولئك، قالوا: وكلام أمير المؤمنين(عليه السلام) لايشير فيه إلى جماعة أولئك العلماء من حيث هم جماعة "، ولكنه يصف حال كل واحد منهم، فقال: "من صفته كذا ومن صفته كذا"، أما تفسير الفلاسفة لكلام الإمام، فهم يزعمون ان مراده بهذا الكلام العارف، ولهم في العرفان وفي صفات أربابه كم يعرفه من له أنس بأقوالهم، وقد اختتم ابن أبي الحديد كلامه، بعد ان استعرض عدة آراء لمذاهب مختلفة، اختتمه بقوله: وليس يبعد عندي ان يريد به القائم من آل محمد " في آخر الوقت إذا خلقه الله تعالى، وأن لم يكن موجوداً فليس في الكلام ما يدّل على وجوده الآن، وقد وقع اتفاق الفرق من المسلمين أجمعين على أن الدنيا والتكليف لاينقضي إلا عليه،[2] هذا فيما يخص رأي ابن أبي الحديد المعتزلي، أما بقية آراء شُراح نهج البلاغة في تناولهم لتلك الخطبة فقد أجمعوا أيضاً أن الشخص المقصود بتلك الخطبة هو الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، وإن قامت كل طائفة بتفسير كلام أمير المؤمنين بما يوافق أهوائها ومصالحها مثل الصوفية والمعتزلة والفلاسفة، ولعل أوضح شرح ما ذهب إليه التستري،[3] إذ قال: "ذهبت كل

عباد، المحيط في اللغة، ٢/١١٠.

١. الشريف الرضي، نهج البلاغة، ٢/٢٩١.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٠/٩٦.

٣. التستري: هو الشيخ محمد تقي التستري الشوشتري، ولد في مدينة النجف سنة ١٣٢٠هـ، أصله من مدينة تستر الإيرانية، كان فقيهاً عالماً محققاً بارعاً، أمضى حياته في تعليم الناس، وبث المعارف الإسلامية، له العديد من المؤلفات

طائفة لتفسير ذلك بحسب اعتقادها إلاأن المتبع ما شفع بالبرهان، وهو قول الأمامية، أما أصله فقد اقرباتفاق فرق المسلمين عليه، وأما فرعه وهوكونه موجوداً الآن "، فيدل عليه كلام أمير المؤمنين(عليه السلام) المتواترعنه لكميل بن زياد:[1] " اللهم بلى لاتخلو الأرض من قائم لله بحجة، أما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيناته "،[2] ومن هنا يتضح ترجيح تفسير الإمامية على تفاسير باقي الفرق والمذاهب الاسلامية.

وبالعودة لكلمات الخطبة التي يستحق الوقوف عندها كثيراً، نجد أن قول الإمام علي(عليه السلام) (قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا) ومعنى هذا الكلام ما تسلح به الإمام المهدي(عجل الله فرجه) من سلاح وهو الحكمة وهو شرف عظيم، إذ قال تعالى:{وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا}،[3] أما قول الإمام (وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا وَالتَّفَرُّغِ لَهَا) وهذا الكلام هنا أيضاً يعود على الحكمة التي يتمتع بها المهدي (عجل الله فرجه) أي انه أخذها على وجه الكمال حينما علم انه لا شيء أعظم واشرف وأرفع من الحكمة، وكذلك عرف أنه من يؤتها فقد أوتي خيراً كثيراً، وبعد ان علم بكل ما تحويه الحكمة من خصائص تفرغ لها وتخلى عن جميع المتعلقات الدنيوية التي تضادها، بحيث تنحى عن كل ما سواها.[4]

وأما قول الإمام (فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا) وهذا الكلام فيه تشابه كبير مع إحدى حكم أمير المؤمنين(عليه السلام)، إذ يقول: (الحكمة ضالة المؤمن)[5] أي هدفه المقصود والمنشود والذي يجب على المؤمن ان لايحيد عنه فهي طريق

أبرزها : (شرح تنقيح المقال) و(بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة) و(جامع أحوال الأئمة) وغير ذلك الكثير، وقد توفي سنة ١٤١٤هـ، ينظر: اغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، مطبعة منصوريان، إيران، ١٣٩٥هـ، ٦٥/١.

١. كميل بن زياد : هوكميل بن زياد بن نهيك النخعي، ولد سنة ١٢ هـ، تابعي ثقة من أصحاب الإمام علي وخاصته وقد شهد معه صفين، وهو صاحب الدعاء المشهور بـ(دعاء كميل) الذي علمه له أمير المؤمنين، قتله الحجاج الثقفي سنة ٨٢هـ، ينظر: الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن ، رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة الناشر الإسلامي، إيران، ١٤١٥ هـ، ٣٥؛ ٦٧. السمعاني، أبي سعد عبد الكريم ، الانساب، تحقيق عبدالله عمر البارودي، دار الجنان، لبنان، ١٤٠٨هـ، ٥٦٩/٣.

٢. الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، الآمالي، تحقيق : مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة، إيران، ١٤١٤هـ، ٢٢ .

٣. سورة البقرة، الآية (٢٦٩).

٤. الخوئي، منهاج البراعة، ٣٥٤/١٠.

٥. ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٢٩/١٨.

نجاته،[1] وأما قول الإمام (فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اِغْتَرَبَ اَلْإِسلاَمُ) ومعناه أن هذا الشخص هو الإمام المهدي (عجل الله فرجه) يخفي نفسه ويحملها إذا اغترب الإسلام واغتراب الإسلام أن يظهر الفسق والجور على الإصلاح والعدل، وقول الإمام (وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ وَأَلْصَقَ اَلْأَرْضَ بِجِرَانِهِ) فهذا من تمام قوله إذا اغترب الإسلام أي إذا صار غريباً مقهوراً وصار الإسلام كالبعير البارك يضرب الأرض بعسيبه أي ذنبه ويلصق جرانه وهو صدره في الأرض فلا يكون له تصرف ولانهوض،[2] وكلمة الإمام الأخيرة كانت في الإمام المهدي (عجل الله فرجه) إذ وصفه بقوله (بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَتِهِ خَلِيفَةٌ مِنْ خَلاَئِفِ أَنْبِيَائِهِ) وهذه الأوصاف تنطبق على الإمام المهدي جملة وتفصيلاً، فهو البقية الباقية من حجج الله تعالى وهو الخليفة الأخير الباقي من خلائف الأنبياء،[3] وهنا يستوقفنا كلام الإمام الصادق(عليه السلام) حينما سؤل عن وجه الحكمة والسر في غيبة الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، إذ قال: أن لصاحب هذا الأمر غيبة لابد منها يرتاب فيها كل مبطل، لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم، ووجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى، وإن وجه الحكمة في ذلك لاينكشف إلا بعد ظهوره، كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر(عليه السلام) من خرق السفينة، وإقامة الجدار لموسى(عليه السلام) إلى وقت افتراقهما.[4]

وهنالك رواية عن الإمام العسكري(عليه السلام) نقلها أحمد بن إسحاق[5] إذ قال: " دخلت على الإمام العسكري(عليه السلام) وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدئاً: يا احمد بن إسحاق أن الله تعالى لم يخل الأرض من خلق آدم، ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجة الله على خلقه، به يدفع الله البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه تخرج بركات الأرض، فقلت: يا بن رسول الله فمن الإمام والخلف من بعدك؟

---

١. محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ٦٧١/٢.
٢. ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦٧١/٢.
٣. المجلسي، بحار الأنوار، ٥١/ ١١٤.
٤. المجلسي، بحار الأنوار، ٥٢/ ٩١.
٥. احمد بن إسحاق : هو أحمد بن إسحاق بن عبدالله بن سعد بن مالك الأشعري، وكنيته أبو علي القمي، كان وافد القميين، وكان من أصحاب الإمام الحسن العسكري، كان كبير القدر ومن القلائل الذين شاهدوا الإمام المهدي (عجل الله فرجه) تاريخ وفاته غير معلوم، ينظر: الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن , رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة الناشر الإسلامي، إيران، ١٤١٥ هـ، ٣٩٨.

فنهض مسرعاً فدخل البيت ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأنه وجهه القمر من أبناء ثلاث سنين، فقال: يا احمد لولاكرامتك على الله عزوجل وكل حججه ما عرضت عليك ابني هذا انه سمي رسول الله "، وكنيته الذي يملئ الأرض قسطاً وعدلاًكما ملئت جوراً وظلماً، يا أحمد مثله في هذه الأمة مثل الخضرومثل ذي القرنين، والله ليغيبنَّ غيبة لاينجو من الهلكة فيها إلامن ثبته الله عزوجل على القول بإمامته، ووفقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه، فقلت: يا مولاي فهل من علامة يطمئن إليها قلبي؟ فنطق الغلام بلسان فصيح فقال: أنا بقية الله في أرضه، والمنتقم من أعدائه، ولاتطلب يا احمد أثراً بعد عين، فخرجت فرحاً، فلما كان من الغد عدت إليه، فقلت: يا بن رسول الله لقد عظم سروري بما مننت به عليَ، فما السنة الجارية فيه من الخضروذي القرنين؟ قال: طول الغيبة، قلت: وإن غيبته لتطول؟ قال: أي وربي حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به.[1]

الخاتمة

من خلال هذا البحث، توصلنا لعدة نتائج أبرزها:

ـ ان الله قد اطلع بعض أنبياءه وأولياءه على بعض علم الغيب، وهذا العلم محدود كماً وكيفاً، ومأخوذ من الله تعالى} :وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَايَعْلَمُهَا إِلَّاهُوَ{، وقد جاءت هذه الغيبيات للأنبياء والأوصياء لتكون أدلة وبراهين واضحة على صدقهم وصدق ما جاءوا به من الله تعالى، فالغيب نوعان الأول خاص بالله تبارك وتعالى والثاني مكتسب يطلع عليه بعض أنبياءه وعباده الصالحين.

ـ جاءت هذه الأخبار الغيبية لتكون دليلاً واضحاً على صدق الإمام علي(عليه السلام) وحجة وبرهان ليُعرف بها صدق الصادق من كذب الكاذب، فهي إذن تأييد من الله (عز وجل) لأوليائه وعباده الصالحين لتكون تصديقاً لهم، وحثاً للعباد على اقتفاء آثارهم، اذ أنهم وصلوا إلى هذه الدرجات الرفيعة والمقام المحمود، نتيجة طاعتهم للخالق جل جلاله،

١. ينظر: ١٥٦. النعماني، محمد بن إبراهيم الكاتب، الغيبة، تحقيق: فارس حسون كريم، مطبعة مهر، إيران، ١٤٢٢هـ، ٦٤ ؛ الصدوق، محمد بن علي بابويه القمي، كمال الدين وتمام النعمة، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، ١٤٠٥هـ, ٣٨٤ ؛ المحب الطبري، المسترشد، ٢٧٢-٢٧٤ ؛الراوندي، قطب الدين أبي الحسن هبة الله، الخرائج والجرائح، تحقيق محمد باقر الابطحي، العلمية، ايران، ١٤٠٩هـ، ٣٤/٣.

واكتسبوا بهذه الطاعة رضا الله فخلق الأشياء لأجلهم وتحت تصرفهم ووهبهم الدنيا والآخرة، وكما جاء في الحديث القدسي: " ان لله عباداً أطاعوه فيما أراد، فأعطاهم فيما أرادوا يقولون للشيء كم فيكون"، إذاً فمفتاح ظهور المعاجز والكرامات والتي تعتبر الغيبيات ركناً منها، على أيدي عباد الله الصالحين هو نتيجة الطاعة المفترضة عليهم من الله تعالى، وعلى هذا الأساس لايبقى أي شك في صدور المعاجز والكرامات على أيدي عباد الله الصالحين الذين وصلوا إلى أعلى المقامات العرفانية بالطاعة والانقياد للخالق تعالى.

ـ هنالك بعض الأخبار الغيبية ذكرها الشريف الرضي في نهج البلاغة من دون التعليق عليها، وذلك لعدم تحقق تلك الأخبار حتى زمان الشريف الرضي مثل كلام أمير المؤمنين(عليه السلام) عن آخر الزمان وظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه) واللتان بقيتا الوحيدتان من الأخبار الغيبية التي وردت في نهج البلاغة ولم تتحقق إلى الآن، اذ تحققت أغلب الاخبار الغيبية، مثل اخبار الامام عن الخوارج الدولة الاموية وحكامها والمغول وغيرها من الاحداث.

ـ ان آخر الزمان هو العصر الذي يسبق ويهيأ لظهور الامام المهدي المنتظر(عجل الله فرجه)، من خلال ما يشهده من احداث وفتن كبيرة يكون المؤمن فيها مبتلى بين الوقوف الى جانب الحق أو السير في طريق الباطل لشدة الفتن وتلابس الحق بالباطل، وتكون بمثابة امتحان حقيقي للناس، فمن كان قلبه مليئا" بالإيمان سيكون النصر حليفه, اما من كان بعيدا" عن طريق الحق، فسيكون حليفه الهزيمة والخسران الكبير.

ـ لم يذكر الامام علي(عليه السلام)، في خطب نهج البلاغة التي اوردها الشريف الرضي، اسم الامام الحجة (عجل الله فرجه) الصريح، اذ اكتفى بذكر صفاته وفضائله وصفات عصره في ثلاث خطب في نهج البلاغة، فضلا" عن الفتن التي تسبق عصر الظهور المبارك، بينما نجد ان الامام علي(عليه السلام) ذكر الاسم االصريح وصفات الامام المنتظر(عجل الله فرجه) في مواضع اخرى لم يرد ذكرها في كتاب نهج البلاغة.

الرجعة قرآنية المنشأ، إمامية الاعتقاد

الدكتور علي صالح رسن المحمداوي[1]

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي هدانا بـ الإسلام الدين المبين، وجعلنا من المتمسكين بالثقلين، وعلمنا القرآن ومن علينا بمحمد ﷺ وأهل بيته الأطهار الأخيار، خلفاءه الراشدين، علياً والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ذرية الحسين عليهم السلام وجعلنا من المساهمين في إحياء تراث شيعة أمير المؤمنين عليه السلام والذابين عنه ولو بالكلمة الحقة.

وبعد...

بـ دعوة كريمة من لدن القائمين على المؤتمر الدولي الثالث عشر لـ العقيدة المهدوية، الذي سيعقد إن شاء الله تعالى يومي ١٤- ١٥ شعبان المعظم ١٤٣٨هـ، وتحت عنوان " عصر الظهور في الديانات الإبراهيمية " ولا يسعنا في هذا المجال إلا أن نقدم شكرنا وتقديرنا لهم على رعاية هكذا مؤتمر، ونسجل ملاحظة صغيرة بتحفظ على كلمة الديانات، فـ نقول وقلنا سابقاً لا توجد ديانات، وإنما دين واحد هو الإسلام، لـ قوله تعالى {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسلاَمُ...}[2] وقد دانت به الأنبياء من آدم عليه السلام حتى تقوم الساعة، وقد انضوت شرائع

---

١. الاستاذ المساعد الدكتورة شيماء هاتو فعل جامعة البصرة، كلية التربية، العلوم الإنسانية

٢. آل عمران/١٩

الأنبياء (عليهم السلام) تحت خيمة الإسلام، حتى شريعة النبي الخاتم ﷺ قدمنا أدلة وافية كافية على ذلك.[1]

وما زلنا في ذكر المؤتمر الذي حوى مفاصل متعددة منها، المحور الأول: وهو الإسلام، وفي الفقرة السابعة منه ذكر عنوان اسمه الرجعة وهذا استهوى الباحث، محاولاً الكتابة عنه، ولكن تحت عنوان " الرجعة قرآنية المنشأ، إمامية الاعتقاد " وقد سعى الباحث إلى أثبات وجودها في القرآن الكريم، معتمداً على روايات العامة في تفسير، بعد أن انتفع من تعريفها لُغوياً، ومن ثم خصص مبحثاً لأعطاء مصاديق عن الرجعة في الروايات التاريخية، وختامه مسك، ومسك الختام مع الإمام المهدي المنتظر (اللهم عجل ظهوره واجعلنا من المستشهدين بين يديه).

ويعتذر الباحث عن كتابة الخاتمة لأنه لا يؤمن بها، ومن أراد معرفة البحث عليه قراءته من دون اختزاله في اسطر، واعتمد الباحث في هذه الدراسة على مصادر شتى، لا نستعرضها لأنها مذكورة في قائمة المصادر، والله ولي التوفيق.

الرجعة لغة

مشتقة من الفعل الثلاثي رجع يرجع رجعاً ورجوعاً ورجعى ورجعانا ومرجعاً ومرجعة، انصرف، وفي التنزيل {إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى}[2] أي الرجوع والمرجع، مصدر على فعلى، قال تعالى {... إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[3] أي رجوعكم، وراجع الشيء ورجع إليه، وقوله عزوجل: {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ}[4] يعني العبد إذا بعث يوم القيامة وأبصر وعرف ما كان ينكره في الدنيا يقول لربه: ارجعون أي ردوني إلى الدنيا، وقوله ارجعون واقع ههنا ويكون لازماً كقوله تعالى: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ}[5] ومصدره لازماً الرجوع، ومصدره واقعاً الرجع، يقال: رجعته رجعاً فرجع رجوعاً

---

١. المحمداوي: رؤية قرآنية /٧- ٣٢٧

٢. العلق/٨

٣. المائدة/١٠٥

٤. المؤمنون/٩٩

٥. الأعراف/١٥٠

يستوي فيه لفظ اللازم والواقع، قال تعالى {فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[1] قيل: يرجعون إلينا إذا علموا أن ما كيل لهم من الطعام ثمنه يعني رد إليهم ثمنه، وفي حديث السحور الذي رواه يحيى عن التيمي عن أبي عثمان عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: لا يمنعن أحدكم آذان بلال عن سحوره فانه يؤذن أو قال ينادى ليرجع قائمكم وينتبه نائمكم[2] القائم: هو الذي يصلي صلاة الليل، ورجوعه عوده إلى نومه أو قعوده عن صلاته إذا سمع الأذان، ورجع فعل قاصر ومتعد، تقول: رجع زيد ورجعته أنا، وهو ههنا متعد ليزاوج يوقظ، وقوله تعالى {إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ}[3] قيل: إنه على رجع الماء إلى الإحليل، وقيل إلى الصلب، وقيل إلى صلب الرجل وتريبة المرأة، وقيل على إعادته حيا بعد موته وبلاه لأنه المبدئ المعيد سبحانه وتعالى، وقيل على بعث الإنسان يوم القيامة، وهذا يقويه قوله تعالى: {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ}[4] أي قادر على بعثه يوم القيامة، والله سبحانه أعلم بما أراد، ويقال: أرجع الله همه سروراً أي أبدل همه سروراً، قيل رجعه وأرجعه ناقته باعها منه ثم أعطاه إياها ليرجع عليها، وتراجع القوم: رجعوا إلى محلهم، ورجع الرجل وترجع: ردد صوته في قراءة أو أذان أو غناء أو زمر أو غير ذلك مما يترنم به، والترجيع في الأذان تكرير قوله أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، وترجيع الصوت: ترديده في الحلق كقراءة أصحاب الألحان، هو تقارب ضروب الحركات في الصوت.[5]

الرجعة في القرآن الكريم

نصت آيات بينات على معنى مفردة الرجعة منها:

الآية الأولى: جاءت بـ قوله تعالى {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوماً أَوْ

---

١. يوسف/٦٣

٢. ابن حنبل: مسند ٣٨٦/١

٣. الطارق/٨

٤. الطارق/٩

٥. ابن منظور: لسان العرب ١١٤/٨

بَعضَ يَومٍ قَالَ بَل لَّبِثتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.[1]

هذه الآية المباركة فيها دليل شاف كاف على الرجعة، وفيها تصريح واضح على قدرة الله سبحانه وتعالى على كل شيء، ويقطع الحجاج واللجاج في الرجعة، وهذا الموضوع انقاد له المفسرون وقالوا به، ودليل ذلك ما رواه عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه قال: إن أرميا[2] لما خرب بيت المقدس وحرقت الكتب وقف في ناحية الجبل قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم رد الله من رد من بني إسرائيل على رأس سبعين سنة من حين أماته الله فعمروها ثلاثين سنة تمام المائة فلما تمت المائة رد الله روحه وقد عمرت وهي على حالها الأولى، فجعل ينظر إلى العظام كيف تلتئم بعضها إلى بعض ثم نظر إلى العظام تكسى عصباً ولحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير فقال الله تعالى فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه، وكان طعامه تيناً في مكتل وقلة فيها ماء[3] وصاحب هذا الرأي وهب بن منبه مطعون فيه.[4]

وقال معمر عن قتادة أن القائل هو عزير مر على قرية خربة فتعجب فقال أنى يحى هذه الله بعد موتها فأماته الله أول النهار فلبث مائة عام ثم بعثه في آخر النهار فقال كم لبثت قال يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام[5] وقال ناجية بن كعب وسليمان بن بريدة، والربيع، والربيع، وعكرمة، والسدي، والضحاك، وابن عباس[6] وقتادة السدوسي لا نركن إلى روايته وفيه طعون[7] ولكنها اصح من رواية وهب بن منبه.

وهذا الاختلاف، لم يهم الطبري فـ قال: أولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله

---

١. البقرة/٢٥٩

٢. وإرميا بن حلقيا، وهو الخضر، وكان من سبط هارون بن عمران، وقاله عبد الله بن عبيد بن عمير، وبكر بن مضر. الطبري: جامع البيان ٤١/٣

٣. عبد الرزاق: تفسير القرآن ٩٩/١، الطبري: جامع البيان ٨٢٥/٢

٤. المحمداوي: رؤية قرآنية /٣١٨

٥. عبد الرزاق: تفسير القرآن ١٠٦/١

٦. الطبري: جامع البيان ٤٠/٣

٧. المحمداوي: الإسراء والمعراج دراسة في سند روايات ابن إسحاق /١٢٨

سبحانه تعالى عجب نبيه ﷺ ممن قال ذلك مع علمه أنه ابتدأ خلقها من غير شيء، فلم يقنعه علمه بقدرته على ابتدائها، حتى قال: أنى يحييها الله بعد موتها ! ولا بيان عندنا من الوجه الذي يصح من قبله البيان على اسم قائل ذلك، وجائز أن يكون ذلك عزيراً، وجائز أن يكون إرميا، ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه، إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك، وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم، وإعادتهم بعد فنائهم، وأنه الذي بيده الحياة والموت من قريش، ومن كان يكذب بذلك من سائر العرب، وتثبيت الحجة بذلك على من كان بين ظهراني مهاجر رسول الله ﷺ من يهود بني إسرائيل بإطلاعه نبيه محمد ﷺ على ما يزيل شكهم في نبوته، ويقطع عذرهم في رسالته، إذ كانت هذه الأنباء التي أوحاها إلى نبيه محمد ﷺ في كتابه من الأنباء التي لم يكن يعلمها محمد ﷺ وقومه، ولم يكن علم ذلك إلا عند أهل الكتاب[1] ونحن الذي يهمنا من كل ذلك أثبات رجعة الإنسان بعد موته، ولا سيما إذا كان مذكوراً في كتب الآخر.

الآية الثانية: تضمنت عودة شهداء الكهف إلى الحياة الدنيا بعد أن أماتهم الله سنوات عدداً، جاء ذلك بقوله تعالى {وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً}[2] وقفنا عندهم وقدمنا الأدلة الكافية على صحة عودتهم تارة أخرى.[3]

الآية الثالثة: قال تعالى {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ}[4] جاء تفسير ذلك بما رواه أحمد بن محمد، عن علي بن الحسين، عن وهيب بن حفص، عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال: من منع الزكاة سأل الرجعة عند الموت[5] وقيل من منع قيراطاً منها فليس بمؤمن ولا مسلم.[6]

---

١. الطبري: جامع البيان ٤١/٣
٢. الكهف/١٩
٣. المحمداوي: رؤية قرآنية /٢٨٧
٤. المؤمنون/٩٩
٥. الكليني: الكافي ٥٠٤/٣
٦. الصدوق: من لايحضره الفقيه ١٢/٢

وروى عبد بن حميد عن جعفربن عون عن أبي جناب الكلبي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال " من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو يجب عليه فيه زكاة فلم يفعل يسأل الرجعة عند الموت، فقال رجل: يا ابن عباس اتق الله فإنما يسأل الرجعة الكفار، فقال سأتلو عليك بذلك قرآناً ومنه قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ}[1] فما يوجب الزكاة؟ قال إذا بلغ المال مائتين فصاعدا، قال فما يوجب الحج؟ قال الزاد و البعير".[2]

وروى الحسين، عن أبا معاذ عن عبيد، عن الضحاك في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}[3] هو الرجل المؤمن نزل به الموت وله مال كثيرلم يزكه، ولم يحج منه، ولم يعط منه حق الله يسأل الرجعة عند الموت فيزكي ماله.[4]

آيات إحياء الموتى

ورد في هذا الموضع آيات بينات منها:

١. قوله تعالى {ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[5] بين الله سبحانه وتعالى قدرته على إرجاع الناس إلى الحياة الدنيا ومصداق ذلك إن النبي عيسى بن مريم (عليهما السلام) يحي الموتى بـإذن الله سبحانه وتعالى، وهذا ما جاء على لسانه {... وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ...}[6] وإذا أراد أن يحي الموتى يدعو بهذا الدعاء: يا حى يا قيوم[7] وقد رأته امرأة يحي الموتى، فقالت: طوبى للبطن الذي حملك، والثدي الذي

---

١. المنافقون/٩

٢. الترمذي: سنن ٩١/٥، الطبراني: المعجم الكبير٩٠/١٢

٣. المنافقون/٩

٤. الطبري: جامع البيان ١٥٠/٢٨، ابن الجوزي: زاد المسير٣١/٨

٥. الحج/٦، ينظر الأحقاف/٣٣، الشورى/٩

٦. آل عمران/٤٩

٧. الواحدي النيسابوري: أسباب نزول الآيات/١٨٥، القرطبي: الجامع ١٠٥/١١

أرضعك، فقال لها طوبى لمن تلا كتاب الله تعالى واتبع ما فيه وعمل به رواه قتادة[1] علماً أن موقفاً سلبياً منه.[2]

٢. قوله تعالى{وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ}[3] المراد من ذلك الخطاب القول للناس: إنا بدئنا خلقكم في بطون أمهاتكم، ووصفنا أحوالكم قبل الميلاد وبعده، طفلاً، وكهلاً، وشيخاً هرماً، وتعلموا أن القدرة التي جعل بها هذه الأشياء العجيبة لا يتعذر عليها أن يحيي بها الموتى بعد فنائها ودروسها في التراب، وأن فاعل ذلك على كل ما أراد وشاء من شئ قادر لا يمتنع عليه شيء أراده، ولتوقنوا بذلك أن الساعة التي وعدتكم أن أبعث فيها الموتى من قبورهم آتية لا محالة لا ريب فيها، لا شك في مجيئها وحدوثها، وأن الله يبعث من في القبور حينئذ من فيها من الأموات أحياء إلى موقف الحساب، فلا تشكوا في ذلك ولا تمتروا فيه[4] لأنه قادر على إحياء خلقه من بعد مماتهم وعلى غير ذلك، إنه ذو قدرة على كل شيء.[5]

٣. {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[6] قال تعالى ذكره: أو لم ينظر هؤلاء المنكرون إحياء الله خلقه من بعد وفاتهم، وبعثه إياهم من قبورهم بعد بلائهم، القائلون لآبائهم وأمهاتهم أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي فلم يبعثوا بأبصار قلوبهم، فيروا ويعلموا أن الله الذي خلق السموات السبع والارض، فابتدعهن من غير شئ، ولم يعي بإنشائهن، فيعجز عن اختراعهن وإحدائهن بقادر على أن يحيي الموتى فيخرجهم من بعد بلائهم في قبورهم أحياء كهيئتهم قبل وفاتهم.[7]

٤.{أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى *لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى

---

١. القرطبي: الجامع ٢٧١/٣

٢. المحمداوي: الإسراء والمعراج دراسة في سند روايات ابن إسحاق /١٢٨

٣. الحج/٧

٤. الطبري: جامع البيان ١٥٨/١٧

٥. الطبري: جامع البيان ١٦/٢٥

٦. الأحقاف/٣٣

٧. الطبري: جامع البيان ٤٦/٢٦

*فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىَ * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى}[1] أراد تعالى ذكره، ألم يك هذا المنكر قدرة الله على إحيائه من بعد مماته، وإيجاده من بعد فنائه نطفة يعني، ماء قليلاً في صلب الرجل من مني، واختلفت القراء في قراءة قوله، يمنى فقرأه عامة قراء المدينة والكوفة: تمنى بالتاء بمعنى: تمنى النطفة، وقرأ ذلك بعض قراء مكة والبصرة، يمنى بالياء، بمعنى: يمنى المني، والصواب من القول أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وقوله: ثم كان علقة يقول تعالى ذكره، ثم كان دماً من بعد ما كان نطفة، ثم علقة، ثم سواه بشراً سوياً، ناطقا سميعاً بصيراً فجعل منه الزوجين الذكر والانثى يقول تعالى ذكره: فجعل من هذا الإنسان بعد ما سواه خلقا سويا أولادا له، ذكورا وإناثا أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى يقول تعالى ذكره: أليس الذي فعل ذلك فخلق هذا الإنسان من نطفة، ثم علقة حتى صيره إنسانا سويا، له أولاد ذكور وإناث، بقادر على أن يحيي الموتى من مماتهم، فيوجدهم كما كانوا من قبل مماتهم، يقول: معلوم أن الذي قدر على خلق الإنسان من نطفة من مني يمنى، حتى صيره بشراً سوياً، لا يعجزه إحياء ميت من بعد مماته.[2]

الرجعة في الروايات التاريخية

وحتى يوقن منكروها نورد لهم شواهد تاريخية عنها، ليكونوا على بينة من أمرهم، ومن تلك الشواهد ما حدث لـ النبي محمد ﷺ في مسراه إذ بعث الله له الأنبياء من آدم وما ولد من المرسلين (عليهم السلام)[3] وروىَ عن الإمام الصادق قوله: إذا أمات الله أهل الأرض أمات أهل السماء الدنيا ثم أمات أهل السماء الثانية ثم أمات أهل السماء الثالثة ثم أمات أهل السماء الرابعة ثم أمات أهل السماء الخامسة ثم أمات أهل السماء السادسة ثم أمات أهل السماء السابعة ثم أمات ميكائيل قال أو جبريل ثم أمات جبريل ثم أمات اسرافيل ثم أمات ملك الموت ثم ينفخ في الصور وبعث، ثم يقول الله تبارك

---

١. القيامة/٣٧ ـ ٤٠

٢. الطبري: جامع البيان ٢٩ /٢٥٠

٣. القرطبي: الجامع ٩٥/١٦

وتعالى: لمن الملك اليوم؟ فيرد على نفسه فيقول: لله الخالق الباري المصور وتعالى الله الواحد القهار ثم يقول: أين الجبارون؟ أين الذين كانوا يدعون معي الهاً أين المتكبرون؟ ـ ونحو هذا ـ ثم يبعث الخلق.[1]

وبما إنها ثابتة في القرآن فـ الإيمان بها منقبة وليس مثلبة، ولهذا قال الشريف المرتضى." اعلم أن الذي يُقوّل الإمامية في الرجعة، لا خلاف بين المسلمين بل بين الموحدين في جوازه، وأنه مقدور لله تعالى، وإنما الخلاف بينهم في أنه يوجد لا محالة أو ليس كذلك، ولا يخالف في صحة رجعة الأموات إلا ملحد وخارج عن أقوال أهل التوحيد، لأن الله تعالى قادر على إيجاد الجواهر بعد إعدامها، وإذا كان عليها قادراً، جاز أن يوجدها متى شاء".[2]

وقال الإمام الصادق عليه السلام " ليس منا من لم يقل بمتعتنا، ويؤمن برجعتنا أهي حشر في الدنيا مخصوص للمؤمنين، أو لغيرهم من الظلمة الجائرين قبل يوم القيامة؟[3] أراد بذلك ما يختصه من القول به في أن الله تعالى يحيي قوماً من أمة النبي محمد صلى الله عليه وآله بعد موتهم، قبل يوم القيامة، وهذا مذهب يختص به أهل بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله وقد أخبر الله عزوجل في ذكر الحشر الأكبر يوم القيامة {... وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً}[4] وقال سبحانه في حشر الرجعة قبل يوم القيامة {وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ}[5] فأخبر أن الحشر حشران: عام وخاص وقال سبحانه مخبراً عمن يحشر من الظالمين أنه يقول يوم الحشر الأكبر {قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ}[6] وللعامة في هذه الآية تأويل مردود، وهو أن المعني بقوله: ربنا أمتنا اثنتين " أنه خلقهم أمواتاً ثم أماتهم بعد الحياة، وهذا باطل لا يجري على لسان العرب، لان الفعل لا يدخل إلا على ما كان بغير الصفة التي انطوى اللفظ على معناها، ومن خلقه الله مواتا لا يقال إنه أماته، وإنما يقال ذلك فيمن طرأ عليه الموت بعد الحياة، كذلك لا يقال أحيا الله

---

١. الحسين بن سعيد الكوفي: كتاب الزهد/٩٠
٢. رسائل المرتضى ٣/١٣٥
٣. المفيد: المسائل السروية/٣٠
٤. الكهف/٤٧
٥. النمل/٨٣
٦. غافر/١١

ميتاً إلا أن يكون قد كان قبل إحيائه ميتاً وهذا بين لمن تأمله وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله: ربنا أمتنا اثنتين " الموتة التي تكون بعد حياتهم في القبور للمسآلة، فتكون الأولى قبل الإقبار، والثانية بعده وهذا أيضاً باطل من وجه آخر، وهو أن الحياة للمسألة ليست للتكليف فيندم الإنسان على ما فاته في حاله، وندم القوم على ما فاتهم في حياتهم المرتين يدل على أنه لم يرد حياة المسألة، لكنه أراد حياة الرجعة التي تكون لتكليفهم والندم على تفريطهم، فلا يفعلون ذلك فيندمون يوم العرض على ما فاتهم من ذلك.[1]

والرجعة عندنا تختص بمن محض الإيمان ومحض الكفر، دون ما سوى هذين الفريقين، فإذا أراد الله تعالى على ما ذكرناه أوهم الشيطان أعداء الله عزوجل أنما ردوا الدنيا لطغيانهم على الله، فيزدادوا عتوا، فينتقم الله تعالى منهم بأوليائه المؤمنين، ويجعل لهم الكرة عليهم، فلا يبقى منهم أحد إلا وهو مغموم بالعذاب والنقمة والعقاب وتصفو الأرض من الطغاة، ويكون الدين لله تعالى، والرجعة إنما هي لمحضي الإيمان من أهل الملة ومحضي النفاق منهم دون من سلف من الأمم الخالية.[2]

وعلى الرغم من ذلك، هناك من عرف الرجعة بقوله: مذهب قوم من العرب في الجاهلية معروف عندهم، ومذهب طائفة من فرق المسلمين من أولي البدع والأهواء، يقولون: إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حياً كما كان، قالت طائفة الرافضة بذلك، ويشهد لهذا المذهب السوء قوله تعالى {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}[3] يريد الكفار، نحمد الله على الهداية والإيمان.[4]

ومن مفتريات القوم على الشيعة ما رواه مسلم عن سفيان الثوري قال: إن الرافضة تقول إن علياً في السحاب، فلا نخرج مع من خرج من ولده حتى ينادي مناد من السماء يريد علياً انه ينادي اخرجوا مع فلان.[5]

---

١. المفيد: المسائل السروية/٣٢

٢. المفيد: المسائل السروية/٣٥

٣. المؤمنون ٩٩- ١٠٠

٤. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ٢٠٢/٢، ابن منظور: لسان العرب ١١٤/٨

٥. صحيح ١٦/١

وقد تصدى علماء الشيعة لرد هذه التهمة، وذلك انه قول النبي ﷺ لعلي: اقبل وهو معتم بعمامة النبي ﷺ كانت تدعى السحاب فقال قد اقبل علي في السحاب، يعني تلك العمامة التي تسمى السحاب، فتأولوه هؤلاء على غير تأويله، افتراء علينا، والله من وراءهم حسيب.[1]

وكتب احدهم فقال: افتراء مسلم على الشيعة: ومن ثمار شجرة العصبية الخبيثة المرة، ومن آثارها المخزية، ما أورده مسلم في مقدمة صحيحة من البهتان والافتراء على الشيعة، فهو عندما يتطرق إلى الأحاديث الموضوعة والمخالفة للواقع، يقول بكل صلافة: إن من الأحاديث الموضوعة ما ترويه الشيعة الرافضة عن الإمام علي عليه السلام: إن علياً في السحاب وأقول: إن أحاديث الشيعة قد دونت منذ عهد الرسول ﷺ وعقائدهم قد ملأت كتبهم الكلامية بنحو واف وكاف، وإن المكتبات عامرة بكتبهم، فهل ترى في كتاب واحد مثلاً حديثاً واحداً يدل على ما بهته مسلم على الشيعة؟ ألم تكن عقيدة الشيعة ومحدثيهم ومؤرخيهم إن الإمام على عليه السلام قتل في محراب مسجد الكوفة بسيف أشقى الناس عبد الرحمن بن ملجم المرادي ودفن في الغري؟ ولاغرو أن يحتوي صحيح البخاري وصحيح مسلم على مثل هذه الأحاديث الموضوعة التي لا أصل لها ـ كالحديث المذكور ـ وهذه هي المسائل التي تسمى عند أتباع النهج الأموي، والتي طفحت في المجتمع الإسلامي واتخذها أتباع النهج الأموي ذريعة للتهجم والمؤاخذة على الآخرين، ولكن ما هي القصة المذكورة، ومن أين نشأت؟ ورد في المصادر التاريخية أن النبي ﷺ كانت عنده عمامة تسمى السحاب، فوهبها يوم غدير خم لـعلى عليه السلام كرامة له، فكان ربما طلع عليه علي عليه السلام بتلك العمامة فقال: وهو فرح: أتاكم علي في السحاب، وسعد شيعته بذلك المفخرة وكانوا يرددون قوله: جاء علي في السحاب إلا أن مسلم أعرض عن ذكر أصل الحديث وأبى عن سرد القصة الحقيقية، واكتفى بذكر حديث موضوع على النحو الذي ذكرناه ونسبه إلى الشيعة!![2]

علما إن مصدر الرواية سفيان الثوري وهو مطعون فيه كما سنرى.[3]

---

١. الاميني: الغدير١/٢٩٢

٢. محمد صادق النجمي: أضواء على الصحيحين/١٠٩

٣. المحمداوي: ام كلثوم /٢٠٧

وقد عُد القول في الرجعة، من مفسدات اعتقادات الإمامية، إذ روى عثمان بن أبي شيبة عن شريك عن أبي اسحق عن عاصم بن ضمرة قال قلت لـ الإمام الحسن بن علي عليهما السلام إن الشيعة يزعمون إن أباك يرجع قال كذب أولئك الكذابون لو علمنا ذلك ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ميراثه.[1]

السند فيه شريك بن عبد الله النخعي، مطعون فيه[2] وكذلك أبو إسحاق السبيعي[3] وعاصم بن ضمرة السلولي، نسبة إلى سلول بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن بكر بن وائل[4] من أهل الكوفة.[5]

قال سفيان الثوري: كنا نعرف فضل حديثه على حديث الحارث الأعور[6] وقال ابن حنبل: حنبل: هو أعلى منه ـ الحارث الاعور ـ[7] وقيل أحسن حالاً منه، سئل يحي بن معين: أيما أحب إليك هو أم الحارث عن علي؟ قال هو[8] وعلى رواية قيل له عاصم أحب إليك أم حارث قال كلاهما ولم يختر قال عثمان حارث خير[9] وقيل قدمه على الحارث الاعور، وقال محمد بن عبد الله بن عمار: عاصم أثبت من الحارث[10] من كان يريد سبب الترجيح هذا يراجع ترجمة الحارث الأعور.[11]

---

١. ابن حنبل: مسند ١/١٤٨

٢. المحمداوي: عقيل /٢٦٢.

٣. المحمداوي: عقيل /٢٣.

٤. ابن خياط: طبقات /٢٤٠

٥. ابن حبان: المجروحين ٢/١٢٥

٦. البخاري: التاريخ الكبير٦/٤٨٢، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٦/٣٤٥

٧. سبط ابن العجمي: الكشف الحثيث/١٤٣

٨. ابن حبان: المجروحين ٢/١٢٦

٩. ابن عدي: الكامل ٥/٢٢٤

١٠. المزي: تهذيب الكمال ١٣/٤٩٨

١١. ابن عبد الله بن كعب بن أسد بن خالد بن حوث واسمه عبد الله بن سبع بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد بن خيران بن نوف بن همدان وحوث هو أخو السبيع رهط أبي إسحاق السبيعي. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٦٨، قيل انه من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. الطوسي: رجال /٩٤، ظناً من العامة إن هذا الأمر صحيح، وقد فاتهم معرفة ما قاله العلامة الحلي من طريق الكشي في طريق فيه الشعبي انه قال لعلي عليه السلام: إني احبك، ولاتثبت بها عندي عدالته بل ترجيح ما.. خلاصة الأقوال/١٢٢، وقد روى الحارث عن علي، وكان له قول سوء وهو ضعيف في روايته، عن جابر عن عامر قال لقد رأيت الحسن والحسين يسألان الحارث الاعور عن حديث

ثقة له أحاديث[1] وثقة ابن معين[2] وابن المديني[3] تابعي وثقه العجلي[4] وقال النسائي: ليس به بأس[5] وهو حجة عند ابن حنبل[6] ترجم له سبط ابن العجمي ذاكراً كل ما تقدم من دون بيان المدح أو القدح.[7]

وهناك من طعن فيه، فقال: كان رديء الحفظ فاحش الخطأ[8] رأى عاصم بن ضمرة أناساً يتبعون سعيد بن جبير فقال إن هذا مذلة للتابع فتنة للمتبوع[9] وقبال ذلك هناك من قال: حكى عاصم عن سعيد بن جبير وهو أكبر منه.[10]

يبدو إن روايته محصورة عن أمير المؤمنين عليه السلام فقط ولم يروِ عن غيره بدليل قوله: إني لأستحي من الله أن أروي عن غير علي[11] قال أبو إسحاق السبيعي: ما حدثني بحديث قط إلا عن علي عليه السلام[12] وهذه النقطة أصبحت سُبة عليه على سبيل المثال قال ابو بكر بن عياش، سمعت مغيرة يقول: لم يصدق على علي في الحديث إلا من أصحاب عبد الله بن مسعود، وقال عيسى- بن المسيب لإبراهيم أو قيل يا أبا عمران أدركت أصحاب علي

علي، عن الشعبي قال حدثني الحارث الأعور كان كذوباً، عن أبي إسحاق قال كان يقال ليس بالكوفة أحد أعلم بفريضة من عبيدة والحارث الاعور، عن أبي إسحاق أنه كان يصلي خلف الحارث الاعور وكان إمام قومه وكان يصلي على جنائزهم فكان يسلم إذا صلى على الجنازة عن يمينه مرة واحدة أوصى الحارث الاعور أن يصلي عليه عبد الله بن يزيد الانصاري فصلى عليه فكبر أربعا ثم انطلقنا به حتى إذا انتهى إلى القبر قال ضعوه ها هنا عند مؤخره عند رجليه قال فوضعناه ثم رأيته كشط الثوب الذي عليه فرأيت الذريرة على كفنه ثم قال استلوه استلالا فإنما هو رجل، كانت وفاته بالكوفة أيام عبد الله بن الزبير وكان عبد الله بن يزيد الانصاري الخطمي عاملا يومئذ لعبد الله بن الزبير على الكوفة. ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٦٨/٦.

١. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٢٢/٦

٢. ابن عدي: الكامل ٢٢٤/٥

٣. ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٣٤٥/٦

٤. الثقاة ٩/٢

٥. المزي: تهذيب الكمال ٤٩٨/١٣

٦. الذهبي: ميزان الاعتدال ٣٥٢/٢

٧. الكشف الحثيث/١٤٣

٨. ابن حبان: المجروحين ١٢٥/٢

٩. ابن عدي: الكامل ٥٢٢٥

١٠. المزي: تهذيب الكمال ٤٩٧/١٣

١١. ابن عدي: الكامل ٢٢٤/٥

١٢. البخاري: التاريخ الكبير٤٨٢/٦

وأصحاب عبد الله فأخذت بقول أصحاب عبد الله وتركت قول أصحاب علي قال أتهم أصحاب علي[1] وكأنه أشار إلى ذم السلولي.

مما تقدم اتضح إسقاط لقب أمرة المؤمنين عن الإمام، بل وردت الإشارة إلى صريح اسمه على سبيل المثال قولهم: روى عن علي[2] يرفع عن علي قوله كثيراً، فلما فحش ذلك في روايته استحق الترك[3] صاحب علي[4] قال ابن عدي: لم اذكر له حديثاً لكثرة ما رويَ عن علي مما تفرد به ومما لا يتابعه الثقاة عليه والذي يرويه عن عاصم قوم ثقاة البلية من عاصم ليس ممن يروي عنه[5] وبناء على ما تقدم نقول: إن الرجل لم يمت بصلة لأمير المؤمنين عليه السلام وإنما هو من العامة.

روى عنه الحكم بن عتيبة[6] وحبة بن أبي حبة الكوفي، وحبيب بن أبي ثابت، وأبو الوازع زهير بن مالك النهدي، وكثير بن زاذان، وأبو يعلى منذر بن يعلى الثوري، والهيثم بن حبيب الصيرفي، وأبو إسحاق السبيعي[7] روى له الأربعة[8] يعني مالك ومسلم وابن حنبل والبخاري على ما نعتقد.

وروى عنه أبو إسحاق قوله: تطوع النبي صلى الله عليه وآله بست عشرة ركعة: ركعتين عند التالية من النهار، ثم أربعاً قبل الزوال، ثم أربعاً بعده، ثم ركعتين بعد الظهر، ثم أربعاً قبل العصر، فيا عباد الله، أما كان الصحابة وأمهات المؤمنين يحكون هذا إذ هم معه في دهرهم ـ يعني أن عائشة وابن عمر وغيرهما حكوا عنه خلاف هذا، ثم قال: خالف الأمة[9] وقد بحثنا عن الحديث ولم نجده إلا في هذا المصدر.

---

١. ابن عدي: الكامل ٢٢٤/٥

٢. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٢٢/٦، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٣٤٥/٦، ابن حبان: المجروحين ١٢٥/٢

٣. ابن حبان: المجروحين ١٢٥/٢

٤. الذهبي: ميزان الاعتدال ٣٥٢/٢

٥. ابن عدي: الكامل ٢٢٥/٥

٦. ابن حبان: المجروحين ١٢٥/٢

٧. المزي: تهذيب الكمال ٤٩٧/١٣

٨. المزي: تهذيب الكمال ٤٩٩/١٣

٩. الذهبي: ميزان الاعتدال ٣٥٢/٢

توفي في ولاية بشربن مروان[1] سنة ٧٤هـ.[2]

وما يخص زواج زوجاته، لا نعتقد بذلك، وهذه تهمة لفقها القوم، ونكتفي بضرب مثالاً واحداً فقط إن عبد الله بن جعفر الطيار جمع بين أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام وزوجته ليلى[3] وقفنا عند ذلك ولم تثبت صحة الرواية.[4]

الذي يقرأ الرواية يتصور وكأن الإمام تاجر كبير صاحب أملاك وطالب دنيا، حتى قسموا ميراثه ناسين صفة الزهد الذي عاشها ونذكر بذلك شاهد واحد فقط رواه هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يرعد تحت سمل قطيفة، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال ما يعم، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع؟ فقال: والله ما أرزأكم من أموالكم شيئاً، وإن هذا لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي بـ المدينة، ما عندي غيرها، وفي رواية خرج عليه السلام يوماً وعليه إزار مرقوع، فعوتب عليه، فقال: يخشع القلب بلبسه، ويقتدي به المؤمن إذا رآه عليَّ.[5]

وجرياً على طريقتنا في توثيق الرواية لا بد من وقفة عند سندها الذي فيه، هارون بن عنترة بن عبد الرحمن الشيباني، من أهل الكوفة، كنيته أبو عمرو، يقال له هارون بن ابي وكيع[6] قال ابو زرعة: لا بأس به مستقيم الحديث[7] وقال ابن حنبل: شيخ ثقة[8] وثقة ابن سعد[9] والعجلي[10] هناك من قال: وثقه ابن

---

١. ابن الحكم الأموي ولي العراقين لاخيه عند مقتل مصعب، قدم البصرة، أتاه الحسن البصري فقال له الحاجب: من أنت ؟ قال: حسن البصري، قال: ادخل، وإياك أن تطيل ولا تملّه فوجده على سرير، عليه فرش قد كاد أن يغوص فيها، ورجل بالسيف واقف على رأسه، أجلسه ثم قال: ما تقول في زكاة أموالنا ؟ ندفعها إلى السلطان أم إلى الفقراء ؟ فاجاب: أيهما فعلت أجزأ عنك، فتبسم، وكرر عليه الزيارة من العشي وإذا هو انحدر من سريره يتململ وحوله الاطباء، ثم زاره من الغد والناعية تنعاه ودوابه قد جزت نواصيها، وقف الفرزدق على قبره ورثاه بأبيات، فما بقي أحد إلا بكى، مات بالبصرة سنة ٧٥هـ وله نيف وأربعون سنة. الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٤٥/٤

٢. ابن خياط: طبقات /٢٤٠

٣. يحيى بن الحسين: الأحكام ٣٥٨/١، أحمد المرتضى: شرح الأزهار ٢٢٠/٢

٤. المحمداوي: أم كلثوم /٢٦٨

٥. المجلسي: بحار الأنوار ٣٣٤/٤٠

٦. ابن حبان: المجروحين ٩٣/٣

٧. ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٩٢/٩

٨. ابن حنبل: العلل ٤٧٢/٢

٩. الطبقات الكبرى ٣٤٨/٦

١٠. الثقاة ٣٢٣/٢

معين[1] وقد راجعناه ولم نجد توثيقه الرجل، وإنما أشار إلى كنيته أبو عمرو فقط.[2]

وقبال هذا التوثيق هناك من طعن به، فقال: منكر الحديث جداً، روى مناكير كثيرة حتى يسبق إلى قلب المستمع لها أنه المتعمد لذلك من كثرة ما روى مما لا أصل له، لا يجوز الاحتجاج به بحال[3] الله المستعان على إثباته[4] قال الدار قطني: حديثه والحسين بن واقد جميعاً وهم والله أعلم[5] ونقيض ذلك ما قاله أبو بكر البرقاني: سألت الدراقطني عنه فقال يحتج به[6] وتوثيقه اصح.

روى عن زاذان أبي عمر، وسعيد بن جبير، وسليم بن حنظلة البكري، وعبد الله بن السائب، وعبد الله بن عيسى- بن عبد الرحمان بن أبي ليلى، وعبد الرحمان بن الاسود بن يزيد النخعي، وعمرو بن مرة، وأبيه أبي وكيع عنترة بن عبد الرحمان الشيباني، ومحارب بن دثار، وأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ـ من طريق ضعيف ـ، وعن شيخ من بني فزارة، روى عنه أحمد بن بشير الكوفي، والحسن بن عبيد الله، وحماد بن عبيد، وحمزة بن حبيب الزيات، وأبو الهيثم خالد بن عبد الرحمان ويقال: عبد الرحمان بن خالد العطار الكوفي، وسفيان الثوري، وأبو الاحوص سلام بن سليم، والصباح بن محارب، وعباد بن العوام، وعبد الله بن إدريس، وعبد الرحمان بن محمد المحاربي، وابنه عبد الملك بن هارون بن عنترة، وعبيد الله الاشجعي، وعلي بن يزيد الصدائي، وعمرو بن مرة وهو من شيوخه، وعيسى- بن يونس، وفضيل بن مرزوق، ومحمد بن عبيد الطنافسي-، ومحمد بن فضيل الضبي، ومسعر بن كدام، ويحيى بن زكريا الأنصاري، ويعقوب بن عبد الله القمي، وأبو خالد الدالاني.[7]

قال الذهبي: الظاهر أن النكارة من الراوى عنه، مات سنة ١٤٢هـ.[8]

---

١. ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٩٢/٩، المزي: تهذيب الكمال ١٠١/٣٠، الذهبي: ميزان الاعتدال ٢٨٤/٤

٢. تاريخ ٢٣٤/١

٣. ابن حبان: المجروحين ٩٣/٣

٤. ابن حبان: الثقاة ٢٨٢/٥

٥. علل ٩/٤

٦. المزي: تهذيب الكمال ١٠٢/٣٠، الذهبي: ميزان الاعتدال ٤٨٢/٤

٧. المزي: تهذيب الكمال ١٠٠/٣٠

٨. الذهبي: ميزان الاعتدال ٤ /٤٨٥

عنترة بن عبد الرحمن الشيباني، أبو وكيع الكوفي، والد هارون بن عنترة وجد عبد الملك بن هارون بن عنترة[1] شهد أمير المؤمنين، روى عنه أبو سنان وابنه هارون[2] روى المراسيل[3] روى هارون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال ما سلك رجل طريقا يبتغي فيه العلم إلا سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ومن يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه[4] يعتبربه، ذكره ابن حبان في كتاب الثقاة روى له أبو داود، والنسائي، وابن ماجة في التفسير.[5]

روى عن زاذان أبي عمر، وعبد الله بن عباس، وعلي بن أبي طالب، وعمربن الخطاب، وأبي الدرداء، روى عنه: عبد الله بن عمرو بن مرة الجملي، وابنه هارون ابن عنترة، وأبو سنان الشيباني ذكره ابن حبان في كتاب الثقاة،. روى له النسائي حديثاً واحداً، وقد وقع بعلو عنه.[6]

وروى جعفربن محمد بن مالك عن الحسن بن علي بن مروان عن سعيد بن عمار عن ابي مروان قال سألت الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله عزوجل {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ...}[7] قال فقال لي لا والله لا تقضي الدنيا ولاتذهب حتى يجتمع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام بالثوية فيلتقيان ويبنيان بالثوية مسجدا، له اثني عشرألف باب يعني موضعا بالكوفة.[8]

الغريب إن القوم يتحرون تراث غيرهم ويتحينون بهم الفرص حتى يوقعوا بهم، حبذا لو كانوا يتصفحون كتبهم ويقرأون ما فيها كان الأمرأهون، ونحن بذلك نضرب لهم مثلاً، رواه ابن كثيربقوله: إن أبا موسى لما افتتح أصبهان وجد حائطاً من حيطان المدينة قد سقط فبناه فسقط ثم بناه فسقط فقيل له إن تحته رجلاً صالحاً فحفرالأساس فوجد فيه رجلاً قائماً معه سيف فيه مكتوب أنا الحارث بن مضاض نقمت على أصحاب الأخدود

---

١. المزي: تهذيب الكمال ٤٢٣/٢٢

٢. ابن حبان: الثقاة ٢٨٢/٥

٣. ابن حبان: الثقاة ٣٠٣/٧

٤. الدارمي: سنن ٩٩/١

٥. المزي: تهذيب الكمال ١٠٢/٣٠

٦. المزي: تهذيب الكمال ٤٢٣/٢٢

٧. القصص/٨٥

٨. الحسن بن سليمان الحلي: مختصربصائرالدرجات/٢٠١٠

فاستخرجه أبو موسى وبنى الحائط فثبت " قلت " هو الحارث بن مضاض بن عمرو بن مضاض بن عمرو الجرهمي أحد ملوك جرهم الذين ولوا أمر الكعبة بعد ولد ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم وولد الحارث هذا هو عمرو بن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم إلى اليمن وهو القائل في شعره الذي قال ابن هشام إنه أول شعر قالته العرب:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر

وهذا يقتضي أن هذه القصة كانت قديماً بعد زمان إسماعيل عليه السلام بقرب من خمسمائة سنة أو نحوها وما ذكره ابن إسحاق يقتضي أن قصتهم كانت في زمان الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما من الله السلام وهو أشبه والله أعلم وقد يحتمل أن ذلك قد وقع في العالم كثيراً.[1]

الإمام المهدي المنتظر(اللهم عجل ظهوره)

تعود فكرة وجوده إلى حقب تاريخية موغلة في القدم بدليل بشارة النبي إبراهيم الخليل عليه السلام به عندما أوحى الله، عزوجل، إليه فقال: إني مكثر ولدك، حتى يكونوا عدد النجوم، وجاعل فيهم الملك الباقي مدى الدهر، حتى لا يدري أحد ما عددهم[2] يبدو من الرواية وضوح حقيقة الإمام الحجة (عجل الله ظهوره) ولهذا نسل النبي إبراهيم عليه السلام لا يحصى، ولا تكاد بقعة من بقاع الأرض إلا وفيها منه وجود.

وبشر به النبي محمد صلى الله عليه وآله في أحاديث كثيرة، تنوع في طرق روايتها، من أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله بحيث أقتصرناها على ثلاث صحابة هم أبي سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، وأبي هريرة، ومن أحاديثهم:

الأول: رواه أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال " يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع الزمان وظهور الفتن يكون عطاؤه حثيا "[3] وما يظهر إلا عندما تملأ الأرض جوراً

---

١. ابن كثير: تفسير٤/٥٢٩

٢. اليعقوبي: تاريخ ١/٢٤ .

٣. ابن أبي شيبة: المصنف ٨/٦٧٨

وظلماً، يملك سبعاً أو تسعاً فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً [1] ومن ذلك الظلم، بلاء يصيب الأمة، حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه، فيبعثه الله، يرضى عنه ساكن السماء و الأرض، لا تدع السماء من قطرها شيئاً إلا صبته مدرارا، ولا تدع الأرض من مائها شيئاً إلا أخرجته، حتى تتمنى الأحياء الأموات.[2]

الثاني: قال عبد الله بن مسعود: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل فتية من بني هاشم، فلما رآهم اغرورقت عيناه وتغير لونه، فقلت له: ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه؟ قال: إنا اهل البيت اختار لنا الله الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً، حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود يسألون الحق فلا يعطونه، فيقاتلون فيضرون فيعطون ما سألوا، فلا يقبلونه حتى يدفعوا إلى رجل من أهل بيتي، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم.[3]

الثالث: رواه أبي هريرة عن النبي ﷺ " قال لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من أهل بيتي فيضربهم حتى يرجعوا إلى الحق ".[4]

ومهما طال الزمان خروج المهدي مؤكد لا يقبل الشك، لقول النبي محمد ﷺ " لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي بواطئ اسمه اسمي [5] هذه الشواهد منقولة عن النبي محمد ﷺ في كتب العامة المعتبرة.

ولم يقتصر الأمر عليه، بل بشر به أمير المؤمنين عليه السلام بعد انصرافه من معركة المارقين سنة ٣٩هـ قال رجل والله لا يخرج بعد اليوم خارجي حروري أبداً فقال الإمام عليه السلام مه لا تقل هذا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء ولا يزالون يخرجون حتى تخرج طائفة منهم بين نهرين فيخرج إليهم رجل من ولدي فيقتلهم فلا يعودون أبداً.[6]

فإن قيل: ومن هذا الرجل الموعود به الذي قال عنه النبي محمد ﷺ: " بأبي ابن خيرة

---

١. ابن حنبل: مسند ٣/٧٠، أبو يعلى: المسند ٢/٢٧٥

٢. عبد الرزاق: المصنف ١١/٣٧١

٣. ابن أبي شيبة: المصنف ٨/٦٩٧

٤. أبو يعلى: المسند ١٢/١٩

٥. خيثمة: حديث خيثمة / ١٩٢، ابن بلبان: صحيح ابن حبان ١٣/٢٨٤

٦. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٨/٢٦٩

الاماء"؟[1] قال ابن أبي الحديد: يزعم الامامية أنه إمامهم الثاني عشر، وأنه ابن أمة اسمها نرجس، وأما أصحابنا فيزعمون أنه فاطمي يولد في مستقبل الزمان، لام ولد، وليس بموجود الآن، فإن قيل: فمن يكون من بني أمية في ذلك الوقت موجوداً، حتى يقول عليه السلام في أمرهم ما قال من انتقام هذا الرجل منهم، حتى يودوا لو أن علياً عليه السلام، كان المتولي لأمرهم عوضاً عنه؟ قيل: أما الامامية فيقولون بالرجعة، ويزعمون أنه سيعاد قوم بأعيانهم من بني أمية وغيرهم، إذا ظهر إمامهم المنتظر، وأنه يقطع أيدى أقوام وأرجلهم، ويسمل عيون بعضهم، ويصلب قوماً آخرين، وينتقم من أعداء آل محمد عليهم السلام المتقدمين والمتأخرين، وأما أصحابنا فيزعمون أنه سيخلق الله تعالى في آخر الزمان رجلاً من ولد فاطمة عليها السلام ليس موجود الآن، وأنه يملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وينتقم من الظالمين وينكل بهم أشد النكال، وأنه لام ولد، كما قد ورد في هذا الأثر وفي غيره من الآثار، وأن، اسمه محمد، كاسم النبي صلى الله عليه وآله وأنه إنما يظهر بعد أن يستولى على كثير من الإسلام ملك من أعقاب بني أمية، وهو السفياني الموعود به في الخبر الصحيح، من ولد أبى سفيان بن حرب بن أمية، وأن الإمام الفاطمي يقتله ويقتل أشياعه من بني أمية وغيرهم، وحينئذ ينزل المسيح عليه السلام من السماء، وتبدو أشراط الساعة، وتظهر دابة الأرض، ويبطل التكليف، ويتحقق قيام الأجساد عند نفخ الصور، كما نطق به الكتاب العزيز، فإن قيل: فإنكم قلتم فيما تقدم: إن الوعد إنما هو بالسفاح وبعمه عبد الله بن على، والمسودة، وما قلتموه الآن مختلف لذلك ! قيل: إن ذلك التفسير هو تفسير ما ذكره الرضى رحمه الله تعالى من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في " نهج البلاغة " وهذا التفسير هو تفسير الزيادة التى لم يذكرها الرضى، وهى قوله بأبى ابن خيرة الاماء، وقوله: " لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا " فلا مناقضة بين التفسيرين.[2]

أمه نوبية طيبة الفم، المنتجبة الرحم، ويلهم لعن الله الاعيبس وذريته، صاحب الفتنة، ويقتلهم سنين وشهوراً وأياماً يسومهم خسفاً ويسقيهم كأساً مصبرة، وهو الطريد الشريد الموتور بأبيه وجده صاحب الغيبة، يقال: مات أو هلك، أي واد سلك؟ قاله الإمام الرضا عليه السلام.[3]

---

١. الكليني: الكافي ٣٢٣/١

٢. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٥٩/٧

٣. الكليني: الكافي ٣٢٣/١

وعلى الرغم من الأدلة التي قدمناها أنكر ابن كثير ذلك فقال: المنتظر بسرداب سامراء، وهو محمد بن الحسن العسكري، فيما يزعمون وما يعتقدونه بسرداب سامراء فذاك هوس في الرؤوس، وهذيان في النفوس، لا حقيقة له، ولا عين ولا اثر[1] وكذلك قال: وليس هذا بالمنتظر الذي تتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامراء فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية بل هو من هوس العقول السخيفة وتوهم الخيالات الضعيفة.[2]

وأنكره الذهبي بقوله: المنتظر الشريف، أبو القاسم، محمد بن الحسن العسكري هو الذي يزعمون انه الخلف الحجة، وانه صاحب الزمان، وانه حي لا يموت، حتى يخرج، وهم في انتظاره من أربع مائة وسبعين سنة، ومن أحالك على غائب لم ينصفك، فكيف بمن أحال على مستحيل ؟! والإنصاف عزيز، فنعوذ بالله من الجهل والهوى.[3]

ولهذا ليس من شأننا الرد على هكذا معتقدات، وإنما نترك الأمر للروايات هي تفصح عن معناها، وللقارئ أن يمايز الجيد من الرديء، علماً إن الأحاديث التي عرضناها موجودة في كتب العامة المعتبرة، وممن يعتقدون بصحتها، ولا ادري هل إن كلام شيخ الحنابل احمد بن حنبل الذي أشار إلى ذلك أوثق، أم كلام الذهبي وابن كثير؟.

وقال السمعاني: وينتظرون الشيعة الإمام الذي يخرج في آخر الزمان، وقد اختلفوا في الإمام المنتظر فالكيسانية تزعم أنه محمد بن الحنفية وأنه بجبل رضوي[4] وقالت طائفة منهم: إنه توفي ويعود إلى الدنيا ويبعث معه الأموات ثم يموتون ثم يبعثون يوم القيامة، وطائفة تقول: إنه موسى بن جعفر، وطائفة تقول: إنه إسماعيل أخوه، وأخرى تقول: إنه محمد بن الحسن بن علي الذي بمشهد سامراء، وعلى هذه الطائفة يطلق الآن الإمامية، واختلاف المنتظرية في المنتظر كثير، ثم إنهم في انتظارهم الإمام الذي انتظروه مختلفون اختلافاً يلوح عليه حمق بليغ، وذلك أن أكثر الكيسانية ينتظرون محمد بن الحنفية ويزعمون أنه في جبل رضوي بين أسد ونمر يحفظانه وعنده عينان إحداهما من الماء والأخرى من العسل.[5]

---

١. البداية ١/١٧٧ .

٢. ابن كثير: تفسير ٢/٣٤

٣. سير ١٣/١١٩ .

٤. هو جبل بالمدينة . ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣/٥١

٥. السمعاني: الأنساب ١/٢٠٦

هـذه الـتهم الموجهـة للشـيعة حملـت الشـاعر مهـدي الطالقـاني الـنجفي، ت ١٣٤٣هـ ١٩٢٤م فقال:

أتخالُ حيثُ بدا الصدى إنساناً لم تدرِ أنَ لكل صوْتٍ شانا
لا تحلفنْ بزخارفِ الرجس الذي سكرانَ يهذي يقمر السكرانا
فهلمَّ واعجبْ من مقالته التي فيها أعابَ الشيعةَ الغُرَانا
إذ قالَ غيرُ مُراقبٍ لله بل أبدى وأعلنَ غيَّه طغيانا
ما آن للسرداب أن يلد الذي صيَرتموه بزعمكُم إنسانا
فعلى عُقولكم العفاءُ فإنكُمَ ثلثَتم العنقاءَ والغيلانا
يُزري بمُزنٍ لم يُروِّض صوبه أرضُ الصباح وإن جرى هتّانا
ولحى الأُلى دانُوا برجعِهِ أصيدِ نصَّ الرسول برجعه سُلطانا[1]

١. ديوانه، القصيدة النونية، الأبيات ١– ٨

تأسيس الغياب المهدوي و ظهوره في ضوء الخطاب القرآني؛ قراءة في الدلالة الرمزية

الدكتور محمد جعفر العارضي[1]

الملخص

يؤسِّس البحث لمسألة فكرية مهمَّة يقرأها قراءة رمزية هي محور العلاقة بين ظاهرة " فترة الوحي " الإسلامي و آثارها في حيثيات السيرة النبوية العاطرة من جهة، و العلاقة الرمزية لهذه الظاهرة بفكرة الغيبة المهدوية من جهة ثانية، من خلال التعاطي مع روح هذه العلاقة بما يمثِّل من تمهيد لغياب آخر يُستشرف على نحو رمزي يتجلَّى في غياب الإمام المهدي عليه السلام.

و يؤسس أيضًا للعلاقة بين عناصر القسم القرآني و ما كانت عليه ثنائية الضياء و الظلمة في سورتي " الضحى " و " الشمس " المباركتين و ارتباط ذلك بمفهوم " الشمس " بلحاظ رمزي إشاري، و تجليات ذلك في ضوء إنتاج " نفس " مختلفة تتعاطى مع ذلك لتنتج حياة كونية مختلفة، بتخطيها لحالة الغياب و إسلامها لحالة الظهور. و هذا ما يجد مصادقه الأسمى في الفكرة المهدوية و نهضتها الإصلاحية الكبرى.

معنى ذلك أنَنا أمام قراءة فكرية تتوخَّى التوظيف الكوني، و المخرجات الرمزية، و كيفية توظيفها، و استثمارها لخلق معالجات معارفية كبرى تقرأ فكرة الغياب قراءة رمزية بوصفها

---

١. جامعة القادسية كلية الآداب، العراق.

فكرة، و هدفًا، و أداة تديم مسيرة السيرة الإسلامية، من خلال أشاعه توظيف العناصر الكونية في إطار المنظومة الدلالية الإيحائية الكبرى؛ وصولا إلى التأسيس القرآني الإيحائي لقضية غياب الإمام، إلى الحد الذي يخيل إليَّ أنَّ " فترة الوحي " لم تكن مرادة لذاتها و إنَّما كانت لغرض التأسيس لقضية الغياب المستقبلي للإمام عليه السلام، و ما يترتَّب عليه من لازم الظهور؛ لنشر العدل و الخير.

و كان هذا رمزًا بدا في مصداق آخر تجلَّى في ثنائية الضياء و الظلمة التي تمحورت حولها سورة " الشمس " المباركة، التي جاءت متمظهرة في القسم القرآني أيضًا، و ما تمثِّله " الشمس " من آفاق رمزية و روحية ترتبط بالحياة من جهة، و بصناعة " نفس " تنهض بمشروع السماء في الأرض، و تكون أداة تحقيق هذا المشروع النهضوي الإنساني العام من جهة أخرى؛ ذلك بأنَّنا أمام إنتاج إنساني تمثَّل مشروع النهضة الخاصَّة، فصار مؤهَّلًا أن يقوم مقام الأمة فيستخلص همومها و عذاباتها فيصلح واقعها بفعله اليومي، و فعله الفكري، و فعله الموقفي المفصلي الذي تفرضه اعتبارات المرحلة، و ما يصطَّك فيها من صراعات و نزعات تروم الجنوح عن الجادة أو جنحت فعلًا. فهو وحده القادر على ممارسة التغيير ممارسة خلَّاقة تنتج الحياة و تخلِّد الموت موقفًا نبيلًا من أجل الحياة حياة الآخرين الحرَّة (المشرقة) الكريمة الأبية التي لا يقاوم إباءها و تحديها الباطل و الظلام. و من هنا تأتي الذات التي تصنع المجد و التأريخ و النفع للعباد و البلاد، و تجعل ذلك متاحًا على نحو يومي، فهي لا تقتصر في خطابها على إنسان يصنع التأريخ صنعًا مرحليًّا... إنسان يصنع التأريخ بفعله اليومي بل الساعاتي كما الشمس فهي فاعلة في الحياة يوميًّا. و هذا ما يستلزم إنسانًا يتمادُّ عمره، و يعيش الحياة على نحو من الغياب و الظهور و التطلُّع إلى الظهور في كل آن. هكذا تكون سورة الشمس المباركة قد أشارت إلى القضية المهدوية إشارة وظَّفت العناصر الكونية و ارتباطها بالحياة بمظاهرها المادية و الروحية.

الكلمات المفتاحية:

التأسيس القرآني؛ الغياب المهدوي؛ الظهور المهدوي؛ الدلالة الرمزية؛ سورة الضُّحَى؛ سورة الشَّمس؛ الاستشراف الدلالي.

المقدِمة

لم أشأ في البحث أن أقف على الآيات القرآنية المباركة التي أشتهر أنّها في قضية الإمام المهدي عليه‌السلام، بل اخترت أن أقف على ما يمكن أن يكون مسكوتًا عنه في النظر إلى هذه القضية بلحاظها القرآني من طريق الدلالة الإيحائية و الرمزية؛ ذلك بأنَّ البحث ينصرف إلى التعاطي مع توظيفات لسانية قرآنية مخصوصة في ضوء المعطيات الدلالية الرمزية التي أنتج النظر فيها مقولات مهدوية بلحاظ التأسيس و الظهور، و ينصرف أيضًا إلى التعاطي مع ظواهر قرآنية خارجية؛ ليصل إلى دمج دلالاتها الرمزية بالقضية المهدوية. و من هنا تأتي أهمية هذا البحث المرتبطة بإضافته أدلّة قرآنية جديدة تصدق أن تكون في مصاف الدوالِّ اللسانية المؤكّدة على حقيقة الوجود المهدوي غيابًا و ظهورًا.

و كانت الدوالُّ الرامزة التي يشتغل عليها البحث ذات ارتباط بالوحي مرَّة، و بالعناصر الكونية مرَّة أخرى. و هذا ما قاد إلى أن يقوم البحث على فقرتين هما: الأولى " الدلالة الرمزية لفتور الوحي في ضوء ثنائية الغياب و الظهور "، و الثانية " الشمس و النفس في ضوء ثنائية الغياب و الظهور ". مع إشارة إلى " الإمام المهدي عليه‌السلام و ضرورة غيبته " في فقرة تمهيدية.

و لا يخفى أنّني اعتمدت في قراءة هاتين الفقرتين التحليليتين مجموعة من الرؤى الرمزية التي تنفتح على القضية الكبرى في الفكر الإنساني عامَّة، و الفكر الإسلامي خاصَّة متمثِّلة بالاعتقاد بالمصلح الغائب الذي ينبغي أن يظهر يومًا؛ ليعمل على نشر الفضيلة و الصلاح، معتمدًا التحليل الدلالي الرمزي الذي يجنح نحو ضرورة تمثُّل الظهور المهدوي في النسق القرآني إن ظاهرًا و إن رمزًا، من خلال استدعاء بعض عناصر الظاهرة القرآنية، و قراءتها في ضوء المعطيات المهدوية.

على أنّني لست أغالي إذا ما قلت إنَّ القضية المهدوية أراها تمتزج بالمعطيات القرآنية كلِّها على نحو من الرمز. و مصداق هذا ما تجلَّى في سورتي " الضُّحَى " و " الشَّمس " المباركتين، و لا سيما ما يتَّصل برمزية " فتور الوحي "، و منظومة القسم القرآني الكوني.

يظهر أنّنا هنا أمام معالجة رمزية إيحائية تفتح الباب أمام التخييل، وظَّف لها سياق سورتي " الضُّحَى " و " الشَّمس " المباركتين ظاهرة كونية مألوفة، و مجموعة من الإمكانات

النصية التي تتمتع بخلق انفتاح النص على طائفة من الرؤى و الدلالات ذات المتطلبات الموضوعية و الروحية؛ ما جعل حالة الانقطاع و الإبطاء و الغياب مألوفة، و متَّسمة بالانفتاح و الاستشراف، و التأسيس لواحدة من أهم عقائد الدين الإسلامي تلكم هي " الإمامة " إن حضورًا و إن غيابًا.

١. ضرورة غيبة الإمام المهدي عليه‌السلام و عناصر التأييد

الإمام المهدي محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ولد في الخامس عشر من شعبان سنة ٢٥٥ ه. و هذا الإمام عليه‌السلام حقيقة تاريخية،[١] و ضرورة يقتضيها التكامل الإنساني، و إظهار الدين.

و كانت للإمام عليه‌السلام غيبتان احتجب فيهما عن الناس، غيبة صغرى دامت أربعة و سبعين عامًا، و غيبة كبرى بدأت سنة ٣٢٩ه [٢] نعيش بركاتها، و ننظر ظهوره عليه‌السلام.

و لهاتين الغيبتين عواملهما و أسبابهما الموضوعية المرتبطة بظروف الملاحقة و محاولات الفتك التي كانت تعمل عليه السلطة آنذاك [٣]، فضلًا عن المقتضيات العقائدية [٤] التي تستلزمها. و مما لا شكَّ فيه ((أنَّ الغيبة بعامَّة تخطيط استراتيجي لتنفيذ قيام دولة العدل الإلهي المستقبلية، و تمهيد لتحقيق مشروع خلافة المستضعفين في الأرض، بجعل الله تعالى لهم أئمة و جعلهم الوارثين)) [٥]. و هذا مصداق لقوله تعالى: { وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} [٦].

---

١. ينظر. الإمام المهدي المنتظر عجَّل الله فرجه نُصب عينيك كأنَّك تراه، د. محمد حسين علي الصغير، ط ١، مؤسسة البلاغ للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ٢٠٠٩، ص ١٨.

٢. ينظر. الإمام المهدي المنتظر عجَّل الله فرجه نُصب عينيك كأنَّك تراه، ص ٤٣، ص ٨٥.

٣. ينظر. الإمام المهدي و الظواهر القرآنية – دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية و تقارنها مع حركة الإمام المهدي عليه السلام، محمد السند، ط ١، مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، مطبعة زيتون، النجف الأشرف ١٤٣١ ه، ص ٢٦ – ٣٣.

٤. ينظر. الإمام المهدي المنتظر عجَّل الله فرجه نُصب عينيك كأنَّك تراه، ص ٤١ – ٤٥.

٥. الإمام المهدي المنتظر عجَّل الله فرجه نُصب عينيك كأنَّك تراه، ص ٤١.

٦. القصص: ٥.

مع لحاظ أنَّ الخفاء و الغيبة لا يتنافيان مع كمال حجّية الإمام عليه السلام فهما من السنن التاريخية ذات الارتباط بمسيرة الأنبياء و المصلحين [١]؛ ذلك بأنَّ الغيبة تأتي لتكون ((خطّة تدريجية لأحكام المشروع الإلهي في إقامة الدولة الكبرى حتَّى تمامية الشرائط بظهوره)) [٢] بلحاظ أنَّها لا تتنافى مع الوظائف الإصلاحية و مسؤولياتها و مهامِها [٣] التغييرية؛ فلا ينبغي أن يخطر ببال أنَّها ((انسحاب من ميدان العمل)) [٤]، بل هي ((تدبير و تكتيك من النشاط في السطح المعلن إلى النشاط الخفي كي يُسح له المجال بشكل أرحب و أوسع ليمارس أداء دوره)) [٥]. و هي حالة من حالات الاستعداد لقيادة شاملة تتوخَّى تغييرًا كونيًّا عامًّا يكون الإنسان فيه أداة و هدفًا؛ إذ إنَّها بطبيعة الحال في مفهومها العامِّ ((مفهوم حضاري قرآني يستعرضه لنا القرآن الكريم في المصلحين الإلهيين و الحجج الموعود ببعثهم لإنقاذ البشرية)) [٦].

و غير بعيد عن هذا ما كان قد شهدته الساحة النبوية من تدبير و تنظيم من دون لحاظ الهوية؛ فإنَّ غير واحد من الأنبياء عليهم السلام قد مارس حضورًا فعليًّا مؤثِّرًا في مجتمع ما مع غياب هويته النبوية، أو انسحابه النسبي عن واقع الإدراك الحسي. و اعتزاله [٧]؛ إذ إنَّ ((ستار الخفاء يعطي كمال الحيوية و كمال الحرية في الحركة و النشاط و القيام بأتمِّ ما يمكن من المسؤولية)) [٨]. و من ثَمَّ فإنَّ غيبة الإمام تمثِّل ضربًا من ((التدبير الإلهي الذي يوصله

---

١. ينظر. الإمام المهدي و الظواهر القرآنية – دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية و تقارنها مع حركة الإمام المهدي عليه السلام، ص ١٩ – ٢٦.
٢. الإمام المهدي المنتظر عجَّل الله فرجه نُصب عينيك كأنَّك تراه، ص ٨٨.
٣. ينظر. الإمام المهدي و الظواهر القرآنية – دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية و تقارنها مع حركة الإمام المهدي عليه السلام، ص ٨٣.
٤. الإمام المهدي المنتظر عجَّل الله فرجه نُصب عينيك كأنَّك تراه، ص ٨٧.
٥. الإمام المهدي و الظواهر القرآنية – دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية و تقارنها مع حركة الإمام المهدي عليه السلام، ص ٣٠٧ – ٣٠٨.
٦. ينظر. الإمام المهدي و الظواهر القرآنية – دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية و تقارنها مع حركة الإمام المهدي عليه السلام. ص ٣٥.
٧. ينظر. الإمام المهدي و الظواهر القرآنية – دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية و تقارنها مع حركة الإمام المهدي عليه السلام. ص ٤٣ – ٨٢، ٣٠٧.
٨. الإمام المهدي و الظواهر القرآنية – دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية و تقارنها مع حركة الإمام المهدي عليه السلام، ص ٤٥.

درجة فدرجة إلى منصَّة الظهور)) [1] فالشهود. معنى هذا أنَّ الإمام عليه السلام ينعقد بينه و بين الأنبياء عليهم السلام شبه كبير في بلورة الفكر الإنساني في طريق التغيير [2] و الإصلاح؛ ليكون ذلك في نسق من متطلبات تنفيذ البرامج الإلهية متصل.

و من الضرورة بمكان تأكيد أنَّ الإمام المهدي عليه السلام ليس فكرة مجرَّدة، أو أملًا يداعب المشاعر المسلمة، فيستريح عنده المسلمون من حالات توتُّرهم النفسي ـ عندما تتكالب عليهم المحن، بل المهدي إنسان حي يعيش مع الناس و يشهد همومهم و آلامهم، و يترقَّب مثلهم اليوم الموعود. غير أنَّ حركة التاريخ و متطلبات التغيير الحضاري الشامل هي ما دعت إلى أن يكون غائبًا ذا عمر طويل؛ ذلك بأنَّ هذا العمر المتماد، و الانتظار الطويل يتطلَّبه الدور التاريخي الفريد الذي ينتظر هذا الإمام، فينبغي أن يكون مسلَّحًا بشعوره النفسي الكبير، متوغِّلًا في التاريخ كي تتيسَّر له فرصة هذا التغيير الحضاري الشامل، و تصغر أمامه الكيانات و الحضارات [3].

أمَّا ظهوره فحتمية عقلية، فضلًا عن أنَّه ضرورة فلسفية؛ ذلك بأنَّه ممثِّل الفيض الإلهي الذي لا ينبغي أن ينقطع أو يتخلَّف عن عالم الإنسان، و لا سيما ما يتَّصل بانتشاله من الضلالة إلى الهدى [4].

٢. الدلالة الرمزية لفتور الوحي و الغياب المهدوي:

تتضمَّن سورة " الضُّحَى " المباركة إشارة إلى انقطاع الوحي و فتوره، و تتضمَّن أيضًا الدلالة الرمزية على مظاهر التكيُّف النبوي مع هذه الفترة من خلال توظيف عناصر الكون في المنظومة القسمية التي تحفل بها هذه السورة [5]؛ لإنتاج غرضها العالمي إنتاجًا رمزيًّا مكثَّفًا.

---

١. الإمام المهدي و الظواهر القرآنية – دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية و تقارنها مع حركة الإمام المهدي عليه السلام، ص ٧٤.

٢. ينظر. حياة الإمام المنتظر المصلح الأعظم – دراسة و تحليل، باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، ط ١، دار جواد الأئمَّة، بيروت ٢٠٠٨، ص ١٧.

٣. ينظر. بحوث في الإمام المهدي، محمد باقر الصدر، تحقيق: د. عبد الجبَّار شرارة، ط ١، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم ١٩٩٦، ص ٣٦ – ٣٩، ٥٩ – ٨٧.

٤. ينظر. حياة الإمام المنتظر المصلح الأعظم – دراسة و تحليل، ص ١٤ – ١٥.

٥. ينظر. التفاعلية المعارفية بين مهيمنة فترة الوحي و السيرة النبوية – مقاربة سياقية في سورة الضحى المباركة، د. محمد

يُروى أنَّ الوحي القرآني قد انقطع عنه صلَّى الله عليه و آله و سلَّم بعد نزول أوائل سورة " العلق " المباركة ثلاث سنوات [1]، هي " فترة الوحي " [2]، التي استمرَّت أيامًا [3] بين اثنين إلى أربعين [4]، ما كان منه صلَّى الله عليه و آله و سلَم غير أن يلازمه في هذه الفترة حزن شديد [5]. و كانت سورة " الضُّحَى " المباركة هي ما نزل به الروح الأمين بعد واحدة من هذه الفترات الوحي [6].

و من اللازم أن أذكر أنَّ هذا الانقطاع يقوم دليلًا على إلهية الخطاب القرآني؛ فيكون من الردود [7] الواقعية [8] على مقولات بشرية [9] الظاهرة القرآنية؛ ذلك بأنَّ هذا الوحي لو كان من نفسه صلَّى الله عليه و آله و سلَّم، أو علَّمه إياه أحد لما انقطع عنه و هو يريده و يعيش حالة الألم لفراقه و الشوق إليه [10].

تعالج هذه السورة المباركة ظاهرة " فتور الوحي " بتوظيف القسم، و اللفت إلى الظاهرة

جعفر العارضي، ضمن كتاب نظرية السياق بين التوصيف و التأصيل و الإجراء، تحرير: د. محمد عبد العزيز عبد الدايم، د. عرفات فيصل المنّاع، سلسلة لأن، ط ١، مؤسسة السياب للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة، لندن ٢٠١٥، ص ٢١٦ – ٢٢٢.

١. ينظر. مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط ٥، بيروت ١٩٦٨، ص ٣٦.

٢. ينظر. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي و شركاؤه، ط ١، مصر ١٩٨٨. ص ١ / ٢٠٦.

٣. ينظر. الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، ص ٤ / ٢٦٣.

٤. ينظر. مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الدين أبو علي الفضل الطبرسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٧٩، ٥ / ٥٠٤.

٥. ينظر. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ط ١، مؤسسة البعثة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ١٤١٣ هـ، ص ٢٠ / ٢٥١.

٦. ينظر. الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص ٤ / ٢٦٣.

٧. هنالك ردود متنوعة يذكرها الدارسون. ينظر. علوم القرآن – دروس منهجية، السيد رياض الحكيم، ط ٢، دار الهلال، النجف الأشرف ٢٠٠٤، ص ٧٩ – ٩٥.

٨. ينظر. التفاعلية المعارفية بين مهيمنة فترة الوحي و السيرة النبوية – مقاربة سياقية في سورة الضحى المباركة، ص ٢١٥.

٩. هذه من شبهات المستشرقين التي تصدى العلماء لردِّها. ينظر. علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، ط ١، مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي، النجف الأشرف ٢٠٠٥، ص ١٧٦ – ١٩٠.

١٠. ينظر. من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي، ط ٢، مكتبة العلامة محمد تقي المدرِّسي، ص ١٨ / ١٦٨، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط ٣، دار الفكر، بيروت ١٩٦٨، ص ١٤٧.

الطبيعية الكونية المتمثِّلة بتعاقب الليل و النهار، و انتظام حركتهما، و تواليهما من دون أن يُحدث هذا اضطرابًا في النظام الكوني، و اختلالًا في حركته من جهة، و الحياة الإنسانية المرتبطة بهذا النظام من جهة ثانية، إذ تحرص السورة المباركة حرصًا شديدًا على إخبار الرسول الأكرم صلَّى الله عليه و آله و سلَّم أنَّ ما يحدث من " فترة الوحي " و رجوعه يمثِّلان ظاهرة طبيعية [1] أيضًا، ينبغي التعاطي معها على نحو من الاطمئنان [2] كبير. يقول تعالى: { وَ الضُّحَى *وَ اللَّيْلِ إِذَا سَجَى *مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلَى} [3]. و هنا ((يُقسم الله سبحانه بهذين الآنين الرائقين الموحيين. فيربط بين ظواهر الكون و مشاعر النفس. و يوحي إلى القلب البشري بالحياة الشاعرة المتجاوبة مع هذا الوجود الجميل الحي، المتعاطف مع كل حي)) [4]. و من الملاحظ أنَّه ((تظهر الموافقة الدلالية و الإيحائية التعبيرية أولًا في هذا القسم بين المقسَم به (الضُّحَى)، و (اللَّيْلِ إِذَا سَجَى) و المقسَم عليه (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)؛ فتخلق السورة المباركة بهذه الموافقة ترابطًا حسيًّا بين القسم و جوابه)) [5]؛ لغرض خلق حالة من حالات خطاب الذات بما يبعث على التأمُّل، و إعادة إنتاج هذه الظاهرة الكونية فكريًّا، بما ينسجم مع أدوات التحوُّل الحياتي المستشرِف لما يأتي من مراحل المسيرة الرسالية. بمعنى أنَّنا أمام دعوة للذات لاستلهام ما يمكن استلهامه من الدمج بين " فتور الوحي " و الظاهرة الطبيعية التعاقبية من جهة، و الاستعداد لاستدعاء هذا الدمج التطميني و قراءة ما سيحدث مستقبلًا في ضوئه من جهة ثانية.

يظهر أنَّ القسم في سورة " الضُّحى " المباركة يأتي ليُمثِّل منظومة متماسكة تكون مصداقًا و ميدانًا لملاحظة عناصر الحوار المتفاعل بين السماء و الأرض، من خلال صياغة الخاصَّة القرآنية في هذا السياق على نحو متفرِّد يحقق معطيات حدث " فتور الوحي " و الأثر المبتغى من توظيفه توظيفًا سياقيًّا قرآنيًّا ينفتح على مظاهر حياتية و فكرية متنوعة.

---

١. ينظر. التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن، ط ٢، دار المعارف، مصر ١٩٦٩. ص ١ / ٢٠.
٢. ينظر. التفاعلية المعارفية بين مهيمنة فترة الوحي و السيرة النبوية – مقاربة سياقية في سورة الضحى المباركة، ص ٢١٧.
٣. الضحى: ١ – ٣.
٤. في ظلال القرآن، سيد قطب، ط ١١، دار الشروق، بيروت، ص ٨ / ٥٦.
٥. التفاعلية المعارفية بين مهيمنة فترة الوحي و السيرة النبوية – مقاربة سياقية في سورة الضحى المباركة، ص ٢١٧.

و من أهمِّ هذه المظاهر في هذا السياق مسألة انفتاح ذلك على امتداد الخط النبوي، و لفت الانتباه إلى أنَّ هذا الامتداد قد يكون مألوفًا ظاهرًا، و قد يتجلَّى في حالة الغياب من خلال آثاره الوجدانية و العقائدية بلحاظ انتظار الخلاص به، و ما يخلقه غيابه من حالة التفاؤل بضرورة تحقق الإصلاح. و يكون ذلك على نحو من البشرى، و تأكيد الانتفاع من الغياب[1]، و تأثير ذلك في الإشارة إلى استقرار الحياة بلحاظ دمج ثنائية القسم النهاري الليلي[2].

و يمكن النظر في انقطاع الوحي أو غيابه المرحلي على أساس من أنَّه تمهيد لانتظار غياب آخر يكون في مستقبل الأيام، أو توقُّع غياب مرحلي أيضًا يدخل في صلب تركيب العملية الرسالية و العقدية. بمعنى أنَّ هذا الانقطاع يؤسِّس لحالة كبرى و مهمَّة، و يريد أن يؤكِّد قضية مفادها أنَّ الغياب بوصفه ظاهرة سيكون مظهرًا أصيلًا و رئيسًا من مظاهر العقيدة و مسيرة التغيير و الإصلاح. مع لحاظ أنَّ الغياب بحد ذاته ((يحقق حالة من المران و التفكُّر))[3]، و الرغبة في كنه أسرار الغياب فضلًا عن الغائب. ناهيك عن أنَّه يستلزم انتظارًا بما يشبه المشاركة في إنتاج الظهور على نحو الاعتقاد به مرَّة، و الترويج و التمهيد له مرَّة أخرى.

تظلُّ في هذا السياق إشارة (الضُّحَى) إلى رسالة النبي الخاتم صلَّى الله عليه و آله و سلَّم تأتي بلحاظ مضامينها الإنسانية الخالدة التي هي مضامين تتناغم مع المعطيات الحياتية. أمَّا ما يتصل بمفهوم (اللَّيل) فهو ظرف موحش عندما يدلُّ على انقطاع مصدر الهدى، و مظهره الأرضي من جهة، و قد يدلُّ على ابتعاد البشرية من مسلمين، و غير مسلمين عن روح الهدي النبوي، و جوهر الدين الإلهي الحق، و انشغالهم بفهم بشري للدين قد يكون مشوَّهًا من جهة أخرى. و من الضروري تأكيد أنَّ هذه الإشارة هي ما يتناسب مع معطيات التحليل الدلالي الموسَّع من جهة، و مع تقنيات التوظيف القرآني الساعي إلى خلق أجواء من الثراء الدلالي المرتبط بمعطيات التوسع الفكري، الذي ينظر في العملية اللغوية بلحاظ تداولي لا

---

١. ينظر. التفاعلية المعارفية بين مهيمنة فترة الوحي و السيرة النبوية – مقاربة سياقية في سورة الضحى المباركة، ص ٢٢٣.

٢. ينظر. الأقسام في القرآن الكريم – دراسة منبسطة حول الأقسام الواردة في الكتاب العزيز، جعفر السبحاني، ط ١، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، إيران ١٤٢٠ ه، ص ١٧٦.

٣. التفاعلية المعارفية بين مهيمنة فترة الوحي و السيرة النبوية – مقاربة سياقية في سورة الضحى المباركة، ص ٢١٧.

ينفصل عن الحدث المجتمعي، و إنتاجه بما يحقق تمهيدًا لسانيًا مطلوبًا لقضية الإسلام الكبرى، تتكفَّل به اللسانية القرآنية في أطوارها الأولى. و لمَّا وظَّف العناصر الطبيعية السماوية للدلالة على المعادل الأرضي يشير إلى الانتقال من الحالة الفردية إلى الحالة الجماعية ذات الأفق العالمي؛ إذ تظهر ((آفاق التفاعل مع الآخر الإنساني على نحو حياتي. من دون أن يغيب تفاعلها الكوني، و أثرها في إنتاج التكامل الإنساني)) [1].

و من هنا ألحظ القضية الكبرى التي أحسب أنَّها الهدف المغزوي المستقبلي الذي أرادته سورة " الضُّحى " المباركة متمثِّلا بغياب ممثِّل الفكر النبوي؛ فوظَّفت له الحدث الآني متمثِّلا بانقطاع الوحي عن الرسول الأكرم صلَّى الله عليه و آله و سلَّم. و كان ذلك ضربًا من تحضير النفوس لمثل هذا الغياب وصولًا إلى الإيمان به و التمهيد لظهوره، على مستوى المستقبل البشري، في السعي إلى التغيير من خلال ظهور ما كان غائبًا. و من جهة أخرى يكون هذا توثيقًا قرآنيًا لحدث بحجم حدث الغياب المهدوي و ظهوره. و لأنَّه ضرورة من ضرورات الدين قرنه الخطاب القرآني رمزًا بالوحي و فتوره في أوائل الدعوة إلى الدين.

٣. الشمس و النفس في ضوء ثنائية الغياب و الظهور:

يأتي القسم القرآني في سورة " الشَّمس " المباركة ليتضمَّن مجموعة من الإشارات و الرموز؛ إذ يمثِّل القسم في سياق هذه السورة المباركة نسقًا دلاليًا مكثَّفا و متراكبًا. و اللافت أنَّ سورة " الشَّمْس " المباركة قد امتلأت بالقسم، و هيمن على نسقها. يقول تعالى: { وَ الشَّمسِ وَ ضُحَاهَا * وَ القَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَ النَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَ السَّمَاءِ وَ مَا بَنَاهَا * وَ الأَرضِ وَ مَا طَحَاهَا * وَ نَفسٍ وَ مَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا} [2].

و يظهر واضحا أنَّ القسم في هذا السياق كان بعناصر بصرية؛ ما يخلق صورة حركية ذهنية محسوسة. مع لحاظ أنَّ السياق يتحوَّل بهذه العناصر الطبيعية إلى عناصر معنوية. بمعنى أنَّ القسم يكسبها بعدًا روحيًا، و يجعل منها قابلة للترميز و الإيحاء.

يبدو أنَّ القسم بهذه العناصر بلحاظ وجودها الكوني النظامي. و بلحاظ إحالتها إلى

---

١. التفاعلية المعارفية بين مهيمنة فترة الوحي و السيرة النبوية – مقاربة سياقية في سورة الضحى المباركة، ص ٢٢٢.

٢. الشمس: ١ – ٥.

الفعاليات الحياتية التي تتضمَّنها. و المقسِم بها عارف بها و بأسرارها محيط بدقائق أمورها؛ فهو خالقها من جهة. و هي دالَّة على أنَّ مصدر هذا الكلام و هذه المعرفة ليس بشريًّا. و هذا إعجاز و دعوة إلى التوحيد و الإيمان.

تتوزَّع السورة المباركة و هي سورة قَسَميَّة على قصرها بين عناصر الضياء و الظلمة المادية و المعنوية. و تنتظم في علاقات حميمية أو تسببية مع مضمون القسم في صدر السورة المباركة.

إنَّ هذه النفس يريدها القرآن الكريم أن تكون شمسًا تُضيء مسيرة الحياة الإنسانية، تتمثَّل فيها قيم الصلاح و الإصلاح و العلم و التسامح و الأمل و النظام و العدل، فالشَّمس في حركتها عادلة منتظمة. و هذه الشَّمس يريدها الخطاب القرآني للعالم، و هذه النفس للعالم أيضًا؛ ما يعني أنَّ الأرض لا يمكن أن تخلو من ممثِّل السماء فيها، حيث المصلح الذي يتمثَّل جوانب الحياة الاجتماعية، و الاقتصادية، و الإدارية؛ فتكون هذه السورة المباركة من السور التي تتكلَّم على قضية الإسلام الكبرى التي تتمثَّل في نشر العدل، و الإصلاح، و إزاحة الجور، و الظلم العالمي، و إحلال العدل العالمي الذي ينهل من العدل الإلهي. و هذا يقارب ما تعمل عليه الشمس في نشرها الضياء.

من هنا يظهر أنَّ هذه السورة المباركة ترمز- من بين ما ترمز إليه ـ إلى تلكم القضية الكبرى، و رسم ملامح الشخصية التي تنهض بأعباء التغيير و إقام العدل.

نحن أمام عناصر ضياء سماوية، و عناصر ظلمة أرضية يريد الخطاب القرآني أن يبدِّد الظلمة الأرضية، و يستبدل بها نورًا سماويًّا إلهيًّا تشرق الأرض كلُّها بنوره و تزدهر الحياة.

و اللافت أنَّ العناصر الضيائية النورية تتخذ من الشَّمس مركزًا لها تستمدُّ منه ضياءها. و كأنَّ هذا يشير إلى أنَّنا نتطلَّع إلى شخصية (شمسية) منقذة تختزل ـ و يجب أن يكون تطلُّعنا لمثل هذه الشخصية حسب - فيها كلُّ رغبات الإصلاح و التغيير، شخصية مركزية في مسيرة حياة الإنسانية على هذه الأرض التي بدأت مشرقة بالإنسان و أضحت مظلمة به، و ستعود به مشرقة إشراقة تؤهِّلها للإشراق الأخروي.

الشمس و الأرض و الإنسان هذا المثلث المعارفي المتصل إلى حدِّ الانفصال و المنفصل إلى حدِّ الاتصال. هذا المثلث الطيفي الذي هو في حقيقته مؤلَّف من أجزاء متقابلة مفارقة

لكنَّها متحدة متسقة متناسقة الأدوار و المراحل. تظهر الأرض و هي تتوق إلى الشمس، و الأرض تتوق إلى الإنسان (النفس).

الحياة التي يسعى إلى إنتاجها الخطاب القرآني حياة تفيض إشعاعا وهدى و رحمة ونفعا؛ فيتحوَّل الإنسان إلى مصدر إشعاع فكري في الحياة و الحبِّ و الشجاعة و الوفاء و التضحية، و تتحوَّل إلى محطَّة وحدة تتوحَّد عندها الإنسانية.

تتضمَّن السورة المباركة مشروع الصلاح و الإصلاح و تقدِم أدواته الفكرية؛ إذ تهيأت النفس لتكون جزءًا من مشروع السماء في الأرض، و لتكون أداة من أدوات تحقيق هذا المشروع النهضوي الإنساني العامِ بعد أن تمثَّل الإنسان مشروع النهضة الخاصَّة، فنهض بذاته و هذَّبها و درَّبها و زهَّدها بمجموع الممارسات الروحية و الرياضات الأخلاقية، و تلقِّي العلم النافع، و جعل العقل يتولَّى الزمام؛ فصار مؤهَّلًا أن يقوم مقام الأمَّة فيستخلص همومها و عذاباتها فيصلح واقعها بفعله اليومي، و فعله الفكري، و فعله الموقفي المفصلي الذي تفرضه اعتبارات المرحلة، و ما يصطكُّ فيها من صراعات و نزعات تروم الجنوح عن الجادَّة أو جنحت فعلًا.

و من الإشارة أنَّ السياق القرآني في هذه السورة المباركة ((أقسم هنا بشيء من العالم العلوي و العالم السفلي)) [1] من جهة، و جاء أيضًا القسم من جهة ثانية ((بما هو آلة التفكُّر في ذلك و هو النفس)) [2].

و على الرغم من أنَّ النفس في هذا السياق هي النفس التي ((أنشأها و أبدعها مستعدَّة لكمالاتها)) [3]، فإنَّ ذلك لا يمنع من أن تكون ذات إيحاء بنشرها الكمالات، و تبنيها لمشروع الصلاح و الإصلاح. و لا سيما أنَّ الله تعالى قد خصَّها بالقسم هنا. و هي تحتمل أن تكون ((إشارة إلى نفس معينة ذات أهمية)) [4].

---

١. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مكتبة و مطابع النهضة الحديثة، المملكة العربية السعودية، ص ٨/ ٤٧٨.
٢. البحر المحيط ٨/ ٤٧٨.
٣. تفسير أبي السعود، محمد بن محمد العمادي، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، ط ١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، ص ٦ / ٤٣٣.
٤. منَّة المنَّان في الدفاع عن القرآن، محمد الصدر، تحقيق: مؤسَّسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر، ط ١، دار و مكتبة البصائر للطباعة و النشر و التوزيع و الإعلام، بيروت ٢٠١٢، ص ٢ / ١٥٦.

و تأتي هنا مسألة كبرى هي أنَّ القسم في السياق القرآني يتحوَّل إلى مظهر من مظاهر الدعوة إلى التوحيد و تكريس هذا في النفس الإنسانية من خلال عرض مكنونات العالمين العلوي و السفلي و الحثِّ على التفكُّر فيهما وصولًا إلى الخالق العظيم لهذه العوالم و من ثم الوصول إلى التوحيد [1].

و لعلَّ القسم هنا جاء للدلالة على كثرة الانتفاع بالمقسم به [2]، و الشَّمس هنا هي التي تجلِّي الظلمة [3]. مع لحاظ ((أنَّه أقسم بالنهار في أكمل حالاته)) [4]. و الليل هو الذي يغشى الشمس [5].

و من الملاحظ أنَّ القسم بالشَّمس بحد ذاته مثَّل التفاعل الحياتي و حالة التغيير المصاحبة لهذا التفاعل، إذ جاءت ((هذه الأقسام بالشَّمس في الحقيقة بحسب أوصاف أربعة ضوءها عند ارتفاع النهار وقت انتشار الحيوان و طلب المعاش و تلو القمر لها بأخذه الضوء و تكامل طلوعها و بروزها و غيبوبتها بمجيء الليل)) [6]. مع إمكان دلالة (الشَّمسِ) دلالة ذات انتشار معنوي [7]، يفتح الباب واسعًا أمام أن يقال إنَّ الآفاق المعنوية منظورة هنا، و لا سيما مظاهر الإصلاح و التغيير، و ما يكتنفهما من معطيات و أدوات ظاهرة و باطنة.

و مثلما ظهر في سورة " الضُّحَى " المباركة التحوُّل بعنصر الظلام إلى عنصر ضياء جاءت سورة " الشَّمس " المباركة لتجعل من عناصر النور تشتغل لتضيء عنصرًا واحدًا هو الإنسان (النفس). و اللافت أنَّ عناصر الظلام هنا أقل فاعلية و أثرًا. و الجليل أنَّها تمثَّلت في عنصر واحد (الليل) في حين تعدَّدت و تنوَّعت عناصر الضياء.

---

١. ينظر. مفاهيم القرآن – دراسة الأمثال و الأقسام في القرآن الكريم، جعفر سبحاني، ط ٣، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، إيران ١٤٢٥ هـ، ص ٩ / ٤٥٠.

٢. ينظر. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: أحمد قصير العاملي، ط ١، مكتب الإعلام الاسلامي، قم ١٤٠٩هـ، ص ١٠ / ٣٥٦.

٣. البحر المحيط ٨ / ٤٧٨.

٤. البحر المحيط ٨ / ٤٧٨.

٥. البحر المحيط ٨/ ٤٧٨.

٦. البحر المحيط ٨/ ٤٧٨.

٧. ينظر. منَّة المنَّان في الدفاع عن القرآن، ص ٢ / ١٤٥ – ١٤٦.

يظهر أنَّ مظاهر الإصلاح كلَّها تسعى إلى إصلاح النفس الإنسانية و تهذيبها؛ فعلى الإنسان أن يستجيب لإرادة هذه المظاهر التي تملأ عليه الآفاق، و يعيش هو بسبب منها هذا من جهة. و تمثِّل هذه العناصر مخلوقات بديعة تدعو الإنسان أن ينظر فيها نظر متأمِّل سائل من جهة أخرى؛ وصولًا إلى أنَّها لا تصدر إلا من خالق مبدع؛ و لمَّا كانت متسقة متكاملة الجمال و الجلال فهي تصدر من خالق مبدع واحد.

الأرض لا ينفكُّ اتصالها بالشَّمس، و لا يمكن أن يخطر ببال أحد أنَّها تستغني عنها؛ فتأتي إشارة النص إلى أنَّ الإنسان لا يمكن له أن يحيا بعيدًا عن الله تعالى، بعيدًا عن العدل، و الحقِّ، و الجمال. و في ملمح اجتماعي إشاري لا يمكن له أن يحيا بعيدًا عن أخيه الإنسان، فكلٌّ يحتاج إلى الآخر، مثلما هي عناصر الكون تنتظم في منظومة متكاملة، فعلى الإنسان أن يتعلَّم منها درسًا تنظيميًّا إداريًّا يتمثَّل في تكامله مع الآخرين، و تعاونه بعيدًا عن الإقصاء، و الإلغاء.

و يمكن أن يقال في هذا السياق إنَّ الضياء يثور على الظلام فكريًّا و ماديًّا. و يظهر الرمز من خلال مقاربة ذلك إلى بناء الإنسان؛ فهذا البناء المادي يهدف إلى و ضع نموذج للبناء الروحي من طريق إشارته إلى أنَّ النفس عليها أن تتمثَّل في البناء المحيط و تكتشف خفاياه و تنتفع به.

السورة المباركة تتكلَّم بلحاظ وحيها الدلالي على الذات التي تصنع المجد و التاريخ و النفع للعباد و البلاد، و تجعل ذلك متاحًا يوميًّا، فهي لا تقتصر في خطابها على إنسان يصنع التأريخ صنعًا مرحليًّا، بل تشير إلى إنسان يصنع التاريخ بفعله اليومي المعايش كما تفعل الشَّمس فهي فاعلة في الحياة يوميًّا. و هذا ما يستلزم إنسانًا يتمادُ عمره، و يعيش الحياة على نحو من الغياب، و التطلُّع إلى الظهور في كلِّ آن. ما يعني أنَّه ((كانت السرية هي غطاء لتأمين أداء دوره الفاعل و تأثيره)) [1] في الحياة و إنتاجها على نحو جديد.

---

١. الإمام المهدي و الظواهر القرآنية، ص ٤٥.

الدولة الإسلامية العالمية في ظل الإمام المهدي(عج) والمسيح عيسى ابن مريم(ع)

الدكتورة نعيمة ابن فارس[1]

الملخص

عندما يكثر الظلم وينتشر الفساد يصبح الإنسان في أشد الحاجة لمن يخلصه ويأخذه لشاطىء الأمان والإطمئنان. كان هذا في قديم الزمان حال اليهود عندما عانوا من الشتات وذاقوا العذاب وظلوا في إنتظار رحمة الرب بإرسال مخلص لهم يخلصهم من معاناتهم ويكون ملكاً عليهم. وقد أرسل الله سبحانه وتعالى عيسى(ع) كمخلص لهم غيرأن عيسى(ع) أتى ليخلصهم روحياً ويطهر روحهم بالإيمان ويخلص أنفسهم من حب الماديات لترقى وتسمو بحب الروحانيات. فقد كان زاهدا لا يعطي أهمية لزخارف الدنيا. لذلك رفضه علماء بنوا إسرائيل تماما مثل ما رفضوا طالوت لما ولاه الله عزوجل عليهم ملكا بحجة أن ليس له سعة من المال. بل إنهم لم يقتصروا فقط على رفض عيسى(ع) بل حاولوا قتله وصلبه. حال اليهود في إنتظار المخلص مثل حال المسلمين الآن. فبعدما أرسل الله تعالى نبيه محمد(ص) ليصحح إعتقدات اليهود والنصارى عن عيسى(ع) ويضع قوانين ومناهج ليعيش الإنسان بسلام ووئام. ولتحقيق وحدة الأمة الإسلامية أوصى(ص) بإتباع عترته، أهل بيته إلا أن الناس أهملوا العترة وإتبعوا الشهوات والماديات وكل ما هو دنيوي مثل بني إسرائيل. فتعددت المذاهب وضلوا عن سبيل الله وأصبح كل مذهب يكفر الآخر فأصبح من

---

١. جامعة رين، فرنسا

الضروري أن يأتي في آخر الزمان من يخلص المسلمين من الفتن ويصلح الأمة الإسلامية ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملأت ظلما وجورا. وهذا لن يتحقق إلا على يد واحد من العترة الشريفة والذي هو عالم بأحكام الشريعة الإسلامية وسائرا على منوال جده(ص) ألا وهو الإمام المهدي (عج). هل عودة المسيح إلى الأرض حقيقة أم خيال؟ هل الإمام المهدي (عج) هو الملك المخلص في آخر الزمان؟ ما هو دور كل من الإمام المهدي (عج) والمسيح عيسى(ع) في آخر الزمان؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه من خلال هذه المقالة.

المقدمة

إن بني اسرائيل بعد السبي كانوا ينتظرون مخلِّصاً، ينتظرون مسيا، وهذا المخلص أو المسيا أو الملك المنتظر لابد أن يكون من نسل داوود لكي يحرر الشعب من الاستعباد أو الاحتلال الأجنبي ويجلس على كرسي داوود أبيه. ولقد لُقب المسيا بلقب هام جداً وهو "ابن الانسان"، وقد ورد هذا اللقب في العهد القديم، وخصوصاً في سفر حزقيال مرات كثيرة، وفي كل مرة تُرجم إلى "ابن أدم". أما في سفر دانيال فقد ورد مرتين، الأولى في (دا٨: ١٧) وتُرجم إلى ابن أدم. أما المرة الثانية التي وردت في (دا٧: ١٣-١٤) تُرجم "ابن الانسان"،)كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ).[1]

وقد بعث الله سبحانه وتعالى عيسى- بن مريم روح الله رسولا إلى بني إسرائيل وكان مثالا للزهد والرحمة ونبعاً من التواضع والمحبة. كانت ولادته معجزة وجاء بمعجزات تفوق بها على الأطباء، رغم التقدم الكبير الذي عرفه ذلك العصر، من إبراء الأعمى وشفاء الأبرص وإحياء الموتى. وعوض أن يتبعوا ويؤمنوا به إتهموه بالسحر والشعوذة وذلك حسدا منهم وكبرا. فقد كان علماء بني إسرائيل يحبون المال والدنيا ولهذا تركوا وصايا الأنبياء وراء ظهورهم. ومن الطبيعي أن نجدهم أول من يعادي عيسى(ع) بعدما كانوا ينتظرون بعثه لهم ولكن لما بعث وجدوه يقول: (خادمي يداي، ودابتي رجلاي، وفراشي الأرض، ووسادي

١. تفسير أصحاح ٧ من سفر دانيال للقمص تادرس يعقوب دا ٧:٩

الحجر، ودفئي في الشتاء مشارق الأرض، وسراجي بالليل القمر، و إدامي الجوع، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، وفاكهتي وريحانتي ما أنبتت الأرض للوحوش والانعام، أبيت وليس لي شئ، وأصبح وليس لي شئ، وليس على وجه الأرض أحد أغنى مني).[1] كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: وإن شئت قلت في عيسى بن مريم عليه السلام، فلقد كان يتوسد الحجر، ويلبس الخشن، وكان إدامه الجوع، وسراجه بالليل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الارض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الارض للبهائم، ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذله، دابته رجلاه، وخادمه يداه.[2]

وهنا تطرح فرضيتان، الفرضية الأولى أن يكون تصوير المخلص كملك تصوير مجازي، لأن حكومته حسب النبوَّة تشمل العالم كله، وهو لا يغزو الأُمم ولا يسعى وراءها، ولكن الشعوب تنجذب إليه كما ينجذب الشعب إلى راية خلاصه، وتتبارى الأُمم في طلب ودّه. ومن هذه النبوَّة نستطيع أن نرى مقدار صحة إدراك الأنبياء لأوصاف المسيَّا الروحية وأوصاف الملكوت القادم التي تخلو من التصويرات المادية أو العنصرية الصرفة، وعلى هذا الأساس يكون المقصود بالملك المخلص هو عيسى (ع). والفرضية الثانية هو تصوير حقيقي بمعنى أن المخلص ملك لديه السلطة ويتحكم في ثروات الأرض. وبهذا يكون المقصود هنا الإمام المهدي (عج). وهذه الفرضية الأخيرة تكون أقرب إلى الواقع إستنادا إلى الهدي النبوي. فعن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يكون في آخر أمتي خليفة، يحثي المال حثيا، ولا يعده عدا)) صحيح الجامع.

وإذا كان اليهود عانوا من الشتات وكانوا بل ومازالوا يبحثون عن المخلص فإن وللأسف المسلمين من كثر معاناتهم من التفرقة والفتن وإبتعادهم عن الشريعة الإسلامية أيضا أصبحوا في أمس الحاجة لمخلص.

"روى الحسين بن القاسم العياني عنه (صلّى الله عليه وآله) أنه قال: ستأتي من بعدى فتن متشابهة كقطع الليل المظلم فيظن المؤمنون أنهم هالكون فيها، ثمّ يكشفها الله عنهم بنا اهل البيت برجل من ولدي خامل الذكر، لا أقول خاملاً في حسبه ودينه وحلمه، ولكن

---

١. ارشاد القلوب: ١٩١.

٢. بحار الأنوار / ج ١٤ / ص ٢٣٨.

لصغر سنِه وغيبته عن أهله واكتتامه في عصره. على منهاجي ومنهاج المسيح في السياحة والدعوة والعبادة يُؤيِم عرسه ويخلص نفسه ويكن بدء ناصريه من أهل اليمن".[1] وإستنادا على هذين الحديثين ورجوعا إلى رؤى دانيال(ع) يمكن أن نقول أن الفرضية الثانية هي أقرب إلى الواقع. وبهذا يكون المقصود الملك المخلص الإمام المهدي (عج) بمساندة من المسيح(ع) بعد نزوله إلى الأرض في آخر الزمان.

عودة عيسى(ع) في آخر الزمان

تحدثت بعض الآيات في القرآن الكريم عن قدوم المسيح(ع) مرة أخرى إلى هذه الأرض قبل يوم القيامة، في سورة النساء (١٥٥-١٥٩) (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩)) فالآيات الكريمات توضح أن كل يهودي ونصراني سوف يؤمن بعيسى. عند نزوله لقتال الدجال وسوف تنجلي لهم الحقيقة أنه رسول الله وليس كذابا كما ادعى اليهود ولا إبن الله كما ادعى النصارى. ولكنه إيمان لا ينفع، لأنه إيمان عند اليأس وعند معانيه الموت. وقد تحدثت آيات سورة الزخرف (٥٧-٦٢) عن عودته(ع) شرط من أشراط الساعة وعلامات من علاماتها.

(وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقالوا أَآلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ وَجَعَلْناهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرائِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِها وَاتَّبِعُونِ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلايَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

١. عدة الاكياس في شرح معاني الاساس : ج ٢ ص ٢٨٠ ط ١، وهو كتاب زيدي معتبر لديهم، والعياني من ائمة الزيدية.

مُبِينٌ (٦٢)).

الدليل الآخر على عودة عيسى.إلى الأرض مرة أخرى ذكر كلمة (كهل) في الآية ١١٠ من سورة المائدة والآية ٤٦ من سورة آل عمران يقول الله تعالى: (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ) آل عمران ٤٦ وقوله تعالى: (إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ) المائدة ١١٠. وهذه الكلمة لم تستعمل في القرآن الكريم سوى في هاتين الآيتين ولم تستعمل في وصف أحد غير عيسى عليه السلام.و الكهولة تعني الفترة التي تلي الخامسة والثلاثين من العمر وقد إستند بعض العلماء المفسرين إلى بعض الآثار وتبين لهم أن عيسى.عليه السلام رفع وهو إبن ثلاثين أو إبن ثلاث وثلاثين على الراجح وأنه سوف يعيش أربعين عاماً بعد رجوعه إلى الأرض، وأن كهولة عيسى.ستكون بعد رجوعه. وهو القول المشهور في تفسير الطبري ولهذا يقول العلماء أن هذه الكهولة دليل على ظهوره مرة أخرى.

ولقد أورد الحق {الْمَهْدِ وَكَهْلًا} رمزية لشئ، وهي أن عيسى.ابن مريم من الأغيار، يطرأ عليه مرة أن يكون في المهد، ويطرأ عليه مرة أخرى أن يكون كهلا، وما دام في عالم الأغيار فلا يصح أن يفتتن به أحد ليقول أنه إله أو إبن الله. ونفهم أيضا من {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ} سر وجود آية المعجزة التي وهبها له الله وهو طفل في المهد. لأن المسألة تعلقت بعِرض أمه وكرامتها وعفتها، فكان من الواجب أن تأتي آية لتدحض عجبا من الناس حين يرونها تلد بدون أب لهذا الوليد أو زواج لها. وهذه المسألة لم نجد لها وجودا. مع أنها مسألة كان يجب أن تقال لأنهم يمجدون نبيهم، وكان من الواجب ألا يغفلوا عن هذه العجيبة. والكلمة التي قالها عيسى.عليه السلام في المهد لا تسعف من يصف عيسى.عليه السلام بوصف يناقض بشريته؛ لأن الكلمة التي نطق بها أول ما نطق: إني عبد الله، فأخفوا هذه المسألة كلها لأن هذه الكلمة تنقض القضية التي يريدون أن يضعوا فيها عيسى.عليه السلام، إن الحق يقول: {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا}.والكلام في المهد أي وهو طفل وكهلا أي بعد

الثلاثين من العمر، أي في العقد الرابع. والبعض قد قال: إن الكهولة بعد الأربعين من العمر. قبل أن يكون كهلا، وقالوا إن حادثة الصلب أو عدم الصلب، أو الاختفاء عن حس البشر قد حدثت قبل أن يكون كهلا، إذن فلابد أن يأتي وقت يتكلم فيه عيسى.بن مريم(ع) عندما يصير كهلا، وأيضا قوله الحق: {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا} أي أنه تكلم في المهد طفلًا ويتكلم كهلا أي ناضج التكوين، وبذلك نعرف أن عيسى.بن مريم فيه أغيار وفيه أحوال، فإذا قيل أنه إله فهل الألوهية في المهد هي الألوهية في الكهولة؟إن كانت الألوهية في المهد فقط فهي ناقصة لأنه لم يستمر في المهد، وحدثت له أغيار، وما دام قد حدثت له أغيار فهو محدث، وما دام محدثا فلا يكون إلها. لذا فقد وضع القرآن عيسى.إبن مريم(ع) في الموضع المناسب له، لكونه واحد من أولي العزم من رسل الله.

أما قوله تعالى:) إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ (آل عمران الآية ٥٥.وقال تعالى:) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ (النساء الآية ١٥٧ ـ ١٥٨

آية آل عمران أكدت وفاة عيسى بقوله مُتَوَفِّيكَ (وآية النساء ١٥٧ أكدت عدم قتله وَمَا قَتَلُوهُ ولما كان القرآن متشابهاً متوافقاً لا يخالف بعضه بعضاً، بقوله تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (النساء الآية ٨٢). ولما كان القتل يعني الموت، بقوله تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا)

فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ) (النساء الآية ٩٣)، فبتدبر هذه الآيات نجد أن وفاة عيسى.عند رفعه لا تعني موته، وذلك بالجمع بين آية آل عمران ٥٥ وآية النساء ١٥٧، ولما كان القرآن يشرح بعضه بعضاً، نجد شرح وفاة عيسى.في قوله تعالى: (اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى.عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى) الزمر الآية ٤٢. إذن وفاة عيسى عند رفعه ليس موتاً.إن كلمة التوفي نفهمها على أنها الموت، ولكن علينا هنا أن نرجع إلى أصل استعمال اللفظية، فإنه قد يغلب معنى على لفظ، وهذا اللفظ موضوع لمعان متعددة، فيأخذه واحد ليجعله خاصاً بواحد من هذه.ألم يقل الله تعالى في سورة الأنعام الآية ٦٠ (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى.أَجَلٌ

مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) إذن يتوفاكم بمعنى ينيمكم. فالنوم معنى من معاني التوفي. لقد سمى الحق النوم موتاً أيضاً. إن الحق سبحانه قد سمى النوم موتاً لأن النوم غيب عن حس الحياة. أما إذا إفترض البعض أن متوفيك هي مميتك، فمن الذي قال: إن ((الواو)) تقتضي الترتيب في الحدث؟ بمعنى أن الحق يتوفى عيسى ثم يرفعه. إن الحق بجلال قدرته كان قادرا على أن يقول: إني رافعك إلي ثم أتوفاك بعد ذلك. لكن الواو لا تقضي الترتيب فى الحدث ألم يقل الحق سبحانه في سورة القمر الآية ١٦ (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ) فهل جاء العذاب قبل النذر أو بعدها؟ إنما العذاب يكون بعد النذر. إن الواو تفيد الجمع للحدثين فقط. ألم يقل الله في سورة الأحزاب الآية ٧ (وإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا). إذاً الواو لا تقتضي ترتيب الأحداث. فإذا قال قائل: ولماذا جاءت متوفيك أولاً؟ فالجواب يكون لأن البعض قد ظن أن الرفع تبرئه من الموت. ولكن عيسى عليه السلام سيموت قطعاً، فالموت ضربه لازب، ومسألة يمر بها كل بشر. هذا الكلام من ناحية النص القرآني. فإذا ما ذهبنا إلى الحديث وجدنا أن الله فوض رسوله(ص) ليشرح ويبين، ألم يقل الحق في سورة النحل الآية ٤٤ (بِالبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ). فقد جاء في الحديث كما رواه البخاري ومسلم: (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم) أي أن الرسول(ص) بين لنا أن ابن مريم سينزل من السماء. وقد جاء في يوحنا ١١: ١١ (قال هذا وبعد ذلك قال لهم لعازر حبيبنا قد نام. لكني أذهب لأوقظه. ١٢ فقال تلاميذه يا سيد إن كان قد نام فهو يشفى. ١٣ وكان يسوع يقول عن موته. وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم. ١٤ فقال لهم يسوع حينئذ علانية لعازر مات فإن كان لفظ الوفاة يطلق على النوم فما المانع أن يُنسب للمسيح أن رُفع إلى السماء وهو نائم؟ ألم يُرفع سيدنا إدريس (أخنوخ) إلى السماء دون أن يتوفى؟[1]

قال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، عن العوام بن حوشب، عن جبلة بن سحيم، عن إبن مسعود، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لقيتُ ليلةَ أُسرِيَ بي إبراهيمَ وموسَى وعيسَى قال: فتذاكروا أمرَ الساعةِ فردُّوا أمرَهم إلى إبراهيمَ فقال: لا عِلْمَ لي بها فردُّوا الأمرَ إلى

١. من خواطر الشيخ / محمد متولي الشعراوي http://www.ebnmaryam.com/vb/t184.html

موسَى فقال: لا عِلْمَ لي بها فردُّوا الأمرَ إلى عيسَى. فقال: أمَّا وَجْبَتُهَا فلا يعلمُها أَحَدٌ إلا اللهُ ذلكَ وفيما عهدَ إليَّ ربي عزَّوجلَّ أنَّ الدجالَ خارجٌ قال: ومعي قضيبانِ فإذا رآني ذابَ كما يذوبُ الرَّصاصُ قال: فيُهلكُه اللهُ حتى إنَّ الحَجَرَ والشَّجَرَ ليقولُ: يا مسلمُ إنَّ تحتي كافرًا فتعالَ فاقتلْه قالَ: فيُهلكُهم اللهُ ثم يرجعُ الناسُ إلى بلادِهم وأوطانِهم قال: فعندَ ذلكَ يخرجُ يأجوجُ ومأجوجُ وهم من كلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فيَطؤُونَ بلادَهم لا يأتونَ على شيءٍ إلا أهلكوهُ ولا يَمُرُّونَ على ماءٍ إلا شربوهُ ثم يرجعُ الناسُ إليَّ فيَشكونهم فأدعو اللهَ عليهم فيُهلكُهم اللهُ ويُميتُهم حتى تَجْوَى الأرضُ من نَتْنِ ريحِهم قال: فيُنزلُ اللهُ عزَّوجلَّ المطرَ فتَجْرُفُ أجسادَهم حتى يَقذفَهم في البحرِ قال أبي: ذهبَ عليَّ هاهُنا شيءٌ لم أفهمْهُ كأديمٍ وقال يزيدُ يعني ابنَ هارونَ: ثم تُنسفُ الجبالَ وتُمَدُّ الأرضُ مَدَّ الأديمِ ثم رجعَ إلى حديثِ هُشَيمٍ قال: ففيمَ عَهِدَ إليَّ ربي عزَّوجلَّ أنَّ ذلكَ إذا كان كذلكَ فإنَّ الساعةَ كالحاملِ المُتِمِّ التي لا يدري أهلُها متى تَفْجَؤُهمْ بولادِهَا ليلًا أو نهارًا).[1]

الرجعة في الأمم السابقة

لقد ضرب الله لنا مثلا في العديد من الآيات الكريمات عن إحياء الموتى أو إرجاعهم إلى الحياة بعد نوم عميق فلهذا لا يجب الإستغراب في رجوع عيسى(ع) إلى الأرض مرة أخرى. فقد أحيا الله سبحانه وتعالى قوما بنى‌إسرائيل: قال تعالى في سورة البقرة الآية ٢٤٣: (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم و هم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) فجميع الروايات الواردة في تفسير هذه الآية المباركة تدل على أن هؤلاء ماتوا مدة طويلة، ثم أحياهم الله تعالى، فرجعوا إلى الدنيا، و عاشوا مدة طويلة. قال الشيخ الصدوق: كان هؤلاء سبعين ألف بيت، و كان يقع فيهم الطاعون كل سنة، فيخرج الأغنياء لقوتهم، ويبقى الفقراء لضعفهم، فيقل الطاعون في الذين يخرجون، و يكثر في الذين يقيمون، فيقول الذين يقيمون: لو خرجنا لما أصابنا الطاعون، و يقول الذين خرجوا، لو أقمنا لأصبنا كما أصابهم. فأجمعوا على أن يخرجوا جميعا من ديارهم إذا كان وقت الطاعون، فخرجوا بأجمعهم، فنزلوا على شط البحر، فلما وضعوا رحالهم ناداهم

١. مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير، المجلد الثالث.

الله: موتوا، فماتوا جميعا، فكنستهم المارة عن الطريق، فبقوا بذلک ماشاءالله. ثم مربهم نبي من أنبياء بنى‌إسرائيل يقال له حزقيل فقال: لو شئت يا رب لأحييتهم، فيعمروا بلادک، ويلدوا عبادک، و يعبدوک مع من يعبدک، فأوحى الله تعالى إليه: أفتحب أن أحييهم لک؟ قال: نعم. فأحياهم الله تعالى و بعثهم معه، فهؤلاء ماتوا، و رجعوا إلى الدنيا، ثم ماتوا بآجالهم. فهذه رجعة إلى الحياة الدنيا بعد الموت، و قد سأل حمران بن أعين الامام أباجعفر الباقر(ع) عن هؤلاء، قائلا: أحياهم حتى نظر الناس إليهم، ثم أماتهم من يومهم، أو ردهم إلى الدنيا حتى سكنوا الدور، و أكلوا الطعام، و نكحوا النساء؟ قال(ع) بل ردهم الله حتى سكنوا الدور، و أكلوا الطعام، و نكحوا النساء، و لبثوا بذلک ماشاءالله، ثم ماتوا بآجالهم و المثال الآخر إحيا عزيز أو أرميا، قال تعالى في سورة البقرة الآية ٢٥٩ (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). وكذلك أحيا عزوجل أصحاب الكهف فقد كانوا فتية آمنوا بالله تعالى، و كانوا يكتمون إيمانهم خوفا من ملكهم الذى كان يعبد الأصنام و يدعوا إليها و يقتل من يخالفه، ثم اتفق أنهم اجتمعوا و أظهروا أمرهم لبعضهم، و لجأوا إلى الكهف فأماتهم الله سنين عديدة ثم أحياهم. قال تعالى: في سورة الكهف وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦). و كذلک أحيا الله تعالى قتيل بنى‌إسرائيل فقد روى المفسرون أن رجلا من بنى‌إسرائيل قتل قريبا له غنيا ليرثه و أخفى قتله له، فرغب اليهود فى معرفة قاتله، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة و يضربوا بعض القتيل ببعض البقرة، ليحيا و يخبر عن قاتله، و بعد جدال و نزاع قاموا بذبح البقرة، ثم ضربوا بعض القتيل بها، فقام حيا و أوداجه تشخب دما و أخبر عن قاتله، قال تعالى فى سورة البقرة الآية ٧٣ (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ). و إحياء الطيور لإبراهيم(ص) بإذن الله مثال خامس. ذكر المفسرون أن إبراهيم(ص) رأى جيفة تمزقها السباع، فيأكل منها سباع البر و

سباع البحر، فسأل الله سبحانه قائلا: يا رب، قد علمت أنک تجمعها فی بطون السباع و الطير و دواب البحر، فأرنی کيف تحييها لأ عاين ذلک؟ قال سبحانه في سورة البقرة الآية ٢٦٠ (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).

فأخذ طيورا مختلفة الأجناس، قيل: إنها الطاووس والديک و الحمام و الغراب، فقطعها و خلط ريشها بدمها، ثم فرقها على أربعة جبال، ثم أخذ بمناقيرها و دعاها باسمه سبحانه فأتته سعيا، فكانت تجتمع و يأتلف لحم كل واحد و عظمه إلى رأسه، حتى قامت أحياء بين يديه. المثال السادس إحياء ذی القرنين: اختلف فی ذی القرنين فقيل: إنه نبی مبعوث فتح الله على يديه الارض، عن مجاهد و عبدالله بن عمر، و قيل: إنه كان ملكا عادلا. و روی بالإسناد عن أبی الطفيل عن أميرالمؤمنين على بن أبی طالب(ع) أنه كان عبدا صالحا أحب الله فأحبه و ناصح الله فناصحه، قد أمر قومه بتقوى الله، فضربوه على قرنه فمات، فأحياه الله، فدعا قومه إلى الله، فضربوه على قرنه الآخر فمات، فسمی ذا القرنين. قال(ع) و فيكم مثله يعنی نفسه عليه‌السلام. و فی رواية على بن ابراهيم عن الامام الصادق(ع) إن ذا القرنين بعثه الله إلى قومه، فضربوه على قرنه الأيمن، فأماته الله خمسمائة عام ثم بعثه إليهم بعد ذلک، فضربوه على قرنه الأيسر، فأماته الله خمسمائة عام ثم بعثه إليهم بعد ذلک، فملكه مشارق الأرض و مغاربها من حيث تطلع الشمس إلى حيث تغرب. المثال السابع إحياء أهل أيوب(ع) قال تعالى في سورة الأنبياء الآية ٨٤ (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ) قال إبن عباس و إبن مسعود رد الله سبحانه عليه أهله و مواشيه و أعطاه مثلها معها. و قتادة و كعب، و هو المروی عن أبی عبدالله(ع). هذه الحالات السبعة جميعا تشير إلى الرجوع للحياة بعد الموت فی الأمم السابقة، و قد وقعت فی أدوار و أمكنة مختلفة، و لأغراض مختلفة، و لأشخاص تجد فيهم الأنبياء و الأوصياء و الرعية، و هی دليل لا ينازع فيه على نفی استحالة عودة الأموات إلى الحياة الدنيا بعد الموت. و هنا من حقنا أن نتساءل: ما المانع من حدوث ذلک فی السمتقبل لغرض لعله أسمی من جميع الأغراض التی حدثت لأجلها الرجعات السابقة؟ ألا و

هو تحقيق مواعيد النبوات و أهداف الرسالات في نشر مبادى العدالة و تطبيق موازين الحق على أرض دنستها يد الجناة و الظلمة، و أشبعتها ظلما و جورا حتى عادت لا تطاق. قال تعالى في سورة الأنبياء الآية ١٠٥ (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ).[1]

الإمام المهدي في الكتاب والسنة

من العلامات البارزة لخروج الإمام المهدي عليه السلام انتشار الظلم، وشيوع الجور، وإنعدام الأمن والاستقرار، حتى تصبح الحياة قاتمة مليئة بالأحداث والخطوب، ويعيش الإنسان على أعصابه من كثرة ما يعانيه من الخوف والإرهاب، وقد خيمت على المجتمع الإنساني الحياة الجاهلية بآثامها وشرورها، وتسابق الناس إلى المنكر حتى عاد بينهم معروفا، أما الإسلام فإنه يعود غريبا كما بدأ قد جمدت طاقاته، وأجهزت عليه الدول الكبرى الظالمة التي ترغم الناس على ما يكرهون، والتي تستغل ثروات المسلمين، وتنهب إمكانياتهم الاقتصادية، وتجعلهم تحت مناطق نفوذها.

هناك أدلة قرآنية على وجود الإمام المهدي(ع).قال تعالى في سورة البقرة الآية ٣٠ (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) وهذه الآية تقتضي.وجود خليفة لله في الأرض على مر العصور إلى أن يرث الله الأرض، وكذلك قوله تعالى في سورة الرعد الآية ٩ (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ).

والآية المباركة توضح وجود هاد لكلّ زمان، ثمّ إنّ الهادي لا يكون هادياً إلى الدين إلاّ إذا كان عالماً بجميع الدين أُصولاً وفروعاً، ولا يكون عالماً إلاّ إذا كان معصوماً آخذاً علمه من الوحي أو من النبي (ص). وقد ورد في تفسير العامة[2] والخاصة: أنّ المنذر هو الرسول(صلى الله عليه وآله)؛ والهادي عليّ بن أبي طالب(عليه السلام)، وفي كل زمان إمام يهديهم إلى ما جاء به النبي(صلى الله عليه وآله). وفي بعضها عن أئمة اهل البيت (عليهم السلام) في تفسير الآية: «والله ما ذهبت منّا، وما زالت فينا إلى الساعة[3] وعن أبي عبدالله(عليه السلام) في

---

1 .http://www.imamali.net/aqaed/tableg_file/aqaedfiles/books/407/407

٢. التفسير الكبير للفخر الرازي: [١٠] ٢٧١/٥، تفسير ابن كثير:٥١٦/٢.

٣. الكافي: ٤/١٩٢/١، عنه البحار: ١٤/٤٠٢/٣٥

تفسير الآية قال: «كل إمام هاد لكلّ قوم في زمانهم»[1] وغيرها مما يعضدها في المعنى تؤكد على ضرورة وجود هاد في كل عصر، وهو إمام معصوم. وقد تظافرت الروايات من العامة والخاصة على أنّ اهل البيت (عليهم السلام) هم الهداة. فقد جاء في ينابيع المودة عن أبي جعفر الباقر(عليه السلام) «..ونحن من رحمة الله على خلقه، وبنا يفتح وبنا يختم، ونحن الأئمة الهداة والدعاة إلى الله، ونحن مصابيح الدجى ومنار الهدى...»[2] وعن أمير المؤمنين(ع) في خطبة له قال: «وإنّ الأئمة قوام الله على خلقه، وعرفاؤه على عباده، لايدخل الجنّة إلاّ من عرفهم وعرفوه، وليدخل النار من أنكرهم وأنكروه».[3] والملاحظة الجديرة بالذكر أنّ تخصيص الرسول(صلى الله عليه وآله) الهادي بعليّ بن أبي طالب إنّما كان بلحاظ فترة حياة الإمام علي(عليه السلام)، لاسيما بملاحظة الروايات الأُخرى التي تشهد وتؤكد على أنّ أهل البيت(عليهم السلام) هم الأئمة الهداة. وعند إلقاء الضوء على ما ورد من روايات في هذا السياق نجد أنّها تتضمن خصائص ومواصفات الأئمة الهادين، تصف كونهم أماناً لأهل الأرض، وأنّ قوام الدين بهم إلى قيام الساعة، وأنّ وجودهم مستمر إلى آخر الدهر، وصلاح الأُمة والناس بهم، وأنّهم كلّهم يعملوا بالهدى ودين الحق. ومن الواضح أنّ من يتّصف بهذه المواصفات والخصوصيات يكون هو الهادي لا غير، ومن هذه الروايات:

ما ورد عن النبي(ص) أنّه قال: «في كل خلوف من أُمّتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وإنتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عزّوجل فانظروا بمن توفدون».[4] وروي عنه(صلى الله عليه وآله) أنّه قال: «لا تهلك هذه الأُمة حتى يكون فيها إثنا عشر خليفة كلهم يعمل بالهدى ودين الحق»[5] وغيرها من الروايات. وكذا قوله تعالى في سورة الإسراء الآيتين ٧١ و٧٢ (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناس بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتابَهُمْ وَلايُظْلَمُونَ فَتِيلاً * وَمَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمى وَأَضَلُّ سَبِيلاً). وهذا يدل على أن دين الإسلام مستمر وباق إلى قيام

---

١. المستدرك للحاكم: ١٢٩/٣، تفسير الشوكاني: ٥٧٠/٣
٢. شواهد التنزيل، للحسكاني: ٢٩٣/١
٣. ينابيع المودة: ٢٤/٨٣/١
٤. الصواعق المحرقة، لابن حجر الهيتمي: ١٥٠، ذخائر العقبى، محب الدين الطبري: ١٧
٥. تاريخ بغداد: ٣٧٢/٣، فتح الباري: ١٧٩/١٣

الساعة فذلك يستلزم أن يكون إمام للمتدين في كل زمان يأتم به.

وقوله تعالى في سورة الأنعام الآية ١٤٩ (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ). والآية صريحة في ضرورة وجود معصوم إلى آخر زمان التكليف؛ لإقامة الحجة التي تعني بلوغ التكليف إلى المكلفين، ومن الواضح عدم تمامية الحجة بغير إمام معصوم. كما قال تعالى في سورة الأنفال الآية ٣٣ (وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ). والآية المباركة تكشف عن دور وأثر المعصوم ـ سواء كان النبي أو الإمام ـ على درء عذاب الله المتسبب بالفساد. وقد أشار الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى وجود هذا المعنى من أهل بيته(ع) وأنّهم أمان لأهل الأرض كما هو (صلى الله عليه وآله) أمان لهم. وهذا المعنى يلتقي مع روايات متظافرة تشهد وتؤكد على أنّ اهل البيت(ع) أمان لأهل الأرض، فقد ورد عنه(ص) قوله: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأُمتي من الإختلاف»،[1] و «إذا ذهبوا ماجت الأرض بأهلها»،[2] أو «لساخت الأرض بأهلها».[3] كما جاء في ظل قوله تعالى في سورة النساء الآية ٥٩: (يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمرِ مِنكُم) إنّ الله تعالى أمر بطاعة أُولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومَن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لابدّ أن يكون معصوماً عن الخطأ؛ إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ. والخطأ لكونه خطأً منهيّ عنه، فهذا يُفضي ـ إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالإعتبار الواحد وأنّه محال، فثبت أنّ الله تعالى أمر بطاعة أُولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أنّ كلّ مَن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أن أُولي الأمر المذكور في هذه الآية لابدّ أن يكون معصوماً».[4]

أما في سورة النور الآية ٥٥ فيقول عزوجل (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ ـ

١. مستدرك الحاكم: ١٤٩/٣، وقال: (هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه
٢. كنز العمال: ٣٣٨٥٦/١٧/١٢، وفيه (هلكوا) بدل (ذهبوا) المعجم الكبير للطبراني: ١٩٦/٢)
٣. غيبة الطوسي: ١٣٩ ذح ١٠٢، عنه البحار: ٢٥٩/٣٦ ح ٧٩، دلائل الإمامة: ٢٢٦
٤. التفسير الكبير: ١٤/١٠

لَهُـمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْـدِ خَـوْفِهِمْ أَمْنًـا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْـرِكُونَ بِي شَـيْئًا وَمَـن كَفَـرَ بَعْـدَ ذَٰلِـكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) وبحسب المبادىء المعرفية الاولية أنّ الله تعالى اذا وعد فلن يخلف وعده قطعا هذا أولا وثانيا الى آلان لم يظهر على الأرض الإستخلاف الالهي التام ولا التمكين والتثبيت للدين الذي إرتضاه الله إسلاما للبشرية عامة ((إنّ الدين عند الله الإسلام)) ((ورضيتُ لكم الإسلام دينا)) وإلى آلان لم يعم الأمن والأمان في الارض ولم يعم التوحيد الخالص لله تعالى. وقد ذكر العلامة السيد الطباطبائي (قد) في تفسيره الميزان / ج/١٥ / ص٧٠ / رأيه في ذلك وقال(فالحق إنّ الاية /٥٥ (أعلاه) إن أعطيت حق معناها لم تنطبق إلاّ على المجتمع الموعود الذي سينعقد بظهور المهدي (عج) وقد نقل العلامة الطباطبائي أقوال المفسرين بشأن ذلك الرأي وقال وفي المجمع، في قوله تعالى ((وعد الله الذين آمنوا منكم)) وأُختلف في الآية والمروي عن اهل البيت (ع): أنها في المهدي (عج) من آل محمد قال وروى العياشي بإسناده عن علي بن الحسين ع أنه قرأ الآية وقال:هم والله شيعتنا اهل البيت يفعل ذلك بهم على يدي رجل منا وهو مهدي هذه الأمة وهو الذي قال رسول الله(ص) (لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يأتي رجل من عترتي إسمه إسمي يملأ الأرض عدلا و قسطا كما ملئت ظلما وجورا) كما جاء في تفسير قوله تعالى: (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَالْأَقْدامِ) عن الإمام الصادق عليه السلام قال «الله يعرفهم» ولكن نزلت في القائم يعرفهم بسيماهم فيذبحهم بالسيف هو وأصحابه خيطاً.

دور الإمام المهدي وعيسى في آخر الزمان

لا شك أن فكرة ظهور المنقذ هذه فكرة آمن بها أهل الأديان كما سبق ذكره وإعتنقتها معظم الشعوب. وبناء على هذا سيكون لظهور المسيح في العالم الغربي الوقع الأكبر لاسيما انه سيظهر في مرحلة حاسمة في العالم. اذ إن وجوده يؤثر في تلك الدولة وفي مرحلة التخطيط اللاحق للظهور إذ سيؤدي الى إيمان اليهود والنصارى. وهو يمثلون قسما كبيرا من البشرية إذ يثبت لهم بالحجة الواضحة أنه المسيح يسوع وأن الإنجيل والتوراة إنما هي هكذا وليست على شكلها المحرف الذي كان معهودا وأن الدولة التي بشر لها في الكتب المقدسة إنما هي دولة المهدي، لذا فان المسيح عليه السلام سيلعب دورا مهم،

إذ سيعمل على زيارة تلك الدولة القدسية وإظهار المعاجزوالكرامات والآيات، وعندئذ سيقع على عاتقه مهمة التبليغ, وإيصال الدين الإسلامي إلى تلك الدول. ومن الطبيعي أن لظهور منقذ البشرية الموعود في الديانة المسيحية ما يؤدي إلى انتشار الفرح والسرور في شعوب تلك المنطقة لأنه المخلص لهم من الظلم والاضطهاد, وسيدخل العالم المسيحي في الدين الإسلامي اذ سيتيسر الفتح العالمي من دون قتال, بل نتيجة إيمان بالحق والإذعان له سيما أن الجانب الفكري والروحي في الفتح العالمي سيكون أوسع بكثيرمن الجانب العسكري.

قتل الدجال

لاشك ان للمسيح دور في القضاء على حركة الدجال, فقد ورد عن عن جعفربن محمد الفزاري رفعه إلى أبي جعفرعليه السلام قال: ((يا خثيمه سيأتي على الناس زمان لا يعرفون الله ما هو والتوحيد حتى يكون خروج الدجال وحتى ينزل عيسى بن مريم من السماء ويقتل الله الدجال على يديه)). يظهرمن هذه الرواية وغيرها التي تبشربحركة الدجال أن ظهوره إنما يكون بعد مدة غيرقصيرة من قيام دولة الإمام، وعموم الرفاهية لدول العالم وظهور العلم والتقنية الحديثة لذلك فحركته تعد حركة إباحية ناتجة من الترف والبطر. أن صفوة القول أن حركة الدجال تعد حركة متطورة وذات أبعاد عقائدية وسياسية, إذ يستخدم الدجال أحدث الوسائل في ادعاءاته وسيكون أكثرمتبعيه من اليهود والنساء والمراهقين والمراهقات وعندها ستحدث فتنة عند المسلمين. سنرى من هذه الرواية أن الضربة التي تقضي ـ على الدجال إنما تكون بأحدث الأسلحة العسكرية التي يستخدمها المسيح عليه السلام وليست بأسلحة تقليدية كما يدعي البعض.

وأخرج إبن ماجة والروياني وابن خزيمة وأبو عوانة والحاكم وأبو نعيم واللفظ له عن أبي امامة قال: خطبنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .وذكرالدّجال وقال: «فتنفي المدينة الخبث منها كما ينفي الكيرخبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص، فقالت أم شريك فاين العرب يا رسول الله يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليل وجلّهم ببيت المقدس وامامهم المهدي رجل صالح، فبينما إمامهم المهدي قد تقدم يصلي بهم الصبح

اذ نزل عليهم عيسى ـ بن مريم وقت الصبح، فيرجع ذلك الإمام ينكص يمشي ـ القهقرى ليتقدم عيسى ـ فيضع عيسى ـ يده بين كتفيه، ثم يقول له تقدم فصلّ، فانها لك أقيمت، فيصلي بهم أمامهم»

قال أبو الحسين الآبري: «قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلّى الله عليه وسلّم بظهور المهدي وأنه من أهل بيت المصطفى (ص)، وانه يملك سبع سنين، وانه يملأ الأرض عدلا، وانه يخرج مع عيسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فيساعده على قتل الدجّال بباب لدّ بأرض فلسطين، وانه يؤمّ هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه».[1]

المسيح عليه‌السلام ضمن التشكيلة الحكومية للإمام عليه‌السلام

يعد عيسى المسيح عليه‌السلام أحد أقطاب دولة الأمام المهدي عليه‌السلام إذ سيكون وزير في تلك الدولة، ومن الطبيعي أن يكون للشخصيات العاملة في الدولة الموعودة الوزن، والثقل الأكبر سيما أنهم سيكونون من بين الأنبياء وخلفائهم والأتقياء من صالحي العصر والأمم السابقة. بمعنى أنها تركيبة حكومية خاصة تتألف ـ فضلاً عما ذكر ـ من عدد من أصحاب الرسول صلى الله عليه واله وسلم. تذكر الروايات أن لعيسى ـ عليه‌السلام دوراً في دولة الأمام, إذ سيكون أما وزيراً ويقصد بالوزير في تعبير الهيكلية القديمة للدول رئيس الوزراء بلغة اليوم, أو نائباً للوزير أو عاملاً على بيت المال. يعني أنه سيكون بتعبير اليوم وزير للمالية في دولة الأمام المرتقبة. عن كعب أن عيسى ـ عليه‌السلام يقول للقائم (فإنما بعثت وزيراً ولم ابعث أميرا) وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: وهو أي عيسى ـ عليه‌السلام الوزير الأيمن للقائم وحاجبه ونائبه من جملة ما ذكر في المطلب السابق نجد أن للنبي عيسى عليه‌السلام دور لا يمكن التنصل عنه أو إغفاله ولو للحظة لأنه مشارك وعنصر فعال في دولة الإمام, وعامل مساعد في إقامة دولة تعد آخر الدول وخاتمتها على الأرض تلك الدولة التي وعد الله بها المتقين.[2]

---

1 .http://www.al-milani.com/library/lib-pg.php?booid=21 &mid=282&pgid=2854

٢. ملخص بحث المهدي والمسيح الخصائص والهدف المشترك

الخاتمة

لم يكن إصطفاء الله سبحانه وتعالى لآل إبراهيم وآل عمران على العالمين عبثا بل كان لغاية عظمى. ولم يكن جعل الإمامة في ذرية إبراهيم محاباة بل كان بتدبير من العزيز الحكيم. فمن صلب إبراهيم ذا العزم والإصرار والنبي الذي إجتاز إمتحانات عظمى ليحضى بالإمامة، ينحدر نبيين، إسماعيل وإسحاق عليهما السلام. ومن هذين النبيين ينحدر الإمام المهدي (عج) والنبي عيسى(ع) على التوالي، ليرثا من جدهما إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام إضافة إلى الصبر خصال الحلم والعزم والحزم. هذه الصفات جعلتهما المؤهلين الوحيدين لحمل رسالة التغيير وخلاص الأمم التي تاهت عن الصراط المستقيم. نعم إنه على أيدي هذين الأخيرين سوف يحضى العالم بتأسيس الدولة الإسلامية العظمى التي تعم كل أنحاء الأرض. وهكذا يتحقق التمكين الإلهي للمستضعفين بوراثة الأرض وتطبيق مبدأ التوحيد ليظهر الله سبحانه وتعالى الدين الحق على الدين كله.